رحلة خلق الإنسان

أ.د/ حنفى محمود مدبولى

أستاذ علم الفيروسات المتفرغ بجامعة بنى سويف
ليسانس أصول الدين – جامعة الأزهر 1999
جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم البيولوجية 2002
براءة اختراع فى تحضير اللقاحات الفيروسية 2008
عضو الهيئة العالمية للكتاب والسنة بمكة المكرمة
رئيس لجنة العلوم الطبية بالمركز الدولى للإعجاز العلمى

تقديم

أ.د./ إبراهيم الهدهد

الأستاذ بجامعة الأزهر
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
ورئيس جامعة الأزهر سابقا

أ.د./ عبد الله المصلح

رئيس المركز الدولى لأبحاث الإعجاز العلمى
مدير فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وعميد كلية الشريعة وأصول الدين

اسم الكتاب: رحلة خلق الإنسان
النـــــــوع: كتب علمية
المـــؤلـــف: أ.د/ حنفي مدبولي
الناشـــــر: دار الجنـــدي
للنشر والتوزيع
٤ش مهدي عبد المنعم - أرض أولاد علام
منطي - شبرا الخيمة - القاهرة الكبرى
تليفون: ٠١٠١٧٧٥٦٦٧٠-٠١٢٢٢٩٥٠٢٩٢
المدير العام: عاطف الجندي
الطبعـــــة: الأولى
الغـــــلاف: محمد عاطف الجندي

رقم الإيـداع: 2022/2922
الترقيم الدولي: 978-977-843-371-5

محفوظة جميع الحقوق

على سبيل التقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد .... فإن هذا الكتاب الذى ألفه سعادة الأستاذ الدكتور / حنفى مدبولى هو كتاب عظيم الفائدة إذ يمضى بنا فى أسلوب متميز وميسور فى "رحلة خلق الإنسان" من لدن آدم . عليه السلام . إلى خلق الذرية. والكتاب يتألف من بابين الأول منهما بعنوان"سلالة من طين " وفيه أكد سعادته بالأدلة الشرعية على خلق الإنسان من الطين ، وكذلك بالأدلة العلمية الموثقة أن الطين هو أصل الحياة إذ من خلال عناصره الأولية التي تتخلل مسامه وحبيباته تتكون المركبات العضوية مثل البروتينات والكربوهيدرات والدهنيات والأحماض النووية. كما بين بالأدلة العلمية وجود تطابق تام بين صفات الطين وصفات خلايا الإنسان وجسمه. وأن الإنسان يتغذى على ما يخرج من الطين ، وبعد أن تتحلل جثته وتعود ترابا لا يمكن التفرقة بين تراب هذه الجثة وتراب المقبرة التي تضمها. ومن خلال التحليل المعملى للتراب وجسم الإنسان تبين أن جسم الإنسان يحتوى على 26 عنصرا من 118 عنصرا فى التربة وهذا يفسر قوله تعالى "من سلالة من طين". وفى الباب الثانى بين سعادته أن الذرية مخلوقة من سلالة من ماء مهين وأن معنى "سلالة" هى. اصطفاء وانتقاء وتسلل شيء من شيء وتبين بالفعل أن اصطفاء الذرية يتوقف على اصطفاء الحيوانات المنوية وانتقائها، والبويضات وكذلك اصطفاء الصفات الوراثية من جينات الأبوين. وقد استعان بالدراسات التي تشير إلى أن جميع الذكور يعود نسبهم إلى رجل واحد، وهو آدم . عليه السلام. كما أكد على أن جميع الإناث يعود نسبهن إلى امرأة واحدة، وهي حواء . عليها السلام. ويحدث اصطفاء للخلايا الجنسية والحدبة التناسلية وانتقائها، والمبيضين أو الخصيتين ومكانهما طبقا لخصائصهم المتميزة والفريدة عن باقي جميع خلايا الجسم. ثم يحدث اصطفاء للحيوان المنوي (من بين 300 مليون حيوان منوي في القذفة الواحدة) الذي يقوم بتخصيب البويضة المنتقاة من بين آلآلاف من البويضات في المبيض، ليتم بعد ذلك تخليق النسل. وكيفية اصطفاء جنس الجنين (ذكراً أو أنثى)، لنجد كل هذه البراهين العلمية تُحدد وبدقة متناهية مفهوم قوله تعالى (مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8). وقد ربط سعادته بين الخلق من سلالة من طين والجعل من سلالة من ماء مهين وبين الفرق بينهما. وهذا الكتاب دراسة متعمقة وإضافة علمية متميزة جديدة فى مدلولها ومعانيها وتوضيح لأعظم آيتين تتكلمان عن الإنسان وتبينان الإعجاز العلمى والسبق لكتاب الله وسنة الحبيب المصطفى ﷺ. وإن هذا الاتجاه في التصنيف وبيان الرابطة الوثيقة بين العلم والقرآن الكريم لمن أعظم النفع في بلاغ رسالة الإسلام إلى العالمين في عالم تسطو فيه المادة على الروح ويسيطر العقل غير الرشيد على كثير من البشر، كما أن هذا الباب من أبواب الجهاد في نشر الإسلام بطريق جامع بين الإقناع والإمتاع ، فالعرب الذين حداهم القرآن الكريم ببلاغته، فصار إيمانا بعجزهم عن المعارضة تحقيقا وصار إيماننا بعجزهم تقليدا فإن حقائق تؤكد كل يوم إعجاز القرآن الكريم، كما أن في هذا التوجه تأكيد مستمر على المعجزة الخالدة، وإني أشد على يد المصنف أن يمضي قدما في هذا، وأدعو أمثاله من أهل العلم إلى الكشف

عن الإعجاز العلمي في كتاب الله من كل الجوانب، فتلك مكانز في الدفاع وإثبات الحجة، والله أسأل أن يجعله فى ميزان حسناته وأن ينتفع الناس بعلمه، وأن ينفع بهذا العمل كل من قرأه، وأدعو المخلصين من المسلمين إلى ترجمة هذا الكتاب إلى لغاتهم، ونشر هذا العلم النفيس في بني جلدتهم فلأن يهدي بما ترجم رجلا خير من الدنيا ومافيها، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

وكتبه أ.د/ إبراهيم الهدهد

الأستاذ بجامعة الأزهر

وعضو مجمع البحوث لإسلامية

ورئيس جامعة الأزهر سابقا

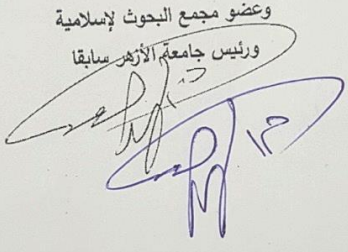

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد

لقد اطلعت على كتاب سعادة الأستاذ الدكتور حنفى مدبولى والمعنون "رحلة خلق الإنسان" ووجدت أن هذا الكتاب يتألف من بابين الأول منهما بعنوان"سلالة من طين " وفيه يتكلم سعادته عن الأدلة الشرعية على خلق الإنسان من الطين ، والأدلة العلمية الموثقة والمنشورة فى دوريات وكتب علمية عالمية والتى تبين أن الطين هو أصل الحياة إذ من خلال عناصره التى بين مسامه وعلى حبيباته تتكون المركبات العضوية مثل البروتينات والكربوهيدرات والدهنيات والأحماض النووية وأن هذه المركبات لها صفة التناسخ. كما أن الطين قادر على امتصاص الطاقة وحفظها وهى المطلوبة لتكوين هذه المركبات العضوية ، ويوجد تطابقا تاما بين صفات الطين وصفات خلايا وجسم الإنسان. والموت خير شاهد على الخلق من الطين حيث بعد أن تتحلل الجثة وتعود ترابا فلا يمكن التفرقة بين تراب هذه الجثة وتراب المقبرة التى فيها. ومن خلال التحليل المعملى للتراب وجسم الإنسان تبين أن جسم الإنسان يحتوي على ٢٦ عنصر من ١١٨ عنصر فى التربة وهذا يفسر قوله تعالى "من سلالة من طين". وفى الباب الثانى بين سعادته أن الذرية مخلوقة من سلالة من ماء مهين وأن معنى "سلالة" هى اصطفاء وانتقاء وتسلل شىء من شىء وتبين بالفعل أن اصطفاء الذرية يتوقف على اصطفاء وانتقاء الحيوانات المنوية والبويضات وكذلك اصطفاء الصفات الوراثية من جينات الأبوين. وقد ربط سعادته بين الخلق من سلالة من طين والجعل من سلالة من ماء مهين وبين الفرق بين الخلق والذى يكون بغير احتذاء وبلا سابقة له وهو الإبداع وهذا كان لخلق آدم عليه السلام ، وبين "الجعل" وهو الذى يعنى الصيرورة ويعنى أخذ شىء من شىء وهذا كان للذرية.

وهذا الكتاب دراسة متعمقة واضافة علمية متميزة جديدة فى محتواها ومعانيها وتوضيح لأعظم آيتين تتكلمان عن الإنسان وتبين الإعجاز العلمى والسبق العلمى لكتاب الله وسنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

والله أسأل أن يجعله فى ميزان حسناته نورا يمشى به على الصراط المستقيم ، وأن ينفع به الناس.

الأستاذ الدكتور/ عبدالله المصلح

رئيس المركز الدولي لأبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

مقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله: (يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً(70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً(71) سورة الأحزاب.

إن أعظم مخلوق على الأرض هو الإنسان كرمه الله عز وجل أعظم تكريم فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شئ ، وخلق الكون كله من أجله ، وسخره له للإستفادة منه قال تعالى فى سورة ابراهيم:(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) سورة ابراهيم ، فالكون كله بما فيه ومن فيه يشهد لله عز وجل بالوحدانية والربوبية والألوهية ، ويسبح له كل شىء فى الوجود بحمده عز وجل لأنه الخالق والرازق والمحى والمميت ، له صفات الكمال

ونعـوت الجـلال ، لا إلــه غيـره ولا رب سـواه ، يتحـدى المعانـدين والمتكبرين والظالمين ببديع خلقه واتقان صنعته فيقول لهم فى سورة لقمان: (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (11). ويذكر الناس جميعا بعظيم نعمته وفيوضات رحمته وأنه لا يقدر على ذلك إلا هو فيقول لهم فى سورة فاطر : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَـأَنَّى تُؤْفَكُونَ (3)، ولأنـه هـو الـذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين كما بين عز وجل فى سورة السجدة: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ (9) فكيف ينصرف الناس إلى عبادة غيره؟.

إن قصـة خلـق الإنسـان مـن الطـين مـا زالـت محـل جـدال منـذ القـدم وحتى اليوم. وهذا البحث بفضل الله تعالى يبين خلق الإنسان بالآيات التـى وردت فـى كتـاب الله عـز وجـل ، وبالأحاديـث الصـحيحة التـى وردت عن النبى محمد ﷺ وبما شهد به العلم الحديث بعد أن توفرت أدواته فى القرن العشرين وأوائل القرن الحادى والعشرين.

إن قضية خلق الإنسان مهما استفاض فيها العلماء من بيان فستظل كنزا من كنوز العلم لا تنفض عجائبه. فالإنسان مازال ذلك المجهول وإن ملأت أبحاث العلماء عنه مكتبات الأرض من مشارقها إلى مغاربها. إنه الإنسان الخليفة الذى جعله الله معمر هذا الكون والمعجز فى خلقه الأول آدم عليه السلام ، وفى خلق أمنا حواء عليها السلام من ضلعه ، وفى خلق عيسى بن مريم عليه السلام بدون أب ، وفى خلق الذرية من آدم وحواء ، إنه الإنسان المعجز فى خلقه وفى تركيبه وتفكيره ، وفى وظائف أعضائه ، ووفى سكونه وحركاته ، وفى علمه وتخطيطه.

ونستعين على فهم هذا الموضوع بالآيات القرآنية وتفسيرها والأحاديث النبوية بالنظر والتدقيق ، ونستشهد على ما فيها من دلالات علمية بخير شاهد فى هذا العصر وهو العلم ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى سورة فصلت:(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) بلى الله على كل شىء شهيد.

إن الإنسان ليقف خاشعا للذى خلقه فصوره ، وشق سمعه وبصره ، وهو يتأمل أوجه الإعجاز فى نفسه ، التى بينها رب العزة سبحانه وتعالى فى الفاظ مختصرة من آياته البينات النيرات فى كثير من

سور القرآن الكريم ، أو على لسان رسوله ﷺ فى الأحاديث الصحيحة المروية عنه ﷺ.

يربط الله سبحانه وتعالى بين خلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام وبين زوجه حواء عليها السلام وبين الذرية من بعدهما. وتشير الآيات بخلق أبو البشر جميعا من سلالة من طين ، وتشير إلى نسله من سلالة من ماء مهين فهل لهذا الربط من فائدة؟ وأستعين بالله العليم الخبير على فهم ذلك من رحلة خلق الإنسان.

من هذه الرحلة الطيبة المباركة نتأمل عظمة الخالق سبحانه وتعالى فى آيات الخلق ، ونتيقن من صدق رسالة النبى محمد ﷺ أشرف الخلق ، الذى بلغ هذا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وما فيهما من أوجه كثيرة لبراهين الإيمان. كما نتيقن من أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فيهما اشارات علمية عديدة وأنهما هداية وعلم للخلق لمن أراد منهم أن يبحث عن الحق.

عناصر البحث

يشتمل هذا البحث على العناصر التالية:

أولا: طلاقة القدرة فى خلق الإنسان.

ثانيا: بيان الآيات التى تتكلم عن خلق الإنسان من أسفار العهد القديم والجديد والقرآن العظيم.

ثالثا: الأحاديث النبوية التى لها صلة بهذا الموضوع.
رابعا: معرفة المعانى اللغوية التى وردت فى الآيات.
خامسا: تفسير الآيات التى تتكلم عن خلق الإنسان.
سادسا: الأدلة العلمية التى تدل بيقين على خلق الإنسان من الطين.
سابعا: الإعجاز العلمى فى الآيات التى تتكلم عن خلق الإنسان.
ثامنا: عبر وعظات من خلق آدم عليه السلام.

منهجية البحث:

وتعتمد منهجية البحث فى هذا الكتاب على معرفة وبيان:

1) رحلة خلق الإنسان منذ الحوار الهادف بين الله عز وجل وملائكته الكرام فى قضية خلق الإنسان من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى ذات الموضوع.
2) بيان المعانى الغوية للكلمات التى وردت فيها من كتب أهل اللغة
3) تفسير الآيات ذات الصلة بالموضوع من كتب التفاسير لجل علماء أهل السنة والجماعة.
4) الحقائق العلمية الموثقة فى المراجع العلمية أو فى أبحاث العلماء المنشورة فى الدوريات العلمية العالمية.

5) مناقشة آراء العلماء والباحثين فيما أوردوه أو التعليق بزيادة بيان أو ايضاح.

6) استنتاج خلاصة هذه الأعمال.

7) بيان البراهين العلمية على خلق الإنسان من الطين.

وهذا الكتاب يتكون من بابين الأول منهما يتحدث عن خلق الإنسان الأول من سلالة من طين ، بينما يتحدث الباب الثانى عن خلق الذرية من سلالة من ماء مهين. وكل باب مقسم إلى مجموعة من الفصول لها مسمياتها بحسب ما فيها من موضوعات.

والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل

د/ حنفى مدبولى
أستاذ الفيرولوجيا المتفرغ بجامعة بنى سويف – مصر
وعضو الهيئة العالمية للكتاب والسنة بمكة المكرمة
ورئيس اللجنة الطبية بالمكز الدولى للإعجاز العلمى للبحوث والتدريب بالقاهرة

الباب الأول

سلالة من طين

فى هذا الباب أتكلم بفضل الله وحوله وقوته عن رحلة خلق آدم عليه السلام كما بينها ربنا عز وجل فى القرآن الكريم، ومن السنة النبوية المطهرة. كما أبين خلاصة بحوث العلماء – من شتى بقاع الأرض – فى بيان أن الطين هو منشأ الحياة ، وقدرة الطين على تكوين وتخزين الطاقة اللازمة لبناء المركبات العضوية كالحمض النووى ، والبروتينات ، والكربوهيدرات ، والدهون من عناصر الطين الغير عضوية كالأوكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكربون والكالسيوم والفوسفور والصوديوم وغيرها من العناصر الكيميائية اللازمة لبناء الكائن الحى ، مما يدل على صدق الرسالة وصدق الرسول ﷺ

الفصل الأول

طلاقة القدرة فى خلق الإنسان

إن من أعظم الآيات والشواهد والدلالات على وجود الحق سبحانه وتعالى وعلى قيوميته على خلقه وعلى وحدانيته ، هذا العالم من حولنا وما يحتويه من آفاق فى الأرض وما عليها من جبال وأنهار وبحار ومحيطات ، وبحيرات ووديان وسهول وعيون وبرك ومستنقعات ، وما فى بطنها من معادن شتى وبترول ، وما فى السماء من أبراج ومجرات وشموس واقمار ونجوم نيرات ، وما فى البحار من شتى أنواع الكائنات البحرية دقيقها (كالبكتريا والطحالب والفيروسات) وجليلها كالحيتان وشتى أنواع الأسماك والقشريات والجوفمعيات وغيرها مما يحيطها الله وحده بعلمه وقدرته ، ومما أخرجه منها لعباده للانتفاع به ، وهذه المحيطات على عمقها واتساعها وما فى قعرها من براكين ملتهبة قد جمعها الله مع الماء فلا الماء يستطيع أن يوقف تدفقها أو اشتعالها ولا النار تستطيع أن تبخر الماء من فوقها وإنها لشاهدة أيضا على وحدانية الله تعالى.

والنفس البشرية وما تحتويه من أسرار الخلق والقدرة المطلقة لله رب العالمين ، كل هذه الدلالات شواهد حق على وجود الله القادر المقتدر

، وعلى قيوميته على خلقه وعلى رحمته بهم لكى يعرفوه ويعبدوه ويفردوه وحده بالعبادة ولذلك قال الله تعالى فى سورة فصلت (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53).

هذه النفس البشرية بدءا من خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام من الطين (من دون ذكر أو أنثى ومن دون رحم) وتصويره بهذه الصورة التى عليها الآن ذريته من بعده ، ثم تحويل هذا الطين إلى دم ولحم وعظم وشحم وعصب وأجهزة فى غاية التعقيد فى تركيبها ووظائفها (الجهاز الدورى ، الجهاز الهضمى وملحقاته ، الجهاز التنفسى ، الجهاز البولى ، الجهاز التناسلى ، الجهاز العصبى ، الجهاز الحركى ، الغدد الصماء....) كل منها يدل على الواحد الأحد الفرد الصمد سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

بل إن خلق أمنا حواء عليها السلام من آدم عليه السلام لدلالة أخرى على قدرة الخالق المبدع سبحانه وتعالى ، فهى مخلوقة من ضلع آدم عليه السلام ، أى من ذكر دون أنثى أو رحم أو نطفة ، مع اختلافها عن آدم عليه السلام فى بعض التركيب التشريحى والفسيولوجى (علم وظائف الأعضاء) إلا أنها تحتوى على أصل صفات الجنس البشرى التى أخذتها من آدم عليه السلام.

وخلق عيسى بن مريم عليه السلام من أنثى دون ذكر مع تقلبه جنينا فى رحمها لدلالة قاطعة على القدرة المطلقة للخالق سبحانه وتعالى، وعلى بشرية عيسى بن مريم عليه السلام. وأخيرا خلق الذرية من النطفة الأمشاج وهى أخلاط من نطفة الذكر ونطفة الأنثى والتى لا ترى إلا تحت الميكروسكوب بعد تكبيرهما آلاف المرات وما فيهما من عجائب الخلق وطلاقة القدرة ، والتصوير فى الأرحام ما يدل على القادر المقتدر المحى والمميت (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) سورة الأعراف.

إن علم الأجنة الذى ظهر ظهورا ساطعا فى القرن العشرين كعلم معترف به لم يصل حتى الآن إلى مكنون النفس البشرية ، بل جِلُّ ما توصل إليه العلماء المتخصصون هو كيفية تكوين الأجنة فى الأرحام من النطفة إلى اكتمال نموها وصيرورتها جنينا يتقلب فى رحم أمه ، وكيفية ثباتها أو سقوطها او خروجها طفلا غضا طريا يحتاج إلى من يرعاه ويربيه ويغيب عنهم الكثير من أسرار خلق الجنين.

لقد بين الله عز وجل تفاصيل هذه الرحلة فى كلمات موجزة مختصرة تفيد المعانى الاصطلاحية العلمية لها (نطفة ، علقة ، مضغة ، عظاما ، لحما ، خلقا آخر، طفلا) فتبارك الله أحسن الخالقين.

بل بين الله عز وجل فى كتابه العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مكنون النفس البشرية (النفس السوية، والنفس الراضية المرضية، والنفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة) كل هذا فى أبسط العبارات وأوجزها ، وأكملها فى الدلالة على معانيها وعلى قدرته عز وجل. بينما ألف العلماء فى ذلك الكثير من مؤلفات علم النفس التى ملأت مكتبات العالم ، وفُتِحت له الأقسام العلمية فى الكليات النظرية والأدبية ، وفى الكليات العملية كالطب وفى المعاهد البحثية على مستوى جامعات العالم.

أنماط خلق الانسان كما بينها القرآن:

من يقرأ القرآن الكريم يتبين له أن الله عز وجل ذو القدرة المطلقة فى خلق الإنسان ، وأن أنماط خلق الإنسان فى القرآن الكريم جاءت جميعها فى سورة النساء على النحو التالى:

1- خلق الإنسان الأول (آدم عليه السلام) بدون الحاجة إلى ذكر وأنثى بل خلقه من تراب.

2- الخلق من الذكر بدون أنثى أو رحم كما هو الحال فى خلق حواء من آدم عليهما السلام.

3- الخلق من الأنثى بدون ذكر كما هو الحال فى خلق عيسى بن مريم عليه السلام.

4- الخلق من الذكر والأنثى كما هو الحال من خلق ذرية آدم وحواء عليهما السلام.

هذا وقد ذكر الله عز وجل ثلاثة أنماط من هذه القدرة المطلقة على الخلق فى قوله عز وجل فى صدر سورة النساء (يَأَيّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً(1) ، وذكر النمط الرابع من الخلق وهو خلق عيسى بن مريم عليه السلام من أنثى دون الحاجة إلى ذكر فى نهاية سورة النساء أيضا ، ونسبه إلى أمه مريم بنت عمران البكر البتول المطهرة رضى الله عنها وأرضاها ، وبين سبحانه وتعالى أن عيسى بن مريم وأمه والملائكة ما استنكفوا عن عبادة الله وليس كما زعم أهل الشرك من النصارى : أنه هو الله ، أو ابن الله ، أو أنه ثالث ثلاثة (الأب ، والإبن ، والروح القدس) ولا أدرى كيف ربطوا هذا الثالوث؟ مع أن خلق عيسى عليه السلام كان بكلمة كن فكان ، وأن مريم التى حملته فى بطنها فترة حمله لم تذكر فى هذا الثالوث؟ مما يدل على قولهم هذا أنه نابع من هواهم ، وهذا الذى ذكروه وبعدوا به عن حقيقة

عيسى ابن مريم من أجل التضليل والغلو والبهتان ، فرد الله عز وجل عليهم افتراءهم هذا فى آيات نيرات لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا فقال سبحانه وتعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (173).

الفصل الثانى

حوار بين الله عز وجل ملائكته فى خلق آدم

بين الله عز وجل لملائكته الكرام عظيم خلقه وطلاقة قدرته فى الخلق والايجاد من العدم فاعلمهم بخلق جديد ليس من قبل الخلق الأول منهم أو من الجن بل هو مخلوق متميز عنهم وبين لهم الهدف من خلق هذا المخلوق الجديد فقال سبحانه وتعالى فى سورة البقرة :(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30).

والذى يقرأ كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ يستخلص من الحوار الذى كان بين رب العزة سبحانه وتعالى وعز وجل – وبين ملائكته الكرام– سبعة مشاهد حسية هادفة وهى:

المشهد الأول: كيفية خلق جسد آدم عليه السلام من الطين وفى هذا بيان بأهمية الطين فى خلق هذا الإنسان وبأنه مخلوق ضعيف.

المشهد الثانى: نفخ الروح فيه وتحويل الجسد من صلصال كالفخار إلى جسد يتحرك من لحم وعظم وشحم ودم وعصب، وهدف هذا

المشهد بيان القدرة المطلقة لله رب العالمين ، وأهمية الروح بالنسبة للجسد.

المشهد الثالث: أفضلية آدم على الملائكة الكرام بالعلم ، وهدفه بيان فوق كل ذى علم عليم ، وأن آدم عليه السلام يستحق لفظ "الخليفة" لأن الخلافة لابد وأن تبنى على العلم.

المشهد الرابع: سجود الملائكة لآدم لأفضلية العلم عنده ، وهدفه بيان أفضلية العلم والعلماء.

المشهد الخامس: عناد واستكبار إبليس وامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام وهدفه بيان لآدم عليه السلام وبنيه من بعده من هو هذا الذى يناصبهم العداء أبدا.

المشهد السادس: دخول آدم الجنة هو وزوجه ووسوسة إبليس لهما بالمعصية وهدفه التأكيد على عداوة إبليس لآدم وزوجه وذريتهما من بعدهما وبيان الأثر السيء للمعصية وهو تكشف السوءات والهبوط من الدرجات العلا إلى الدرجات الدنيا.

المشهد السابع: طرد إبليس من رحمة الله تعالى بسبب كبره وعناده، وقبول توبة آدم وحواء عليهما السلام ، وهبوط آدم وزوجه من الجنة

بالمعصية ، وهدفه بيان سعة رحمة الله تعالى بإلقاء كلمات التوبة النصوح لآدم وزوجه وبنيه من بعدهما وقبولها لكى يرتقى الإنسان مرة أخرى إلى الدرجات العلى ، وطرد إبليس من رحمة الله تعالى بسبب عناده وكبريائه.

وهذه المشاهد السبعة هى خلاصة قصة خلق آدم عليه السلام وما يستخلص من فوائد وعبر لتكوين الشخصية المؤمنة السوية ، وكيفية حمايتها من براثن ووساوس وعداوة عدوها اللدود الشيطان الرجيم عليه لعنة الله فى كل زمان ومكان، ومع سعة رحمة الله عز وجل فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات بل يبدلها لحسنات.

تفسير قوله تعالى:

" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30).

تفسير بن كثير([1]): يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم ، بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم ، فقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ) أي: واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة ، واقصص على

[1]) تفسير القرآن العظيم، المشهور بتفسير ابن كثير للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير ، توفي إسماعيل بن كثير يوم الخميس 26 شعبان 774 هـ في دمشق عن أربع وسبعين سنة.

قومك ذلك (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) أي: قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل ، كما قال تعالى فى سورة الأنعام: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(165)، وفى سورة النمل (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (62) .... والظاهر أنه لم يُرِدْ آدم عينا إذ لو كان كذلك لما حسن قول الملائكة: (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ[البقرة:30]) فإنهم إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك ، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص ، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمإ مسنون ، أو فهموا من معنى كلمة (الخليفة) أنه الذي يفصل بين الناس فيما يقع بينهم من المظالم ، ويرد عنهم المحارم والمآثم ، قاله القرطبي([1]).

[1]) الجامع لأحكام القرآن: القرطبى: ومؤلفه : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح كنيته أبو عبد الله ولد بقرطبة بـ(الأندلس) حيث تعلم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها كما تعلم الشعر أيضا. انتقل إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب في شمال أسيوط حتى وافته المنية في 9 شوال 671 هـ

وقال بن جرير الطبرى([1]): الخليفة من قولك: خلف فلان فلانا في هذا الأمر: إذا قام مقامه فيه بعده ، كما قال تعالى فى سورة يونس: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ(14). ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة ؛ لأنه خلف الذي كان قبله ، فقام بالأمر مقامه ، فكان منه خلفا.

وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول ، أي: لا يسألونه شيئا لم يأذن لهم فيه ، وهاهنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقا كان منهم السؤال. فقالوا: (أَتَجْعَلُ فِيهَا) وهو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك ، يقولون: يا ربنا ، ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء ، فإن كان المراد عبادتك ، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، أي: نصلي لك ولا يصدر منا شيء من ذلك ، وهلا وقع الاقتصار علينا؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم ؛ فإني سأجعل فيهم الأنبياء ، وأرسل فيهم الرسل ،

[1]) جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بـ "تفسير الطبري" للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري، ويُعِدَه البعض المرجع الأول للتفسير تاريخ التأليف: 270 هـ

ويوجد فيهم الصديقون والشهداء ، والصالحون والعباد ، والزهاد والأولياء ، والأبرار والمقربون ، والعلماء العاملون والخاشعون ، والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله. وقد ثبت في الصحيح: أن الملائكة إذا صعدت إلى الرب تعالى بأعمال عباده سألهم وهو أعلم: (كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون. وهذا من تفسير قوله تعالى: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ)

قال ابن جرير: تأويل الآية: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) أى: مني ، يخلفني في الحكم بين خلقي ، وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه. وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه.

وعن ابن عباس قال: أول من سكن الأرض الجن ، فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء ، وقتل بعضهم بعضا. قال: فبعث الله إليهم إبليس وجمع من الملائكة ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال. ثم خلق آدم وأسكنه إياها ، فلذلك قال: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)، فقالت الملائكة ذلك ، فقاسوا هؤلاء بأولئك. وقال بعضهم: سؤال الملائكة على وجه الاسترشاد والاستخبار عما لم يعلموا من ذلك ، فكأنهم قالوا : يا رب خبرنا ، لا على وجه الإنكار ، واختاره ابن جرير.

وعن ابن عباس أنه كان يقول : إن الله لما أخذ في خلق آدم قالت الملائكة: ما الله خالق خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم منا ، فابتلوا بخلق آدم ، وكل خلق مبتلى كما ابتليت السماوات والأرض بالطاعة فقال : (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) سورة فصلت.

وقوله تعالى: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) قال قتادة: التسبيح: التسبيح ، والتقديس: الصلاة ، وعن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة: قال: يقولون: نصلي لك . وقال مجاهد: نعظمك ونكبرك. وقال الضحاك: التقديس: التطهير. وقال محمد بن إسحاق: لا نعصي ولا نأتي شيئا تكرهه. وقال ابن جرير: التقديس: هو التعظيم والتطهير ، ومنه قولهم: سبوح قدوس ، يعني بقولهم: سبوح ، تنزيه له ، وبقولهم: قدوس ، طهارة وتعظيم له. فمعنى قول الملائكة إذا: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ) ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ، (وَنُقَدِّسُ لَكَ) ننسبك إلى ما هو من صفاتك ، من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك. فكان رد العليم الحكيم: (قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ).

الإعجاز الخطابى والبيانى فى هذه الآية:

أولا: بيان قيمة هذا الإنسان للملائكة باختيار اللفظ الشامل الذى يدل على ذلك وهو كلمة (خليفة) فمنه تعاقب الأجيال ، ومنه عمارة الأرض، ومنه أهمية العلم فى الخلافة واستمرار بقاء الأمم ، ومنه الحكم بما أنزل الله تعالى على أنبيائه ورسله.

ثانيا: استدل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما يختلفون فيه ، ويقطع تنازعهم ، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم ، ويقيم الحدود ، ويزجر عن تعاطي الفواحش ، إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بالإمام ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ثالثا: هذه الآية الكريمة تشير إلى أن الملائكة كانت مخلوقة قبل خلق آدم عليه السلام لقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة: 30]

رابعا: الإعلام بقيمة هذا الإنسان واهتمام الملائكة بشؤونه وهذا معلوم لنا من وظائف الملائكة ورعايتها لهذا الإنسان قال سبحانه: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ

لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ(7) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(8) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(9) سورة غافر.

خامسا: حب الإنسان للملائكة والإيمان بوجودهم فهو ركن من أركان الإيمان الست.

سؤال مهم: لماذا لم يعلم الله ملائكته بخلق الكون كما أعلمهم بخلق الإنسان؟:

وللإجابة على هذا السؤال لابد أن نعلم:

أولا: أن خلق الملائكة كان قبل خلق السماوات والأرض وكان قبل خلق الجن والإنس باتفاق أهل العلم.

ثانيا: أن الإنسان هو أكرم مخلوق خلقه الله عز وجل وهذا التكريم واضح فى خلق آدم كما هو جلى أيضا فى خلق بنى آدم قال تعالى فى سورة الإسراء (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70).

ثالثا: أن إعلام الملائكة بخلق آدم عليه السلام لأنهم سيقومون بخدمته وتيسير أموره فى كل مناحى الحياة الدنيا والآخرة بأمر ربهم وطواعية منهم لحبهم لهذا الإنسان.

أولا: خلق الملائكة كان قبل خلق السماوات والأرض ، وقبل خلق الجن والإنس باتفاق أهل العلم والأدلة على ذلك:

1) حديث عمران بن حصين عن النبى ﷺ قال:(كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذِّكر كلّ شيءٍ، وخلق السماوات والأرض([1]).

2) الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ :(كتَبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلقَ السَّماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ وعرشُه على الماءِ. وفي روايةٍ: مثلُهُ. غير أنَّهما لم يَذكرا : وعرشُه علَى الماءِ([2])

[1]) البخاري، محمد بن إسماعيل (256 هـ)، صحيح البخاري مطبوع مع فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية (بيروت- لبنان 1418 هـ – 1997 م)، رقم 3191. أطرافه في: 3190، 4365، 4386، 7418.

[2]) (قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السّماوات والأرض بخمسين ألف سنة). صحيح مسلم، كتاب القدر، حديث رقم 4797. وكذلك في سنن الترمذي، كتاب القدر، حديث رقم 2082. وكذلك في مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، حديث رقم 6291.

3)قدَّرَ اللهُ مقاديرَ الخلائقَ قبلَ أنْ يَخلقَ السَّماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ وعرشُهُ على الماءِ([1])

4)(كتب اللهُ تعالى مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أنْ يخلُقَ السماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ وعرشُهُ على الماءِ([2]) قال مجاهد: (وكان عرشه على الماء) قبل أن يخلق شيئاً، وقال "بدء الخلق العرش والماء والهواء (الفراغ)، وخلقت الأرض من الماء" ([3]). وقال قتادة: (وكان عرشه على الماء) ينبّئكم كيف كان بدءُ خلقه قبل أن يخلق السّماوات والأرض ([4]). وقال الطّيّبي: أشار بقوله (وكان عرشه على الماء) إلى أنّ الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السّماوات والأرض ([5])، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلاّ الماء ([6]، [7]).

---

[1]) (المحدث: ابن القيم - المصدر: اجتماع الجيوش الإسلامية - الصفحة أو الرقم 142، خلاصة حكم المحدث: ثابت)

[2]) (المحدث: الألباني - المصدر: صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم 4474، خلاصة حكم المحدث: صحيح)

[3]) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب 1، ص 356. أخرجه سعيد ابن منصور عن أبي عوانة بن أبي بشر عن مجاهد.

[4]) ابن كثير ، عماد الدين، تفسير القرآن العظيم. م 2، ص 575.

[5]) البيضاوي، ناصر الدين الشيرازي (ت 791 هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر (بيروت 1416 هـ- 1996 م)، خمسة أجزاء. ج 3، ص 221

[6]) أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف (654-754 هـ)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر (بيروت-لبنان 1412 هـ - 1992 م)، تسعة أجزاء . م 3 ص 213.

[7]) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج 6، ص 355.

قد وضّح الحديثان الشّريفان السّابقان حالة مبدأ الخلق والوجود قبل خلق السّماوات والأرض. وقد أورد العسقلاني في فتح الباري ([1]) قوله: "ووقع في الرّواية الّتي في التوحيد (ثمّ خلق السّماوات والأرض) ولم يقع بلفظ "ثمّ" إلاّ في ذكر خلق السّماوات والأرض. وفي رواية مسلم (إن الله قدّر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء) ، وهذا يؤيّدُ رواية من روى (ثمّ خلق السّماوات والأرض) باللّفظ الدّالّ على الترتيب ... وأشار بقوله (وكان عرشه على الماء) إلى أنّ الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السّماوات والأرض ([2]). والمراد بكان في الأوّل (كان الله) الأزليّة وفي الثاني (كان عرشه) الحدوث بعد العدم. وقد ذكر أهل العلم أن أول ما خلق الله تعالى الماء ثم العرش ثم القلم ثم السماوات والأرض، ودليل ذلك ما أخرجه أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي رزين مرفوعاً: (إن الماء خلق قبل العرش) وروى السدي بأسانيد متعدده: (إن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء). وإنّ أوّليّة القلم بالنّسبة إلى ما عدا الماء والعرش ... ألخ". وهناك الحديث الشريف الذي آتى بذكر الملائكة قبل الجن

[1]) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج 6، ص 355.
[2]) البيضاوي، ناصر الدين الشيرازي (ت 791 هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر (بيروت 1416 هـ- 1996 م)، خمسة أجزاء. ج 3، ص 221

وهو حديث مثبوت في صحيح مسلم: عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم ([1]) –وهذا الترتيب مهم فى خلق الملائكة أولا ثم الجن ثم الإنس– وليس بين ما ذكرنا من بدء الخلق وبين ما رواه الترمذي وصححه عن عبادة بن الصامت مرفوعاً أن: أول ما خلق الله القلم ثم قال: اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، تعارض كما نبه على ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قال: فإن أولية القلم بالنسبة إلى ماعدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة. أي أنه قيل له: اكتب أول ما خلق. انتهى. وهكذا توالت المخلوقات بعد ذلك في الخلق([2]).والله أعلم.

ومن هنا يتضح أن العرش خلق قبل السماوات والأرض ، وأن الملائكة خلقت قبل خلق الجن والإنس ، وكانوا يحملون العرش ، ومن الملائكة من يسبح بحمده ، ويحتفون حول العرش كما ورد فى سورة غافر على هذا الترتيب الرائع فى الآية (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا

[1]) مسلم (2996)، وأحمد (6/ 153)، وابن حبان (6155) رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/96478/

[2]) https://www.islamweb.net/ar/fatwa/26672/ تاريخ النشر:الأحد 18 شوال 1423 هـ - 22-12-2002 م

رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7)

الإعجاز البيانى فى هذه الآية:

أولا: بيان من الله عز وجل بإنه خصص ملائكة لحمل العرش.

ثانيا: بيان من الله عز وجل بأن له ملائكة حول العرش يسبحون بحمده.

ثالثا: إيمان الملائكة بربهم وخالقهم.

رابعا: استغفارهم للذين آمنوا ، وهذا لمدى حب الملائكة للذين آمنوا.

خامسا: بيانهم بسعة رحمة الله وعلمه لكى لا يقنط أحد من رحمته ولا يمل أحد من استجلاب علمه.

سادسا: طلبهم ورجاؤهم المباشر من الله عز وجل بأن يغفر للذين تابوا واتبعوا سبيله ويدخل فى هذا الرجاء آدم وحواء بعد توبتهما وهما فى الجنة ، وكل من صار على هديهما من بعدهما.

ولم يرد فى كتاب الله عز وجل ولا فى سنة نبيه بما يفيد أن الله أخبر الملائكة سواء منهم حملة العرش أو غيرهم بخلق السماوات والأرض

لأن الكون كله مسخر بأمره ومسخر لخدمة هذا الإنسان لقوله عز وجل فى سورة ابراهيم: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) ، وفى سورة الجاثية: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)

ومن هنا يتضح أهمية إعلام الملائكة بخلق الإنسان لأنه أكرم مخلوق خلقه الله تعالى ، بينما لم يعلم الله عز وجل الملائكة بخلق السماوات والأرض لأنها ليست أكرم على الله من خلق الإنسان بل هى أكبر من خلق الناس كما بين ربنا فى سورة غافر: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (57) ، ولأن هذا الكون كله مصيره إلى الزوال ويبقى فى النهاية هذا المخلوق المكرم سواء كان مصيره إلى الجنه أو إلى النار (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (48) والآيات على ذلك كثيرة منها ما ورد فى سورة التكوير: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4)

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14) ، وفى سورة الانشقاق: (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (1) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (2) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (4) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (5) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6) ، وفى سورة الإنفطار (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (4) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (5) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16)

والشاهد من هذه الآيات هو أن الكون كله يزول بينما يعود الإنسان إلى ربه ، أليس هذا أيضا من باب التكريم؟ كما تشير الآيات أيضا أن الملائكة مسخرة لخدمة هذا الإنسان كما فى قوله تعالى (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)

ثانيا: الأدلة على أن الإنسان هو أكرم مخلوق خلقه الله عز وجل:

ولبيان ذلك ننظر فى القرآن الكريم عن تكريم الله عز وجل لهذا الإنسان ، وقد ورد التكريم الأول لآدم عليه السلام ، والتكريم الثانى لبنيه من بعده.

التكريم الأول:

1- أن الله عز وجل خلق آدم بيديه لقوله عز وجل فى سورة ص ،(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) ، بينما خلق جميع المخلوقات الأخرى بقوله (كن فيكون) لقوله تعالى فى سورة يس: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (82)

2- أن الله سوى خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه لقوله عز وجل فى سورة الحجر: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29)

3- أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وهو سجود اجلال وتعظيم وتكريم لهذا المخلوق الذى علمه الله أسماء كل شىء وهو العليم الحكيم ، ولم يكن هذا العلم عند الملائكة ولهذا كان

السجود من الملائكة بعد البيان العملى لأفضلية آدم بالعلم لقوله عز وجل فى سورة البقرة : (وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33)

أو هو فى الحقيقة سجود لعظمة الخالق المبدع الذى خلق هذا الإنسان فى أحسن صورة رآتها الملائكة وعلمه أسماء كل شىء.

أو هو سجود لعلم الله المستفيض وهو العليم الحكيم

أو سجود تعظيم وتوقير لأن هذا الإنسان سيكون خليفة فى الأرض بالعلم فيعمرها ، ويكثر انتاجه وتنمو زراعته وصناعته وتجارته ، ويبتكر ويخترع ويغزو الفضاء ، ويركب البحار والمحيطات ، ويكون له القدرة على نشر ما تعلمه. بينما كان يراه إبليس اللعين أضعف منه فلم يسجد استكبارا أو حسدا لهذا المخلوق لقوله عز وجل: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وإبليس من الجن بنص الآية من سورة الكهف (وَإِذْ

قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ..(50) وهو فسق بهذا الاستكبار لأنه يعبد الله طواعية واختيارا ، وليس من الملائكة المجبولون على الطاعة كما ورد فى سورة التحريم (لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ(6).

أو سجدوا له سجود تحية لأنه يحكم بما أنزل الله ما وجد إلى ذلك سبيلا سواء كان خليفة أى حاكم ذى سلطان، أو راعيا لأهل بيته ، أو قائما بشرع الله فعلا وقولا بين جيرانه ومرؤسيه أو من له حق عليهم لما وجدوا فيه من الصلاح والتقوى وآثارهما عليه وفوائدهما الدنيوية.

الإعجاز البيانى والخطابى من هذه الآيات:

أولا: البيان العملى بتعليم آدم أسماء الأشياء كلها –وهو علم لم يكن عند الملائكة– لإقامة الحجة عليهم بأفضلية هذا المخلوق. ومن هنا نتعلم كيف نقيم الحجة على غيرنا عند طلب أمر هام منهم ، وهذا ما فعله النبى ﷺ عندما حُجِبَ بينه وبين آداء العمرة ، ووقع على صلح الحديبية ، وطلب من الناس أن يتحللوا من احرامهم بحلق رؤسهم فأبوا ، فلما أشارت عليه أم سلمة أن يخرج للناس ويباشر حلق رأسه قاموا فحلقوا رؤسهم.

ثانيا: الإعتراف الأكيد من الملائكة أن علمهم مستمد من علم الله العليم الحكيم ، وأن علمهم محدود بحسب ما تعلموه ، وهذا يشير إلى احترام وتوقير أهل العلم بما لديهم من علم والاعتراف بفضلهم هذا ، ويتطلب هذا التوقير والاحترام لهم طاعتهم فيما أمروا من معروف .

ثالثا: أن النبأ أوقع فى النفس من الخبر لتصديقه ، والنبأ هو الخبر اليقين (فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) وهذا يرشدنا إلى القول بالخبر اليقين وليس بالخبر المظنون.

رابعا: البيان من الله عز وجل للملائكة بأنه يعلم غيب السماوات والأرض بل ويعلم ما تكنه نفوسهم سواء بالإعلان أو بالكتمان. ليتيقنوا من عظمة الخالق سبحانه وتعالى فلا يعصونه فى أمر يطلبه منهم بعد ذلك (لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ(6)

التكريم الثانى وهو لبنى آدم:

لم يقتصر التكريم لآدم عليه السلام وحده ، بل امتد التكريم لبنيه من بعده لبيان عظمة هذا المخلوق من جنس الإنسان وهذا من قوله تعالى فى سورة الإسراء: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70)

قال الإمام القرطبى: قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) فيه ثلاث مسائل: الأولى: قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا); أي جعلنا لهم كرما أي شرفا وفضلا. وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة ، وحملهم في البر والبحر ، وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس ، وهذا لا يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم ; لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان ، ويلبسون الثياب ويأكلون المركبات من الأطعمة. وغاية كل حيوان يأكل لحما نيئا أو طعاما غير مركب. وحكى الطبري عن جماعة أن التفضيل هو أن يأكل بيده وسائر الحيوان بالفم([1]). وقال الضحاك: كرمهم بالنطق والتمييز. وقال عطاء: كرمهم بتعديل القامة وامتدادها. وقال يمان: بحسن الصورة. وقال محمد بن كعب: بأن جعل محمدا ﷺ منهم. وقيل أكرم الرجال باللحى والنساء بالذوائب. وقال محمد بن جرير الطبري: بتسليطهم على سائر الخلق ، وتسخير سائر الخلق لهم. وقيل: بالكلام والخط. وقيل: بالفهم والتمييز. والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف ، وبه يعرف الله ويفهم كلامه ، ويوصل إلى

[1]) وروي عن ابن عباس ; ذكره المهدوي والنحاس ; وهو قول الكلبي ومقاتل ; ذكره الماوردي.

نعيمه وتصديق رسله ; إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب.

الثانية : قالت فرقة : هذه الآية تقتضي تفضيل الملائكة على الإنس والجن من حيث إنهم المستثنون في قوله تعالى: (ولا الملائكة المقربون). وهذا غير لازم من الآية ، بل التفضيل فيها بين الإنس والجن ; فإن هذه الآية إنما عدد الله فيها على بني آدم ما خصهم به عن سائر الحيوان ، والجن هو الكثير المفضول ، والملائكة هم الخارجون عن الكثير المفضول ، ولم تتعرض الآية لذكرهم ، بل يحتمل أن الملائكة أفضل ، ويحتمل العكس ، ويحتمل التساوي ، وعلى الجملة فالكلام لا ينتهي في هذه المسألة إلى القطع.

الثالثة: قوله تعالى: (وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) يعني لذيذ المطاعم والمشارب. قال مقاتل: السمن والعسل والزبد والتمر والحلوى ، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم من التبن والعظام وغيرها.

(وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) أي على البهائم والدواب والوحش والطير بالغلبة والاستيلاء ، والثواب والجزاء والحفظ والتمييز وإصابة الفراسة.

وأما النهى عن أطايب الطعام والشراب فهو من الغلو فى الدين وليس من شريعة محمد ﷺ وروي عن إبراهيم بن أدهم أنه اشترى زبدا وعسلا وخبز حوارى ، فقيل له: ما هذا كله ؟ فقال : إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال ، وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال. وكان الثوري يأكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم إلى الصلاة. ومثل هذا عن السلف كثير([1]) أ.هـ .

وهذا التكريم الجلى الواضح ليدل دلالة قاطعة على عظمة هذا المخلوق عند الله تعالى ، ويوجد بون شاسع بين المخلوق المكرم وإن كان صغير الحجم وبين المخلوق الكبير الحجم ولكنه غير مكرم من رب العزة سبحانه وتعالى ، بل الكون كله مسخر لخدمة المخلوق المكرم وهو الإنسان. فليتأمل الإنسان مكانته عند ربه فإذا عرفها حق المعرفة عبده حق العباده وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

وأما عن قوله عز وجل: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) وأقول فى هذه المسألة باختصار أن لتعليم آدم الأسماء كلها له معنيين:

[1]) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى – تفسير الآية من سورة الإسراء

الأول: أنه بالفعل تعلم مسميات الأسماء كلها كما ذكر ذلك جل الصحابة والتابعين.

الثانى: أن الله استودع فى آدم القوى العقلية والفهم الصحيح على استنباط مسميات الأشياء من خصائصها ، وهذا ما أميل إليه لأن من الأشياء التى لها مسميات الآن لم تكن موجودة على عهد آدم ولا بنيه من بعده لآلاف السنين كما هو فى وقتنا الحاضر مثل: مسمى طيارة وهى التى تطير فى الجو ، وسيارة وهى التى تسير على الأرض وتلفاز أى الجهاز المشاهد المسموع من كلمتى Television ، ومركبة فضاء وهى يركبها أفراد لغزو الفضاء خارج حدود الغلاف الجوى وهكذا. وفى المستقبل ستكون أسماءً لمسمياتٍ لم نعلمها ولكن يستنبطها الإنسان من خصائصها.

وأما عن المعنى الأول فقد فسر ذلك جمع من الصحابة منهم ابن عباس حيث قال: (وعلم آدم الأسماء كلها) قال: عرض عليه أسماء ولده إنسانا إنسانا ، والدواب ، فقيل : هذا الحمار ، هذا الجمل ، هذا الفرس . و هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ، ودابة ، وسماء ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجمل ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. وعلمه اسم الصحفة والقدر ، حتى الفسوة والفسية .هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة ، بما اختصه به من

علم أسماء كل شيء دونهم ، لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة ، حين سألوا عن ذلك ، فأخبرهم الله تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ؛ ولهذا ذكر تعالى هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فُضِّلَ به عليهم في العلم ، فقال تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها)

وقال الربيع في رواية عنه: أسماء الملائكة. وقال حميد الشامي: أسماء النجوم. وقال عبد الرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته كلهم. واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية ؛ لأنه قال: (ثم عرضهم) وهذا عبارة عما يعقل. وهذا الذي رجح به ليس بلازم ، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم ، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب. كما قال: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) سورة النور. وقد قرأ عبد الله بن مسعود: ثم عرضهن وقرأ أبي بن كعب: ثم عرضها أي: السماوات. والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها: ذواتها وأفعالها ؛ كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية. يعني أسماء الذوات والأفعال ، المكبر والمصغر. وروى البخارى بسنده عن أنس حديث الشفاعة: (يجتمع المؤمنون يوم القيامة ، فيقولون : لو

استشفعنا إلى ربنا ؟ فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا...([1]) الحديث

وقال السدي:(وعلم آدم الأسماء كلها) ثم عرض الخلق على الملائكة ([2]).

وقال ابن جريج ، عن مجاهد: (ثم عرضهم) عرض أصحاب الأسماء على الملائكة. وقال ابن جرير: وعن الحسن وقتادة – قالا علمه اسم كل شيء ، وجعل يسمي كل شيء باسمه ، وعرضت عليه أمة أمة ([3]). وبهذا الإسناد عن الحسن وقتادة في قوله: (إن كنتم صادقين) إني لم أخلق خلقا إلا كنتم أعلم منه ، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.

---

[1]) ذكره البخاري في تفسير هذه الآية من كتاب التفسير من صحيحه : بسنده.. حدثنا قتادة ، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ، الحديث وهكذا ساق البخاري هذا الحديث هاهنا . وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام ، وهو ابن أبي عبد الله الدستوائي ، عن قتادة ، به . وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث سعيد ، وهو ابن أبي عروبة ، عن قتادة . ووجه إيراده هاهنا والمقصود منه قوله عليه الصلاة والسلام : (فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء) ، فدل هذا على أنه علمه أسماء جميع المخلوقات ؛ ولهذا قال : (ثم عرضهم على الملائكة) يعني : المسميات ؛ كما قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين)

[2]) في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة

[3]) ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره بسنده عن الحسن وقتادة : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني الحجاج ، عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة ، عن الحسن - وأبي بكر ، وقتادة

وقال الضحاك عن ابن عباس: (إن كنتم صادقين) إن كنتم تعلمون لِمَ أجعل في الأرض خليفة؟.

وقال السدي ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : إن كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء.

وقال ابن جرير : وأولى الأقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ، ومعنى ذلك فقال : أنبئوني بأسماء من عرضته عليكم أيها الملائكة القائلون : أتجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء ، من غيرنا أم منا ، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ إن كنتم صادقين في قيلكم : إني إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني ذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء ، وإن جعلتكم فيها أطعتموني واتبعتم أمري بالتعظيم لي والتقديس ، فإذا كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم تشاهدونهم ، فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد أحرى أن تكونوا غير عالمين.

وقوله: (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء ، وأن يعلموا شيئا إلا ما علمهم الله تعالى ،

ولهذا قالوا : (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) أي : العليم بكل شيء ، الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك من تشاء ومنعك من تشاء ، لك الحكمة في ذلك ، والعدل التام أ.هـ.

واستكمالا لهذا الاختبار العملى الذى يدل على أفضلية آدم عليه السلام وبنيه من بعده على الملائكة بالعلم (قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (33)

فلما ظهر فضل آدم ، عليه السلام ، على الملائكة ، عليهم السلام ، في سرده ما علمه الله تعالى من أسماء الأشياء ، قال الله تعالى للملائكة: (أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) أي: ألم أتقدم إليكم أني أعلم الغيب الظاهر والخفي. وقيل في معنى قوله تعالى: (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) قال أبو جعفر الرازي([1]) ، عن الربيع بن أنس: (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) فكان الذي أبدوا قولهم: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) وكان الذي كتموا بينهم قولهم : لن يخلق

[1]). التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ما هما إلا وجهان لعملة واحدة، وذلك لأنهما اسمان مشهوران بين العلماء والباحثين لتفسير واحد ألفه الإمام الفخر الرازي

ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه وأكرم. فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم. وقيل فيها غير ذلك من أقوال كثيرة مبسوطة فى كتب التفاسير.

وقال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك قول ابن عباس ، وهو أن معنى قوله تعالى: (وأعلم ما تبدون) وأعلم – مع علمي غيب السماوات والأرض – ما تظهرونه بألسنتكم وما كنتم تخفون في أنفسكم ، فلا يخفى علي شيء ، سواء عندي سرائركم ، وعلانيتكم. والذي أظهروه بألسنتهم قولهم : أتجعل فيها من يفسد فيها ، والذي كانوا يكتمون ما كان عليه منطويا إبليس من الخلاف على الله في أوامره ، والتكبر عن طاعته أ.هـ.

وبعد هذا الاختبار والبيان العملى للملائكة الكرام وتيقنهم بأفضلية آدم عليه السلام عليهم بالعلم أمرهم الله عز وجل بالسجود لآدم عليه السلام من قوله عز وجل: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)

وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته ، حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم . وقد دل على ذلك أيضا أحاديث كثيرة منها حديث الشفاعة المتقدم ، وحديث موسى ، عليه

السلام الذى حاج فيه آدم عليه السلام : قال: أنت آدم الذي خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ...([1]).

واستكمالا للمشهد الأخير وهو دخول الجنة والأمر بالأكل من خيراتها والنهى عن شجرة بعينها ووسوسة إبليس لهما وخروجهما من الجنة وبيان التوبة ، وهبوطهم إلى الأرض بقدر قدره الله على عباده تأتى الآيات النيرات لتصور لنا هذا المشهد ولتبين لنا سعة رحمة الله عز وجل ببيان التوبة وقبولها ممن تاب الله عليه. قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)

[1]) رواه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ، الصفحة أو الرقم: 2652 | https://dorar.net/hadith/search?

آيات وعبر وعظات من قصة خلق آدم عليه السلام :

1- أن الله عز وجل أعلم الملائكة بهذا الخلق الجديد وبين لهم مباشرة أن الهدف من خلق آدم عليه السلام هو جعله خليفة فى الأرض ، وكلمة خليفة لها معنيين عند علماء التفسير، والمعنى الأول منهما أنه يخلف بعضه بعضا فى الأرض ، ذرية بعضها من بعض وجيلا من بعد جيل فلا تندثر الصفات الوراثية من آدم الأول إلى آخر انسان قدر الله له الوجود فى الأرض حتى تقوم الساعة ، وهذه وحدها تحتاج إلى نظرة للتأمل ، أما المعنى الثانى لكلمة خليفة هو أنه يحكم بما أنزل الله فلا خلافة بدون الحكم بما أنزل الله عز وجل([1])

2- أن رد الملائكة يشير إلى فهمهم أن هذا الخليفة يكون من غيرهم وذهبوا بفكرهم هذا إلى الجن الذين من صفاتهم وطبائعهم على الأغلب سفك الدماء والفساد فى الأرض وهذا من خلال علمهم المشاهد عن الجن ولذلك كان ردهم: (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "(30)

[1]) تفسير ابن كثير صفحة القرآن رقم 6

3- الأمر الثانى من رد الملائكة أنهم قالوا على وجه التلميح دون التصريح بأن هذا الخليفة يكون منهم ويفهم ذلك من قولهم: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)

4- رد الله على الملائكة أن هذا الخليفة غير ما تظنون بل هو مخلوق جديد متميز عن غيره من الجن أو حتى أنتم أيتها الملائكة الكرام وذلك من قوله عز وجل: "إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "

5- بيان ميزة هذا المخلوق الجديد وهو آدم عليه السلام عن الجن والملائكة وهى قدرته على العلم والتعلم والتفكير والتحليل والاستنباط وبين سبحانه وتعالى هذا بالدليل العملى بتميز آدم عليه السلام عن الجن وعنهم بالعلم لبناء اليقين فى نفوس الملائكة ومن كان معهم من الجن وهو ابليس عليه لعنة الله. وهذا الدليل هو علم مسميات الأشياء وهذه مسألة فى غاية الصعوبة على من كان من الجن أو الملائكة إذ كيف يتم استنباط اسما لشىء له صفات أو خصائص يتم التعارف عليها بين الخلق؟. جاء هذا الدليل العملى ليبين لهم القدرة التى أودعها الله فى آدم عليه السلام وميزه بها عن الجن والملائكة وهى علم الأسماء فقال سبحانه وتعالى فى

سورة البقرة: (وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33)

6- أن العلم الذى علمه الله لآدم عليه السلام ميزه وفضله به عن الملائكة وتيقنت الملائكة من ذلك عندما علم الله آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال سبحانه وهو العليم الحكيم : (وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31)

7- أن الملائكة عجزوا أن يأتوا بمسميات هذه الأشياء كما بين ربنا عز وجل: (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)

8- فلما أمر الله عز وجل آدم عليه السلام أن ينبأهم بأسمائهم فأنبأهم بها ، بين الله عز وجل فضيلة هذا الانسان وبين لهم أنه سبحانه وتعالى يعلم غيب السموات والأرض ويعلم ما

أبدوه من بيان فساد الجن فى الأرض وقياس هذا الانسان على فعل الجن ، كما بين لهم أنه يعلم ما كانوا يكتمون قال الله تعالى : (قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) قال الله عز وجل لملائكته: (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33)

9- من هنا يتضح الهدف من قصة خلق آدم عليه السلام أما تفاصيل وكيفية الخلق فقد وردت فيها آيات كثيرة مذكورة فى أكثر من سورة ونبينها للرد على الذين يشكِكُون فى القرآن وأنه فيه آيات تتعارض مع بعضها البعض مثل الآيات التى وردت فى خلق الانسان ، وحتى لا يقول مُدعٍ أن آدم عليه السلام مخلوق من تراب أم من طين أم من طين لازب أم من حمأ مسنون أم من صلصال كالفخار؟ وهو لا يدرى أن التراب إذا مزج بالماء يكون طينا فإذا ما ترك فترة من الأيام يكون طينا لازبا أى ذو لزوجة ، فإذا ترك فترة أخرى يكون حمأ مسنونا أى له رائحة بعد تخمره ثم إذا ترك فترة أخرى يجف منه بعض الماء فيكون صلصالا كالفخار بعد تشكله اشكالا كالأوانى الفخارية.

10- أن الملائكة استجابوا لأمر الله بالسجود لآدم عليه السلام بعد تسويته ونفخ الروح فيه.

11- أما إبليس اللعين عليه لعنة الله فى كل زمان ومكان ، ناصب آدم عليه السلام العداوة والبغضاء ورفض السجود له وهذا ما بينه الله عز وجل فى قوله فى سورة البقرة : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) ، وبين الله عز وجل عداوة ابليس لآدم وزوجه حواء عليهما السلام لقوله تعالى فى سورة طه (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)

12- ومع هذا البيان الساطع لآدم وزوجه إلا أنهما عصيا الله عز وجل بأكلهما من الشجرة التى نهاهما ربهما عن الأكل منها ، وهذا بعد وسوسة الشيطان لهما وقسمه لهما أنه لهما لمن الناصحين قال الله تعالى فى سورة الأعراف:

(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا

عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25)

13- وبين الله عز وجل أنه عهد إلى آدم عليه السلام أن لا يجوع فى الجنة ولا يعرى، وأن لا يظمأ فيها ولا يضحى ، وأن الشيطان له ولزوجه عدو فلا يخرجنهما من الجنة فيشقى وهذا هو الخلود الحقيقى قال الله تعالى فى سورة طه:

(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120)

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122)

14- أن الله تعالى بين لآدم وحواء أن إبليس عدوهما حتى فى الأرض وأن السبب فى هبوطهما من الجنة إلى الأرض هو معصية الله عز وجل بطاعة إبليس ووساوسه وأنهما يعودان إلى الجنة مرة أخرى بطاعتهما لله وعصيانهما لإبليس عليه لعنة الله فى كل مكان وزمان قال الله تعالى فى سورة طه : (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آَيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآَيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127).

15- لابد وأن نعلم أن المعصية تخفض صاحبها كما حدث مع آدم وحواء عليهما السلام فبسبب المعصية أهبطا من الجنة

إلى الأرض ، والتوبة والطاعة ترفع صاحبها لأعلى عليين وهذا ما وعد الله عز وجل به عباده.

16- وبعد أن بين الله عز وجل عداوة إبليس لآدم وحواء عليهما السلام كان من رحمتة سبحانه وتعالى التبيين أيضا لذرية آدم وحواء أن الشيطان عدوا لهم لكى يحذروه إلى أن تقوم الساعة قال تعالى فى سورة يس: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62).

17- بين ربنا عز وجل أن المهتدى هو الذى يتبع الرسل وهو طريق الهدى وأن الخاسر هو الذى يتبع الشيطان وهو طريق الضلال قال تعالى فى سورة طه : (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آَيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآَيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127).

18- من هذا السرد البيانى يتضح أن الله عز وجل نصح أبو البشر آدم عليه السلام وزوجه أمنا حواء عليها السلام ، كما أنه سبحانه وتعالى بالغ فى النصح لذريتهما من بعدهما من عداوة هذا الشيطان اللعين، وحذرهم من وساوسه. بل إن من رحمته عز وجل أرسل الرسل وأنزل معهم الكتاب والحكمة ليكونوا هداية للبشر إلى رب العالمين وحتى لا يتركهم فريسة للشيطان الرجيم قال تعالى فى سورة آل عمران: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83).

19- يتبين من هذا كله ميزة آدم وحواء وذريتهما من بعدهما على الجن والملائكة بفضيلة العلم الذى استودعه الله فيهم جميعا ، وبيان رحمة الله عز وجل بآدم وحواء وذريتهما من بعدهما بالتحذير من الشيطان الرجيم ، ورحمته أيضا بإرسال

الرسل وإنزال الكتاب والحكمة عليهم ليدلوا الناس إلى الطريق المستقيم وهو الموصل إلى رضى رب العالمين.

لماذا هذا الحوار بين الله وملائكته فى مسألة خلق آدم عليه السلام؟ ويبرز هنا سؤال مهم جدا: لماذا هذا الحوار بين الله وملائكته فى مسألة خلق آدم عليه السلام؟

والجواب: أن الملائكة سوف يقومون بما يأمرهم الله به لخدمة هذا الانسان فمنهم من هو موكل بنزول الماء من السماء لإخراج الزروع والثمار التى يتغذى عليها هذا الانسان وتتغذى عليها بهيمة الانعام والطير والتى يستفيد الانسان منها بعد ذلك ، فيأكل من لحمها ويشرب من لبنها ويستخدم أصوافها وأوبارها وجلودها أثاثا ومتاعا إلى حين فى حال سفره واقامته قال تعالى فى سورة لقمان (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ(10) وفى سورة طه: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (54) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (55) ، ومن الملائكة من هو موكل بالتصوير فى الأرحام وبنفخ الروح فى الجنين وهو فى بطن أمه (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأرحام كَيْفَ يَشَاءُ(6) سورة آل عمران ، وفى الحديث

الصحيح (إذا مرَّ بالنطفةِ اثنتانِ وأربعون ليلةً ، بعث اللهُ إليها ملكًا فصوَّرها ، وخلق سمعَها وبصرَها ، وجلدَها ولحمَها وعظامَها ، ثم قال : يا ربِّ أَذكرٌ أم أُنثى ؟ فيقضي ربُّك ما شاء ، ويكتبُ الملَكُ ، ثم يقولُ : يا ربِّ أجلُه ، فيقول ربُّك ما شاء ، ويكتبُ الملَكُ ، ثم يقول : يا ربِّ رِزقُه ، فيقضي ربُّك ما شاء ، ويكتبُ الملَكُ ، ثم يخرجُ الملَكُ بالصحيفةِ في يدِه ، فلا يزيدُ على أمرٍ ، ولا يُنقِصُ([1]). ومنهم من هو موكل بكتابة الحسنات والسيئات التى تصدر من هذا الانسان وهم الكتبة الحفظة كما فى سورة الرعد: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (11)، ومنهم من هو موكل بنزول الوحى من السماء كجبريل عليه السلام كما بين ربنا عز وجل فى سورة الشعراء: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ (196) ، والذى به "أى بالوحى" تكون الخلافة فى الأرض لكى يتعايش الناس فى أمن وأمان وسلام وإسلام ماداموا على تطبيق شرع الله ، أما إذا خالفوا شرع الله فسدوا وأفسدوا وقتلوا وقُتِلوا ونهبوا وانتُهِبوا

[1]) رواه مسلم بسنده عن حذيفة بن أسيد الغفارى .

إلى غير ذلك من المفاسد المهلكة ، ومنهم من هو موكل بقبض الأرواح كملك الموت وأعوانه على ذلك كما فى قوله تعالى فى سورة الأنبياء: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)، وقوله تعالى فى سورة السجدة (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11)، ومنهم من هو خازن للجنة ومن معه من الملائكة الكرام الذين يستقبلون وفود المؤمنين الصالحين عند دخولهم الجنة : قال تعالى فى سورة الزمر: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) ومنهم من هو خازن للنار كمالك وأعوانه الذين يقومون بتعذيب العصاة المذنبين "وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77) سورة الزخرف. من هنا يتضح أهمية إعلام الملائكة بهذا الانسان معمر هذا الكون وكان ولابد من بيان فضله وميزته حتى تقوم الملائكة بواجباتها طواعية لله عز وجل ، ورضا واعترافا منها بعلمه وفضله الذى امتن به على آدم عليه السلام ، وهذا يتضح من فعلها عندما أمرهم الله أن يسجدوا لآدم عليه السلام فسجدوا إلا إبليس المعاند المكابر أبى واستكبر.

الفصل الثالث

الأدلة الشرعية على خلق الإنسان من الطين

ربما يظن البعض أن الأدلة على خلق الإنسان من الطين وردت فى القرآن الكريم فقط ولكن فى الحقيقة توجد أدلة كثيرة خصوصا فى سفر التكوين من أسفار العهد القديم ، وهذا السفر يتحدث عن خلق الكون والإنسان وأستعين بما فيه من أدلة تتطابق مع ما فى القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة أمتثالا لهدى النبى محمد ﷺ كما ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) ولهذا كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك([1]).

[1]) كتاب: علوم القرآن الكريم، تأليف: الدكتور يوسف المرعشلي، الناشر: دار المعرفة، الطبعة الثانية: 2017م، ص: 421-422 . ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فانها على ثلاثة أقسام: وتنقسم الإسرائيليات إلى ثلاث أقسام:الأول: ما يُعلَم صحته بالنقل عن النبي وهو صحيح مقبول. وكذا إذا كان له شاهد من الشرع يؤيده ، الثاني: ما يُعلَم كَذِبه فلا يصح قبوله ولا روايته ، الثالث: مسكوت عنه لا هو من الأول ولا من الثاني، فلا نؤمن به ولا نكذّبه، وتجوز حكايته للحديث: (لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكذِّبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا). وهذا القسم غالبه مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني. ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرا. ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك.

أولا: الأدلة من أسفار العهد القديم:

وردت عبارات كثيرة من أسفار العهد القديم خصوصا فى سفر التكوين والذى يتكلم عن الخلق منها: (قال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا (سفر التكوين ١: ٢٦، ٢٧) ، ومنها (حرم الله سفك الدم، لأن الإنسان صنع على صورة الله. (سفر التكوين ٩: ٥، ٦)

Genesis 2:7, which specifically says: "The LORD "God formed man from the dust of the ground

(الرب العظيم خلق الإنسان من تراب الأرض)

According to the Bible, the first man was perfect, .made in the image of God (Genesis 1:26)

(الإنسان الأول المثالى صنع على صورة الرب)

(Genesis 2:21): Eve, namely that God made her from one of Adam's ribs

(حواء صنعها الله من أحد أضلع آدم)

Luke goes so far as to call Adam the Son of God ، (Luke 3:38([1]))

(أن لوقا ذهب بعيدا عندما نادى آدم بأنه إبن الله)

[1]) From Dust to Dust : by Ginger Allen on February 15, 2012

ثانيا: من أسفار العهد الجديد:

أن الكتاب المقدس أخبرنا أن آدم هو أول إنسان حيوى

The Bible tells us that Adam was the first biological man ([1])

ثالثا: من القرآن الكريم:

أنماط خلق الإنسان:

من يقرأ القرآن الكريم يتبين له أن الله عز وجل ذو القدرة المطلقة فى خلق الإنسان ، وأن أنماط خلق الإنسان فى القرآن الكريم جاءت جميعها فى سورة النساء على النحو التالى: **بدون ذكر وأنثى (آدم عليه السلام) ، ومن الذكر (حواء من آدم عليهما السلام) ، ومن الأنثى بدون ذكر (عيسى بن مريم) ، ومن الذكر والأنثى (ذرية آدم وحواء عليهما السلام)**

هذا وقد ذكر الله عز وجل ثلاثة أنماط من هذه القدرة المطلقة على الخلق فى قوله عز وجل فى صدر سورة النساء: (يَأَيّهَا النّاسُ اتّقُواْ

[1])(سفر التكوين 1-5، والتثنية 1 ، 8 : 32 ، السجلات 1:1 ، لوقا 3 : 38 ، الرومانسية 5 : 14 ، 1 ، تيموثى 2 : 13 ، العدالة 1: 14) (in Genesis 1–5; Deuteronomy 32:8; 1 Chronicles 1:1; Luke 3:38; Romans 5:14; 1 Timothy 2:13; and Jude 1:14)

رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً(1) ، وذكر النمط الرابع من الخلق وهو خلق عيسى بن مريم عليه السلام من أنثى دون الحاجة إلى ذكر فى نهاية سورة النساء أيضا([1]) ، ونسبه إلى أمه مريم بنت عمران البكر البتول المطهرة رضى الله عنها وأرضاها.

وبين سبحانه وتعالى أن عيسى بن مريم وأمه والملائكة ما استنكفوا عن عبادة الله وليس كما زعم أهل الشرك من النصارى أنه هو الله ، أو ابن الله ، أو أنه ثالث ثلاثة ، فرد الله عز وجل عليهم افتراءهم هذا فى آيات نيرات لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ، فقال سبحانه وتعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) النساء

[1]) كانت بشارة الملائكة لمريم بنت عمران فى سورة آل عمران (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين(45)

وبين سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (59) ، وهذا أقوى دليل على بشرية عيسى بن مريم عليه السلام ، لأنه كان يأكل مما تخرجه الأرض ، وأنه باعترافه هو (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) سورة المائدة.

بيان كيفية خلق الإنسان

بين ربنا عز وجل فى القرآن الكريم كيفية خلق الإنسان ابتداء من خلق آدم عليه السلام إلى خلق ذريته من بعده ، وهذا البيان جاء على وجه التفصيل فى خلق آدم وحواء عليهما السلام وخلق الذرية منهما ومن بعدهما. وبين الله عز وجل أن خلق آدم عليه السلام تم على مرحلتين أساسيتين :

الأولى منهما: هى مرحلة خلق الجسد من التراب والماء ليكونا الطين الذى يتشكل منه الجسد والتغيرات التى طرأت على هذا المخلوق من الطين حتى تسويته.

ثم المرحلة الثانية:

وهى النفخ فيه من روح الله عز وجل ليتحول هذا الجسد بحول الله وقوته وعظيم قدرته من الطين إلى دم ولحم وعظم وشحم وعصب فتدب فيه الحياة فتتحرك الأجهزة والأعضاء وتعمل بقدرة الله عز وجل لتتلاءم وظيفة هذا الإنسان فى الوجود ، فيفكر ويخطط وينفذ ويعمر ويخلف بعضه بعضا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى فى سورة الحجر: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فهو سبحانه وحده العليم الخبير بهذه النفس البشرية وبكل ما خلق ، (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14) سورة الملك.

الروح من أمر الله:

إن تحويل هذا الجسد من الطين إلى إنسان يبصر ويسمع ويأكل ويشرب بعد نفخ الروح فيه ليدل دلالة قاطعة بأن الروح سر عظيم من أسرار الملك الديان رب الكون والإنسان ومالك يوم الدين ، هى سر الملك والملكوت لا يطلع عليه إنس ولا جان ولا ملك مقرب.

وإن العلم ليقف أمامها حائرا ودونك هذه الحقيقة :

لقد أنفقت الإدارة الشيوعية السوفيتية خلال ستين عاماً من الشيوعية ما قيمته ستين مليار روبل حتى يثبتوا نظرية "إنجلز" القائلة: "الحياة ما هي إلا تفاعل كيميائي" وفي سنة "1969م" ، وبعد أن امتلأت المعامل بالأجهزة العلمية وضيع العلماء من عمرهم السنين الطوال ، ثم قدَّم العلماء إلى القادة السوفييت خلاصة هذه البحوث : " ليس للعلوم قدرة على إثبات أن الحياة نتيجة تفاعل كيميائي، وإيجاد الحياة لا يكون إلا عن طريق الخلايا الحية التي لا نستطيع أن نوجدها من المادة غير الحية، وكذلك النبات"([1]) ".

المادة التى خلق منها الجسد:

ذكر ربنا عز وجل فى القرآن العظيم خلق الجسد بآيات كثيرة منها ذكره عز وجل أنه خلقه من الأرض ، التراب ، الماء ، الطين ، الطين الازب ، الحمأ المسنون ، الصلصال كالفخار فهل هناك تعارض بين هذه المسميات فى مسألة خلق آدم عليه السلام؟ وللإجابة على هذا السؤال ننظر إلى الآيات التى ذكرت خلق آدم عليه السلام وخلق أمنا حواء عليها السلام منه.

[1]) نقلاً عن حديث للدكتور معروف الدواليبي نشر في صحيفة المدينة المنورة في العدد (6287) الأربعاء 13 رمضان 1404هـ.

أولا: الخلق من الأرض:

1- قوله تعالى (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ (61) سورة هود.

2- وقوله تعالى: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) سورة طه.

3- وقوله تعالى (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ (32) سورة النجم.

4- وقوله تعالى: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) سورة نوح.

ثانيا: الخلق من الماء :

قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا (54) سورة الفرقان.

ثالثا: الخلق من التراب:

1- من قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ (59) سورة آل عمران.

2- وقوله تعالى: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ (37) سورة الكهف.

3- وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ (5) سورة الحج.

4- وقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20) سورة الروم.

5- وقوله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا .. (11) سورة فاطر.

6- وقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ (67) سورة غافر.

رابعا: الخلق من الطين:

1- من قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا (2) سورة الأنعام.

2- وقوله تعالى: (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) سورة الأعراف.

3- وقوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) سورة المؤمنون.

4- وقوله تعالى: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) سورة السجدة.

5- وقوله تعالى: (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11) سورة الصافات.

6- وقوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) سورة ص.

7- وقوله تعالى: (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) سورة ص.

خامسا: الخلق من الحمأ المسنون والصلصال كالفخار:

1- قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) سورة الحجر.

2- وقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) سورة الحجر.

3- وقوله تعالى: (قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33) سورة الحجر.

4- وقوله تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) سورة الرحمن.

من هذه الآيات يتضح أن الله خلق الانسان من الأرض وهى تحتوى التراب والماء ، وباختلاطهما يتكون الطين فإذا صار الطين ذو

لزوجة أصبح طينا لازبا ، وإذا تغيرت رائحته اصبح حمأ مسنونا ، فإذا تبخر منه بعض الماء وتشكل أشكالا صار صلصالا كالفخار وهذا معروف ومشهود ومحسوس فى دنيا الناس.

خلق آدم من قبضة من جميع الأرض وتنوع بشرته:

ولقد بين النبى محمد ﷺ المادة التى خلق منها الإنسان فقال ﷺ «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب وبين ذلك**([1])» وهذا الحديث موضح ومبين ومفسر لقوله عز وجل فى سورة الروم : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ(22) حتى لا يترك الله عز وجل العقول فى مجال التيه والحيرة فقد بين لهم على لسان رسوله ﷺ ما جاء فى القرآن الكريم من اختلاف ألوان الناس ، ومن أين جاء هذا الاختلاف فى ألوانهم وحتى فى ألسنتهم([2]).

---

[1]) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وقال حديث صحيح

[2]) هل الاختلاف فى اللسان هو من الاختلاف قبضة الأرض؟ هذا يحتاج إلى بحث عميق من عدة دول لكى نثبت ذلك والله المستعان

بل إن خلق أمنا حواء([1]) عليها السلام من آدم عليه السلام ، لدلالة جديدة على قدرة الخالق المبدع سبحانه وتعالى ، فهى مخلوقة من ضلع آدم عليه السلام ، أى من ذكر دون أنثى أو رحم أو نطفة مع اختلافها عن آدم عليه السلام فى بعض التركيب التشريحى والفسيولوجى([2]) إلا أنها تحتوى على أصل صفات الجنس البشرى التى أخذتها من آدم عليه السلام.

وخلق عيسى بن مريم عليه السلام من أنثى دون ذكر مع تقلبه جنينا فى رحمها لدلالة قاطعة على القدرة المطلقة للخالق سبحانه وتعالى وعلى بشرية عيسى بن مريم ، وهذا رد قاطع على الذين يدعون بأن عيسى بن مريم هو الله أو إبن الله.

وأخيرا خلق الذرية من نطفة الذكر ونطفة الأنثى والتى لا ترى إلا تحت الميكروسكوب بعد تكبيرهما آلاف المرات وما فيهما من عجائب الخلق وطلاقة القدرة ، والتصوير فى الأرحام ما يدل على القادر المقتدر المحى والمميت (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) سورة الأعراف.

---

[1]) (وهى مخلوقة من نفس المادة التى خلق الله عز وجل منها آدم عليه السلام من الأرض ومن الطين)

[2]) الفسيولوجى هو علم وظائف الأعضاء أى أن لكل خلية وظيفة ولكل عضو بالجسم وظيفة يقوم بها من أجل حياة الجسم

بل بين الله عز وجل فى كتابه العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مكنون النفس البشرية ([1]) ، وقسمها إلى النفس السوية، والنفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة) كل هذا فى أبسط العبارات وأوجزها ، وأكملها فى الدلالة على معانيها وعلى قدرته عز وجل فسبحان الخالق الكبير المتعال .

[1]) ألف فيها علماء النفس والاجتماع مؤلفات ملأت مكتبات العالم وما توصلت إلى حقيقة مكنون هذه النفس البشرية وما استطاعوا أن يتفقوا على تقسيم لها يشفى الصدور بدءا من أرسطو وأفلاطون مرورا بدوركايم حتى عصرنا الحديث

الفصل الرابع

مراحل خلق آدم عليه السلام

لم يترك الله عز وجل العقول تتيه فى ظلمات الحيرة والضلال فى كيفية خلق آدم عليه السلام بل بين لهم أطوار هذا الخلق وما مر به حتى نفخ فيه من روحه ليصير الجسد الجامد قبل نفخ الروح فيه إلى إنسان يبصر ويسمع ويتنفس ويأكل ويشرب ويتكاثر .... وكل هذا بعد نفخ الروح فيه. وهذا المشهد الرائع نجده معكوسا تماما بعد نزع الروح من الجسد فيكون بلا حراك وتمر جثته بعدة مراحل من التحلل بدأ من الصلصال الفخار حتى عودته ترابا إلى الأرض.

وفى هذا الفصل – بفضل الله تعالى وحوله وقوته– أوضح المعانى اللغوية وتفاسير العلماء لكل طور من أطوار خلق آدم عليه السلام.

أولا: الخلق من الأرض:

بين سبحانه وتعالى أنه خلقنا من الأرض كما فى قوله تعالى فى سورة هود: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ (61) ، وفى سورة طه: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55).

والأرض فى اللغة : هى الجرم المقابل للسماء، وجمعه أرضون، ولا تجيء مجموعة في القرآن([1])، ويعبر بها عن أسفل الشيء ، كما يعبر بالسماء عن أعلاه. ويقال: أرض أريضة، أي: حسنة النبت([2]). وتأرض النبت: تمكن على الأرض فكثر، وتأرض الجدي: إذا تناول نبت الأرض، والأرضة: الدودة التي تقع في الخشب من الأرض([3]). وقال الزمخشري: وقد بين النبى ﷺ أنه خلق آدم عليه السلام من قبضة من الأرض ويعنى بها قبضة من تراب الأرض وهو من قشرة الأرض. وذكر بن كثير فى تفسيره: قوله تعالى فى سورة هود: (هُوَ أَنشَأَكُمْ مّنَ الأرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا (61). قوله عز وجل (هُوَ أَنشَأَكُمْ مّنَ الأرْضِ) أي ابتدأ خلقكم منها خلق منها أباكم آدم (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) أي جعلكم عماراً تعمرونها وتستغلونها.

ولنا أن نعلم ممَ تتكون الأرض؟ نعم لقد خلق الله الإنسان من الأرض ، والأرض فيها التراب(اليابسة) بنسبة 29% ، والماء بنسبة 71% وخلط التراب بالماء يعطى الطين ، وجسد الإنسان يحتوى 29% مواد صلبة (من تراب الأرض) ، 71% ماء([4]) وتختلف نسبة الماء

---

[1]) انظر: المجمل 92/1

[2]) انظر: المجمل 92/2؛ والعين 55/7

[3]) راجع اللسان (أرض) 113/7؛ والعين 56/7

[4]) Watson, P. E.; Watson, I. D.; Batt, R. D. (January 1980). "Total body water volumes for adult males and females estimated from simple anthropometric measurements" (PDF). The American Journal of Clinical Nutrition. 33 (1): 27–39. doi:10.1093/ajcn/33.1.27.

فى الجسم على حسب السن والجنس كما أنها تختلف فى الجلد والدم والأعضاء الداخلية(شكل 1)

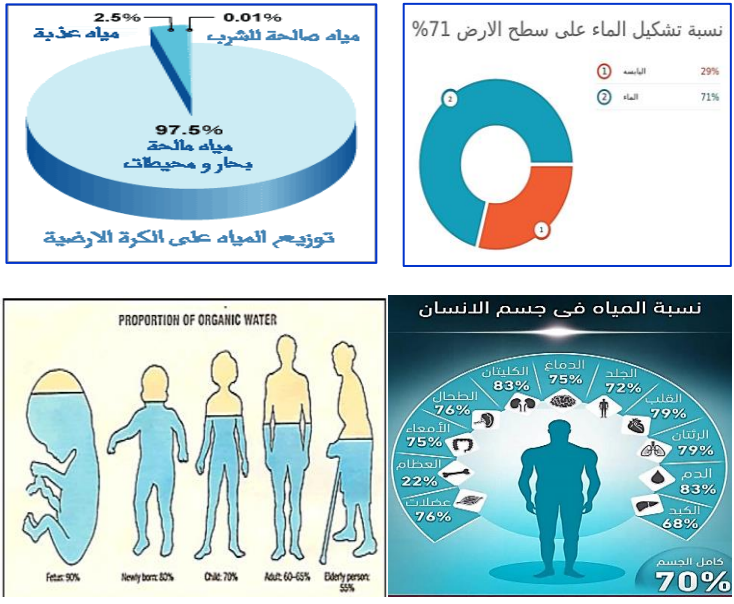

شكل(1) يبين العلاقة بين نسبة الماء واليابسة على الأرض ونسبة الماء والمواد الصلبة فى جسم الإنسان واختلاف نسب الماء فى جسم الإنسان حسب العمر واختلاف النسب فى كل عضو من الجسم

وعن الخلق من الماء يقول الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54) سورة الفرقان ، وجملة آيات الماء 63 آية ومنه الحياة لقوله تعالى فى سورة الأنبياء: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ(30) ، وعمر النبى ﷺ 63 عاما

وجاء بحياة القلوب والأرواح([1]). وكلمة "بشرا" أى ذو بشرة ملساء غير مغطاة بقشور كالأسماك ، أو حرافيش كالزواحف، أو بريش كالطيور ، أو بشعر كثيف كالحيوانات ، وهذا يميز آدم عن باقى المخلوقات فيكون خلقه فريدا عنهم. كما تشير هذه الآية الكريمة إلى خصيصة أخرى لم تكن موجودة فى أى مخلوق آخر سوى الإنسان ، وما يستطيع أى عالم أن يثبتها لغير الإنسان وهى من قوله عز وجل (فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذى جعل الله له نسبا وصهرا.

وبين الله عز وجل أنه جعل الماء سبب للحياة على الأرض لقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ(30) الانبياء

وبين سبحانه وتعالى أن أى دابة على الأرض مخلوقة من ماء لقوله تعالى فى سورة النور: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45).

[1]) البعض يتكلم عن الإعجاز العددى أو الإعجاز الرقمى فى القرآن الكريم من خلال بعض الآيات التى تشير إلى ذلك ، ولكنى لا أريد أن أخوض فى هذه المسألة حتى اتيقن من حقيقتها فإن عليها اختلاف كبير

وقال علماء التفسير: قال قتادة خلق الله كل شيء حى من الماء وحفظ حياة كل شيء حى بالماء. قال قطرب جعل ما من ماء الصلب والترائب كل شيء حى.

وإذا حسبنا متوسط نسبة ما يشربه الإنسان من ماء عذب (1.5 لتر) إلى نسبة الماء المختلط بالأملاح بجسمه 71 % لوجدناها 2,11 % وهى نفس نسبة المياة العذبة إلى المياه المالحة على الكرة الأرضية تقريبا(شكل 1)

وللماء أهمية لبقاء جسم الإنسان حيا منها: فالماء اعظم منظف للسموم ، ويمنع الشيخوخة المبكرة للجلد والأنسجة، ويساعد على امتصاص العناصر الغذائية، ومكون أساسى لسلامة الدورة الدموية ، وينظم تبريد الجسم ، ويقوم بجميع العمليات الفسيولوجية فى الجسم (تنفس وتلين المفاصل وتركيب الخلايا والانزيمات والهرمونات)

ثانيا: الخلق من التراب:

يقول تعالى فى سورة آل عمران: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59)

جاء في المعجم الوسيط: التراب: هو ما نعم من أديم الأرض؛ والتربة: جزء الأرض السطحي الصالح لأن يكون مهداً للنبات.

وجاء في لسان العرب: تربة الأرض: طاهرها.

وبين النبى ﷺ (أن اللهَ خلَقَ آدمَ مِن قبضةٍ قَبَضَها مِن جميعِ الأرضِ ، فجاءَ بنو آدمَ على قَدْرِ الأرضِ : جاء منهم الأحمرُ ، والأبيضُ ، والأسودُ ، وبينَ ذلك ، والسَّهْلُ ، والحَزْنُ ، والخبيثُ ، والطيِّبُ – زاد في حديث يحيى – وبين ذلك ([1]).

في هذا الحَديثِ يُبيّن النَّبيُّ ﷺ كيفيةَ خَلْق آدمَ عليه السَّلامُ وذُرّيتِه، فيقول: (أنَّ اللهَ خلَق آدَمَ مِن قَبْضَةٍ قبَضَها)، أي: كان ابتداءُ خَلْقِ الإنسانِ مِن قَبْضَتِه سبحانه وتعالى، والقبضة: هي ما يُضمُّ عليه بالكفِّ، (مِن جَميعِ الأرضِ) أي: مِن جميعِ أجزائِها؛ مِن طيِّبها وخَبيثِها ومُختلَفِ ألوانها، كما قال تعالى فى سورة طه: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55). (فجاءَ بنُو آدَمَ على قَدْرِ الأَرْضِ)، أيْ: مِن الأشكالِ والطِّبَاعِ، فمِن أَبيضِها جاء الأبيضُ، ومِن أسهَلِها جاءَ السهلُ، وهكذا (جاء منهم الأحمرُ) كالتُّركِ، (والأبيضُ) كالعَربِ، (والأسودُ) كالحُبشِ؛ فالكلُّ جاءَ بحَسب تُرْبتِه،

[1]) صححه الإمام الألبان فى صحيح أبى داود عن أبى موسى الأشعري الصفحة أو الرقم: 4693

وهذِه هِي أُصولُ الألوانِ، والباقِي مُرَكَّبٌ منها، كما قال: (وبيْن ذلك) أي: وغير هذِه الألوانِ أجزاءٌ منها ومرَكَّبٌ منها. وهذا ما كان مِن الألوانِ، وأمَّا ما كان مِنَ الطِّباعِ؛ فمنها: (السَّهْل والحَزْن) أي: اللَّيِّن الرَّفِيق، وغَلِيظ الطَّبْع الجَافِي العَنِيف، ومنها: (الخَبِيثُ والطَّيِّبُ) أي: خَبِيثُ الطَّبْعِ والصِّفَات، تربتُه سَبِخَةٌ كلُّها ضُرٌّ، وطيِّبُ السَّريرةِ والخِصَال تربتُه خِصْبَةٌ كلُّها نَفْعٌ، فالكلُّ جاءَ بطَبْعِ أرضِه، كما قالَ تعالى فى سورة الأعراف: (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا(58). (وبَينَ ذلك) أي: ومِنها الذي يَشتمِلُ على خَلْطٍ بين ما هو حَميدٌ طيِّبٌ وبين ما هو خبيثٌ وسيِّئٌ، أو أنَّ منها ما يَغلِبُ خُبثُه طيبَه، ومنها ما يَغلِبُ طيبُه خُبثَه([1])

وقوله تعالى فى سورة الروم: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20)

يقول تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ) الدالة على عظمته وكمال قدرته ، أنه خلق أباكم آدم من تراب (ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) فأصلكم من تراب ثم من ماءٍ مهين ، ثم تصور فكان علقة ثم مضغة ، ثم صار عظاماً ، ثم كسا الله تلك العظام لحماً ، ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير ، ثم خرج من بطن أمه صغيراً ضعيف القوى والحركة ، ثم كلما طال

[1]) الموسوعة الحديثية https://www.dorar.net/hadith/sharh/65835

عمره تكاملت قواه وحركاته (ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ). أى صار يبني المدائن والحصون ، ويسافر في أقطار الأقاليم ، ويركب متن البحور ، ويدور أقطار الأرض ، ويتكسب ويجمع الأموال([1]).

ثالثا: الخلق من الطين:

يقول تعالى فى سورة المؤمنون: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ، وفى سورة السجدة: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7)

جاء في المعجم الوسيط: الطين: التراب المختلط بالماء، وإن زالت عنه رطوبة الماء، وجاء في لسان العرب: الطين: الوحل.

وهذه الآية الكريمة تشير إلى بدء تشكيل خلق الجسد من الطين لأنه لا يمكن تشكيل جسدا من الماء ، ولا من التراب. وهذه من عظمة الدلالة اللغوية فى كتاب الله عز وجل.

من قوله تعالى:(مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) قال قتادة: استل آدم من طين فسمي سلالة. وقال الراغب : قوله تعالى: (مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) أي: من الصفو الذي يسل من الأرض([2]).

---

[1]) تفسير القرآن العظيم، المشهور بـتفسير ابن كثير للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير

[2]) كتاب مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهانى

وفى مختار الصحاح: وسلال الشيء ما استل منه ، والنطفة سلالة الإنسان، والسلالة هى انتقاء أفضل عناصر التراب وليس كل العناصر الموجودة فى التراب لأن التراب به شوائب كثيرة ، وهذا من مناط الاعجاز العلمى فى قوله تعالى: (مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ) وليس من كل الطين لأن الطين يحتوى على النافع والضار واستل الإنسان من النافع فيه.

وذكر بن كثير فى تفسيره: قوله تعالى فى سورة الأنعام: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ..(2) يعني أباهم آدم ، الذي هو أصلهم ، ومنه خرجوا فانتشروا في المشارق والمغارب!

وقوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مّن طِينٍ(12) سورة المؤمنون : يقول تعالى مخبراً عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين ، وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمإ مسنون.

وقال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي يحيى عن ابن عباس (مِن سُلاَلَةٍ مّن طِينٍ) قال: من صفوة الماء. وقال مجاهد: من سلالة أي من مني آدم. وقال ابن جرير: إنما سمي آدم طيناً لأنه مخلوق منه . وقال قتادة: استل آدم من الطين وهذا أظهر في المعنى وأقرب إلى السياق ، فإن آدم عليه السلام خلق من طين لازب ، وهو الصلصال من الحمإ المسنون ، وذلك مخلوق من التراب كما قال

تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (20) سورة الروم.

قال الدكتور عبد الفتاح محمد طيرة([1]) خلق الإنسان من طين لا يستلزم خلقه من كل الطين ، وإنما يكفي أنه يخلق من أحد محتويات الطين أو من أحد مكوناته. يشبه ذلك قول أحدنا أنه يسكن في القاهرة أو أنه من القاهرة ، بمعنى أنه يسكن في حي منها ، بل في شارع ، بل في منزل واحد. لهذا قالت الآية 12 من سورة المؤمنون: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مّن طِينٍ)، أي من مواد تتسلل من الطين فهي محتواة فيه. والتسلل هو الحركة الخفيفة ، واللص المتسلل هو الذي يتحرك فلا يراه أحد. وكلمة سلالة صيغة " فعالة " تدل على الشيء يفعل فيه فعل ما ، فالسلالة ما يسل ويخرج في خفاء ، والسلالة ما يسلت من شيء آخر ويفصل عنه([2])، والخلاصة هي ما يستخلصه وينقي مما يختلط به الطين الذي تتكون حبيباته من سيلكات الألومونيوم فيه مسافات تكون 50% من حجمه ، وتحتوي ما يمكن أن يحرك ويستخلص ، وهو "السلالة" التي عرفنا بالوسائل العلمية أنها ماء ذابت فيه غازات وأيونات وجزيئات صغيرة من أصل

[1]) خلق الإنسان من طين في ضوء القرآن أ.د/عبد الفتاح طيرة كلية الطب جامعة القاهرة موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن

[2]) (القاموس المحيط للفيروزابادي)

عضوي وبعض الأملاح. ولأهمية المسافات البينية والمسام الموجودة في الطين وصف القرآن هذا الطين (صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ). من ذا الذي لا يعرف أن الإناء الفخاري يتسلل الماء من داخله إلى خارجه فيبخر ليبرد الإناء وما فيه؟! وإذا كان الماء محتوياً على ملح أو سكر مذاب ترسبت بعض بلوراته على السطح الخارجي بعد تسللها من داخله ، وقيل حينئذ إن الإناء نضح بما فيه ، وفي الأمثال " كل إناء بما فيه ينضح" . والصلصلة هي الرنين وهي ترجيع الشيء للصوت إذا نقرت عليه أو قرعته كصلصلة الجرس. الفخار الجاف يصلصل لوجود الهواء في مسافاته البينيه ، بينما لا تسمع صلصلة إذا نقرت على قطعة من الجرانيت الذي تكون سليكات الألمونيوم 60% منه ، وذلك لتراكم حبيباته والتصاقلها بغير مسافات بينيه. كذلك لا تصلصل قطعة من حجر الإردواز، وهو صخر متحول من سليكات الألومنيوم الخالصة فقد مسافاته البينيه بالحرارة والضغط. و(السلالة) هي ما يسلت كما يدل على نضح الملح والسكر على سطح الإناء الفخاري. والاسم الإنجليزي للمادة المذابة القابلة للنضح هو لفظ " Solute" والتشابه في النطق بين سلالة وسوليوت تشابه لافت للنظر. والمادة العضوية المتحللة التي تختلط بالتربة في كثير من اللغات الأوربية " Humus" ، والمتكلمون بهذه اللغات ينطقون (الحاء)العربية (هاء) تكتب وتنطق إذن : " همأ " أي " Humu" وإضافة حرف (S) في

اللغة اللاتينية إلى آخر الكلمات تكاد تكون شيئاً ثابتاً ، فنيكولا تكتب وتنطق (نيكولاس)، ويوليو تكتب وتنطق (يوليوس). وتفاعل اللغتين اللاتينية والعربية في إسبانيا والبرتغال وإيطاليا في عصر النهضة أمر معلوم ، وهو العصر الذي بدأ الأوربيون فيه ينقلون علومهم عن العربية .

رابعا: الخلق من الطين اللازب:

قال الله تعالى: (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ (11) سورة الصافات

جاء فى المعجم الوسيط : والطين اللازب: الطين اللزج أو اللاصق

وذكر بن كثير فى تفسير قوله تعالى: (إِنّا خَلَقْنَاهُم مّن طِينٍ لاّزِبٍ(11) سورة الصافات: قال مجاهد وابن جبير والضحاك: هو الجيد الذي يلتزق بعضه ببعض ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة هو اللزج الجيد ، وقال قتادة هو الذي يلزق باليد.

خامسا: الخلق من الحمأ المسنون:

جاء في سورة الحجر قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(26)

وجاء في مادة الحمأ: الطين الأسود المنتن. وجاء في مادة المسنون: المصور، أو المملس أو المنتن. قال أبو عمرو: أي متغير منتن، وقال بن عباس: هو الرطب، وقال أبو عبيدة: المسنون المصبوب، وسننت التراب صببته صباً سهلاً.

وقال بن كثير فى تفسير قوله تعالى:(مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) أي الصلصال من حمأ ، وهو الطين. والمسنون: الأملس قال الشاعر:

ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون

أي أملس صقيل ، ولهذا روي عن ابن عباس أنه قال: هو التراب الرطب ، وعن ابن عباس ومجاهد أيضاً والضحاك: أن الحمأ المسنون هو المنتن. وقيل: المراد بالمسنون ههنا المصبوب.

سادسا: الخلق من صلصال كالفخار:

يقول تعالى في سورة الرحمن: (خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14)

جاء في لسان العرب: والصلصال: هو الطين اليابس الذي يُصلُّ من يُبسه أي يُصوت وجاء أيضاً: الصلصال من الطين ما لم يجعل

خزفاً. وقال الجوهري: الصلصال الطين الحر خلط برمل فصار يتصلصل إذا جف فإذا طبخ بالنار فهو الفخار.

قال الشنقيطى([1]): قوله تعالى (خَلَقَ ٱلإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ). الصلصال: الطين اليابس الذي تسمع له صلصلة ، أي صوت إذا قرع بشيء ، وقيل الصلصال المنتن ، والفخار الطين المطبوخ ، وهذه الآية بين الله فيها طوراً من أطوار التراب الذي خلق منه آدم ، فبين في آيات أنه خلقه من تراب كقوله تعالى (وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ) وقد بينا في قوله تعالى (فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُمْ مِّن تُرَابٍ) وقوله (مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ) أن المراد بخلقهم منها هو خلق أبيهم آدم منها ، لأنه أصلهم وهم فروعه ، ثم إن الله تعالى عجن هذا التراب بالماء فصار طيناً ، ولذا قال (وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنْسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ) وقال تعالى (وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلإِنْسَـٰنِ مِن طِينٍ). وقال (إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ) وقال تعالى: (إِنِّى خَـٰلِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ) ثم خمر هذا الطين فصار حماً مسنوناً، أي طيناً أسود متغير الريح ، كما قال تعالى: (إِنِّى خَـٰلِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) وقال عن إبليس (قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) والمسنون قيل المتغير وقيل المصور وقيل الأملس ، ثم يبس

[1])أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ط. المجمع) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي http://waqfeya.com/book.php?bid=770

هذا الطين فصار صلصالاً. كما قال هنا: (خَلَقَ ٱلإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ)

وذكر الإمام الزمخشري([1]): في تفسير قوله تعالى:(خَلَقَ ٱلإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ): فإن قلت: قد اختلف التنزيل في هذا، وذلك قوله عز وجل: (مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)، (مِّن تُرَابٍ)، قلت: هو متفق المعنى ومفيد أنه خلقه من تراب وجعله طيناً ثم حمأ مسنوناً، ثم صلصالاً. وهو نفس المعنى الذي أورده القرطبي([2]) في تفسير الآية السابقة حيث يقول: وقال هنا: (مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ)، وقال هناك: (إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ)، وقال: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) سورة آل عمران، وذلك متفق المعنى، وذلك أنه أخذ من تراب الأرض فعجنه فصار طيناً، ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون، ثم انتقل فصار صلصالاً كالفخار.

وأما فى القرن العشرين يقول موريس بوكاي([3]) في حديثه عن ماهية التراب الذي تكون منه الإنسان انطلاقاً من قوله عز وجل فى سورة السجدة (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (7) : (وعلينا أن نتوقف قليلاً عند ذكر بداية الخلق ، بدأ بالطين من

[1]) هو إمام الأئمة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري.
[2]) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح كنيته أبو عبد الله ولد بقرطبة ب(الأندلس)
[3]) وهو طبيب فرنسى من أصل يهودى وذكر ذلك فى كتابه " العلم بين التوراة والإنجيل والقرآن" وهو كتاب مفيد

الواضح أنه إذا كان القرآن الكريم قد ذكر هنا بداية الخلق ذلك أن مرحلة ثانية ستتبعها).

خلاصة أقوال علماء اللغة والمفسرين:

قد بين الله عز وجل فى كتابه الحكيم أن الإنسان خلق من سلالة من طين وليس هنا أى تعارض بين الآيات التى تتكلم عن أصل الخلق من الأرض ومن التراب والماء لأن مزج التراب بالماء يصير طينا وهذا مُشاهدٌ محسوس لجميع الناس فيقول الله عز وجل : (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) سورة السجدة ، فتدل الآية على أن بداية خلق وتشكيل الجسد من الطين لأنه لا يتم تشكيل أشكال معلومة لها صفة الشكلية من التراب وحده أو من الماء وحده ، وهذا أيضا من مناط الإعجاز العلمى والبيانى فى القرآن الكريم.

ويبين الله عز وجل صفات الطين بعد أن تم خلط التراب بالماء فتارة يكون طينا لازبا وأخرى يكون حمأ مسنونا وثالثة يكون له صلصلة كالفخار بعد أن يجف ويتبخر منه بعض الماء فيقول الله عز وجل: (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ (11) سورة الصافات. والطين اللازب يجف فيكون فخارا له صلصلة: وهكذا تمضى بنا الآيات فى كتاب

الله عز وجل على نسق وترتيب وبيان انتقال التراب بعد خلطه بالماء من حال إلى حال ، وذلك قبل نفخ الروح فى هذا الجسد المتيابس الذى أصبح له صلصلة كصلصلة الفخار عند الطرق عليه ، وهذا دليل على أن الإنسان بعد تكوين الجسد وكونه له صلصلة كصلصلة الفخار عند الطرق عليه كان أجوفا ، فيقول الله عز وجل فى سورة الرحمن : (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14).

ومن خلال الآيات والنصوص التي أوردناها أستطيع القول بأن المادة الترابية هى الأصل التي خلق منها الإنسان قد مرت بخمسة مراحل هي:

1. مرحلة جمع التراب : كما فى الحديث([1]) "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم علي قدر الأرض. جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب وبين ذلك)
2. مرحلة مزج التراب بالماء ليصير طينا

[1]) أخرجه الإمام أحمد بسنده عن أبى موسى الأشعرى ولأبى داود والترمذى مثله عن عوف الأعرابى

3. مرحلة بدا الخلق من الطين وهي آية سورة السجدة أن بداية الخلق كانت من مادة الطين (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ)، ويدخل فيها الطين اللازب وهو الطين اللزج وهذا الطين يتميز بخاصية وصفة اللزوجة (طِينٍ لاَّزِبٍ) كما هو واضح في آية سورة الصافات إلا أنه غير قابل للتشكل.

4. مرحلة تشكيل الجسد وتصويره للصورة الآدمية وهذه لا تكون إلا من الحمأ المسنون أى القابل للصب والتشكيل.

5. المرحلة الصلصالية: حيث انتقلت مادة الحمأ المسنون إلى صلصال ، وتخبرنا آية سورة الرحمن أن هذه المادة الصلصالية تشبه مادة الفخار وهو الطين الذي يترك ليتبخر منه بعض الماء وبالطرق عليه يعطى صلصلة أى صوتا له رنة.

ومن هنا يمكن القول أن آدم عليه السلام فى مرحلة خلق الجسد قد مر بعدة مراحل بدءا من التراب والماء والطين (لازب ثم حمأ مسنون) ونهاية بالصلصال الفخار ، وكل هذا نشأ من التراب الذى خلط بالماء فصار طينا ، وكما بينت من قبل أن التراب لا يمكن تشكله لأنه ناعم أملس غير متماسك وكذلك الماء لا يمكن تشكله

لخصوصية انسيابه ، بينما الحمأ المسنون يمكن تشكله فلا اشكال إذن فيما ورد فى اختلاف الألفاظ فى الآيات التى تتكلم عن خلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام لأن جميعها تعبر عن أصل الخلق وهو التراب والماء وهما من مكونات الأرض. وهذه سلسلة من المراحل التى مر بها الطين فالأصل واحد وتطور المراحل من نفس الأصل.

الفصل الخامس

الطين أصل الحياة

تكلم ربنا عز وجل فى كتاب يقرأ ويتلى على مسامع الناس منذ 1442 سنة أن أصل الحياة من الطين كما فى سورة السجدة : (وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ(8) ، ثم جاء تفصيل آخر فى سورة المؤمنون أن الخلق كان من صفو الطين وليس من كل الطين لأن الطين به شوائب كثيرة فقال سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن سلالة مِّن طِينٍ(12)

وبين الراغب الأصفهانى معنى كلمة سلالة من قوله عز وجل : (مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ) [المؤمنون/12]، أي: من الصفو الذي يسل من الأرض، والسلالة هى انتقاء أفضل عناصر التراب لأن التراب به شوائب كثيرة([1]) وقال قتادة: استل آدم من طين فسمي سلالة.

و(السلالة) هي ما يسلت كما يدل على نضح الملح والسكر على سطح الإناء الفخاري. والاسم الإنجليزي للمادة المذابة القابلة للنضح هو لفظ " Solute" والتشابه في النطق بين سلالة وسوليوت تشابه لافت للنظر.

[1]) انظر : معنى "سلالة" فى كتاب مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهانى

أقوال المفسرين:

وفى تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) المؤمنون

قال الإمام بن جرير الطبرى: فالسلالة: هي المستلة من كلّ تربة، ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض.

قال الإمام البغوى: (من سلالة) والعرب تسمي النطفة سلالة ، والولد سليلا وسلالة ، لأنهما مسلولان منه ، قوله : (من طين) يعني : طين آدم . والسلالة تولدت من طين خُلِقَ آدم منه . قال الكلبي : من نطفة سلت من طين ، والطين آدم عليه السلام ، وقيل المراد من الإنسان هو آدم . وقوله : " من سلالة: أي: سل من كل تربة.

وقال الإمام القرطبى: قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان): الإنسان هنا آدم – عليه الصلاة والسلام – ؛ قاله قتادة ، وغيره ، لأنه استل من الطين . ويجيء الضمير في قوله : ثم جعلناه عائدا على ابن آدم ؛ فإن المعنى لا يصلح إلا له .

بينما ذكر بن كثير : وقيل : المراد بالسلالة ابن آدم ؛ قاله ابن عباس ، وغيره . والسلالة على هذا صفوة الماء ، يعني المني . والسلالة فعالة من السل وهو استخراج الشيء من الشيء ؛ يقال : سللت الشعر من العجين ، والسيف من الغمد فانسل ؛ فالنطفة سلالة

، والولد سليل وسلالة ؛ عنى به الماء يسل من الظهر سلا . وقوله: من طين أي أن الأصل آدم وهو من طين أ.هـ .

وأقول وبالله التوفيق : هذا الذى ذكره ابن كثير ودلل عليه بما رواه الإمام أحمد بسنده : عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قال : " إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض ، وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، وبين ذلك[1] " لدليل دامغ على أن المقصود به الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام. وأما قوله أنه يعنى إبن آدم فهذا ليس موضعه وإنما موضعه من تفسير قوله تعالى فى سورة السجدة: (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (8) فنسل ابن آدم أيضا كان من سلالة من ماء مهين ، وبإذن الله وفضله وكرمه سأفرد بحثا عن معنى قوله (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (8) وما هو الرابط بين سلالة من طين ، وسلالة من ماء مهين فى الباب الثانى.

الإمام السعدي ابتداء خلق أبي البشري آدم عليه السلام، وأنه (مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) أي: قد سُلَّت، وأخذت من جميع الأرض، ولذلك جاء بنوه على قدر الأرض، منهم الطيب والخبيث، وبين ذلك، والسهل والحزن، وبين ذلك.

[1]) ورواه أيضا أبو داود والترمذي وقال الترمذي : حسن صحيح .

الفصل السادس

التوجيه العلمى عن أصل الحياة من الطين

لقد اختلف علماء البيولوجى فى نظرتهم لأصل الحياة على الأرض ، وبدأ هذا الاختلاف واضحا وضوح الشمس فى رائعة النهار منذ عام 1630 منذ بدء تسجيل العلوم عندما ذكر العالم (William Harvey) – باللغة اللاتينية:

أن الحياة بدأت من بويضة "Omne vivum ex ovo"، وترجمتها بالإنجليزية (Every living thing from an egg) ، إلا أن العالم الألمانى لورنز اوكن (Lorenz Oken ([1]) رد عليه هذه الفرضية وبين أن الشىء الحى أو الخلية الحية يأتى/ تأتى من شىء حى أو من خلية حية ولا يأتى من البويضة (وهذا باعتبار أن البويضة شىء غير حى فى زعمه هذا) وهذا نص كلامه باللغة

[1]) كان لورنز أوكن عالمًا ألمانيًا متخصصًا في علم الطبيعة وعلم النبات وعلم الأحياء وعلم الطيور. وُلد أوكين لورنز أوكينفوس في بولسباخ ، ودرس التاريخ الطبيعي والطب في جامعتي فرايبورغ وفورتسبورغ. انتقل إلى جامعة غوتنغن " – Oken, Lorenz". (1 August 1779 11 August 1851) In Chisholm, Hugh (ed.). Encyclopædia Britannica. 20 .. Cambridge University Press. pp. 55–57 (11th ed.)

الانجليزية: (No living thing from an egg! Every living from the living!")

ومترجم عن اللغة اللاتينية (" "Omnis cellula e cellula) التى كتب بها نظريته هذه وسماها Cell Theory ([1] ، [2]) ثم ذكر العالم رودلف فيركو([3]) (Rudolf Virchow) تأيدا لكلام العالم الألمانى لورنز اوكن فى عام 1858 أن الخلية الحية تأتى من خلية حية ، وأن الكائن الحيى يتكون من مجموعة من الخلايا وهى التى تقوم بكل الوظائف الحيوية التى يحتاجها هذا الكائن الحى:

(Every cell of the cell)

وهذا نص كلامه باللغة اللاتينية (Omnis cellula e cellula). وفى عام 1872 ذكر العالم هنرى باستن ([4] ، [5]) أن الحياة تأتى

[1])Oken, Lorenz, Beiträge zur vergleichenden Zoologie, Anatomie und Physiologie, Band 1, Bamberg and Würzburg: Joseph Anton Göbhardt, 1806, p. 103 Google Scholar.

[2]) The British Journal for the History of Science,Volume 50 Issue 2 , Lorenz Oken (1779–1851): Naturphilosophie and the reform of natural history

[3])Virchow, Rudolf (1859). Die Cellularpathologie [Cell Pathology]. Berlin: August Hirschwald.

[4])Bastian, Henry C. (1872). The Beginnings of Life: Volume 1. , Volume 2. Appleton.

[5]) Bastian, H. Charlton (1871). The Modes of Origin of Lowest Organisms. London; New York: Macmillan and Company. LCCN 11004276. OCLC 42959303. Bernal, J.D. (1951). The Physical Basis of Life. London: Routledge & Kegan Paul. LCCN 51005794.

من أشياء حية وهو أول من وضع التعبير العلمى (Biogenesis) وهو الذي اقترح لأول مرة فرضية الحياة من الطين. وهو يعنى أن أصل الحياة من شيىء حى وهذا نص نظريته (نحن نعلم أن جزيئات المواد الأولية أو المعدنية تتحد لتشكل الأحماض والقواعد بحكم ميولها 'المتأصلة'؛ أن هذه الأحماض والقواعد تتحد من أجل إنتاج الأملاح ، والتي بدورها ، غالبا ما تتحد مرة أخرى وتؤدي إلى "أملاح مزدوجة". وفي كل مرحلة من هذه السلسلة من التعقيدات الجزيئية الصاعدة، نجد المنتجات الممنوحة بخصائص مختلفة تماما عن تلك الخاصة بناخبيها. ومن بين مركبات الكربون هناك وفرة من الأدلة لإثبات وجود ميول داخلية أو خصائص جزيئية، والتي قد تؤدي إلى تطور مركبات كيميائية أكثر وأكثر تعقيدا. وهذه هي العمليات الاصطناعية ، التي تحدث بين جزيئات المواد الغروانية والمتحالفة (يعنى الطمى)، والتي يبدو في كثير من الأحيان أنها تولد أو تعطي "أصل" لنوع من المادة التي تمتلك هذا المزيج الدقيق من الخصائص التي اعتدنا على تطبيق لقب "الحياة" ، وأيده فى هذا الرأى العالم (William Rossiter) حيث قال أن أصل الحياة يأتى من حياة وهذا نص كلامه (the origin of life from life only) وسمى هذه النظرية النشأة من الحياة (Biogenesis) وقال "ولا تأتى الحياة من شىء غير حى" وهو ما يعرف بنظرية النشأة من اللاحياة

(Abiogenesis) ثم قال أن النشأة من الحياة عكس تماما من النشأة من اللاحياة (Biogenesis: opposed to abiogenesis.([1]) وقبل عام 1886 اختلف العلماء إلى فريقين فريق يقول بأن الحياة بدأت من شيىء غير حى وهى نظرية (Abiogenesis) وفريق آخر يقول بأن الحياة لا تبدأ إلا من شىء حى وهى نظرية (Biogenesis) ،وحتى آواخر القرن التاسع عشر كان العلماء يعتقدون أن الحياة بدأت من خلية حية من البحر ([2]) وهذا ما ذكره تشارلز داروين فى كتابه أصل الأنواع ([3]، [4]) وأيده وشجعه على ذلك العالم توماس هنرى هكسلى الذى كان يقول بأن أصل الحياة من مادة حية وهى نظرية ([5]) وكان داروين يقول أن الحياة بدأت من خلية من البحر، ثم حدث الانتقاء الطبيعى وتطورت الكائنات من هذه الخلية

---

[1])Rossiter, William. (1879). An Illustrated Dictionary of Scientific Terms (pg. 51). William Collins, Sons, and Co.

[2]) Thorpe, Benjamin (Trans.) (1866). Edda Sæmundar Hinns Frôða: The Edda of Sæmund the Learned. Part I. London: Trübner & Co.

[3]) أصل الأنواع: نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتقاء الطبيعي أو الاحتفاظ بالأعراق المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة / تأليف تشارلس داروين ؛ ترجمة مجدي محمود المليجي ؛ تقديم سمير حنا صادق. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004. كتاب "أصل الأنواع"، الطبعة الأولى منه في 11/14 سنة (1859م)

[4])Darwin, Charles (1859), On the Origin of Species by Means of Natural Selection, or the Preservation of Favoured Races in the Struggle for Life (Full image view 1st ed.), London: John Murray, p. 502, retrieved 1 March 2011

[5]) "تشارلس داروين". بريطاني.(1808 -1882م) فشل فى دراسة الطب.وانتقل إلى دراسة اللاهوت. وتعلق بالبحث في عالم الأحياء. وألف كتابه المشهور "أصل الأنواع"، الطبعة الأولى منه (1859م) .ثم كتابه "أصل الإنسان" ونشره سنة (1874م) . لموضوع التطور الإنساني.

فكانت الأحياء البحرية ومنها تطورت البرمائيات ومنها تطورت الزواحف والطيور ثم الثديات ثم القردة العليا ، ويكون البقاء للأقوى بينما تندثر الحيوانات الأضعف ، ولم يذكر فى هذا الكتاب أن الإنسان أصله قرد ، بينما ذكر ذلك صراحة فى كتابه الثانى والمعنون "خلف الإنسان وعلاقته بالجنس

([1]) The Descent of Man, and Selection in Relation to Sex

وكما صرّح شارلز داروين فى خطابه لصديقه والاس([2]) عام 1871: «لديّ هدفان متميّزان في مرمى بصري: أوّلًا، أن أُثبِتَ أنّ الأنواع لم تُخلَق بشكلٍ مستقلّ. وثانيًا، أن أُثبت أنّ الانتقاء الطّبيعي

[1])Darwin, Charles (1874), The Descent of Man, and Selection in Relation to Sex (2nd ed.), London: John Murray, retrieved 8 January 2017

[2]) كان والاس قد التقى داروين لفترة وجيزة، وكان أحد العلماء الذين تم دعمهم بواسطة ملاحظات داروين. على الرغم من ضياع رسالة والاس الأولى إلى داروين، إلا ان والاس احتفظ بعناية بالرسائل التي تلقّاها. في الرسالة الأولى، المؤرّخة في 1 أيّار/ مايو 1857، علّق داروين أن رسالة والاس المؤرّخة في 10 تشرين الأول/ أكتوبر التي تلقاها مؤخراً، وكذلك ورقة والاس "حول القانون الذي ينظّم إدخال أنواع جديدة" لعام 1855، أظهرت أنهما كلاهما يدعمان الفكرة نفسها ويوصلان إلى حد ما إلى نفس الاستنتاجات، وقال انّه يستعد لنشر عمله في غضون عامين تقريباً.

قالت الرسالة الثانية، المؤرخة 22 كانون الأول/ ديسمبر 1857، كم كان سعيداً بأن والاس استطاع التنبؤ بالتوزيع، مضيفاً أنّه "بدون تكهّنات، لا توجد ملاحظة جيّدة ومبتكرة" بينما علّق قائلاً "أعتقد أنني أذهب إلى أبعد من ذلك بكثير". وثق والاس برأي داروين حول هذا الموضوع وأرسل مقالته في شباط/فبراير 1858، بعنوان "ميل الأصناف إلى مغادرة النوع الأصلي إلى أجل غير مسمّى"، مع طلب أن يقوم داروين بمراجعتها وإحالتها إلى تشارلز لايل إذا اعتقد أنّها تستحق ذلك.

كان رائد عمليّة التّغيير([1])» (وهذا يناقض تماما فكرة الخلق المستقل الذى بينه الله تعالى فى أسفار العهد القديم فى سفر التكوين ، وبما ذكره فى القرآن الكريم).

وفى عام 1929 قدم العالم هالدين "نظرية الحساء البدائي" في مقاله حول التولد التلقائي ، وأصبحت الأساس لبناء نماذج فيزيائية للأصل الكيميائي للحياة ([2] ، [3]) والتى أخذ بها العالم الروسى الكساندر أوبارين ,by A. I. Oparin، وحاول اثباتها معمليا. وفي هذا الفرض ذكر أوبارين "أنه تراكمت مخازن شاسعة من المركبات التي تحتوي على الكربون والهيدروجين وبعض المواد الكيميائية الأخرى لا سيما في مياه الأرض المبكرة. ثم تسببت الطاقة من البرق والإشعاع الشمسي في تطور المركبات تلقائيًا إلى مادة حية([4] ، [5])".

---

[1]) Darwin, Charles (1887). Darwin, Francis (ed.). The Life and Letters of Charles Darwin, Including an Autobiographical Chapter. 3 (3rd ed.). London: John Murray. OCLC 834491774.

[2]) جون هالدين هو عالم بريطانى تخصص فى علم الأحياء والوراثة ولد فى 1892 وتوفى فى 1964

[3])https://nationalpost.com/news/canada/ontario-researchers-testing-origins-of-life-theory-in-new-planet-simulator-2 .

[4]) Oparin, A.I. (1953) [Originally published 1938; New York: The Macmillan Company]. The Origin of Life. Translation and new introduction by Sergius Morgulis (2nd ed.). Mineola, NY: Dover Publications. ISBN 978-0-486-49522-4. LCCN 53010161.

[5])Oparin, Alexander. (1936). The Origin of Life (introduction and translation: Serguis Morgulis) (pdf) (three phases, pg. vii). Dover, 2003.

وكان الهدف من مشروع أوبارين هذا اثبات نظرية إنجلز([1]) لترسيخ الشيوعية (لا إله والحياة مادة) ، إلا أنه في سنة 1969م، قدّم العلماء إلى القادة السوفييت ملخصا لتجاربهم وأهم استنتجاتهم والتى تبين أن اقامة الحياة فى المعامل والمختبرات مستحيلة بالمفهوم المعروف عن الخلايا الحية والتى تتكاثر وتقوم بكل الوظائف الحيوية

[1]) هو فريديريك إنجلز: ولد في مدينة بارمن (ألمانيا) العام 1820. وقد سعى من أجل تبديل العلاقات الاجتماعية القائمة، ووجه نقده البارع والعميق لآراء شيلنج الرجعية الصوفية في كتاب «شيلنغ والرؤيا» 1842 وغيره. كما وجه النقد لهيجل بسبب نتائجه المحافظة والتناقضات في جدله المثالي. وألف كتاباه «مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي» (1844) وهو كتاب اعتبره ماركس مساهمة عظيمة في نقد المقولات الاقتصادية، و« ظروف الطبقة العاملة في انجلترا» (1845). وقد عرض انجلز في هذين الكتابين أن البروليتاريا وهى طبقة العمال ليست فحسب طبقة تعاني، وإنما هي أيضا طبقة تناضل من أجل انعتاقها. وفي عام 1844 التقى بماركس في باريس. وتعد هذه المقابلة بداية صداقتهما العميقة التي قامت على أفكارهما المشتركة وكفاحهما المشترك لتحرير البروليتاريا من العبودية الرأسمالية. وقد كتبا معا في 1844–1846 كتاب «العائلة المقدسة» و«الايديولوجيا الألمانية» وهدف هذين الكتابين ابراز نظرة تقدمية جديدة للآراء الفلسفية السائدة آنذاك لهيغل وفيورباخ وأتباعهما. وقد استكمل ماركس وانجلز أسس المادية الجدلية والتاريخية. وفي الوقت نفسه اشتغلا بجد ليقوما بتنظيم عملي للرابطة الشيوعية التي تطورت بعد هذا إلى حزب ثوري للبروليتاريا. وفي عام 1847 كتب مسودة برنامج الرابطه « مبادئ الشيوعية». وعلى أساس هذه المسودة كتب ماركس وانجلز «بيان الحزب الشيوعي» (1848) المبشر بمولد التعاليم المتكاملة للماركسية، أي الايديولوجية العلمية للطبقة العاملة. وقد ساعد انجلز ماركس طوال الأربعين سنة التالية بكل طريقة، عندما كان ماركس منشغلا بانجاز كتاب «رأس المال». وقد قام انجلز بنفسه بالإشراف على إصدار الجزئين الثاني والثالث بعد وفاة صديقه. وهو في هذا الإشراف قام بنصيب كبير في البحث. وعلى حين كان ماركس مشغولا للغاية بمؤلفه «رأس المال» واصل انجلز العمل بجد في تطوير المادية الجدلية والتاريخية. وكتب انجلز من أمثال:«لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الألمانية الكلاسيكية» و«الرد على دهرينج » و« أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» الخ وهي عرض كلاسيكي لماهية ومعنى الفلسفة الماركسية. واهتم انجلز للغاية بالحركة الثورية في روسيا، وتنبّأ بالثورة الروسية الكامنة، وعقد آمالا كبارا عليها. وقد شارك حتى آخر حياته في الحياة السياسية في أوروبا وكان مع ماركس زعيما بارزا لحركة الطبقة العاملة. وفي 5 اغسطس/آب العام 1895 توفي فريديريك إنجلز ليلحق بصديقة كارل ماركس الذي وفاته المنية في العام 1883.

التى يحتاجها الكائن الحى إلا أنها توجد فى الطبيعة وليس لديهم قدرة على محاكاتها:"ليس للعلوم قدرة على إثبات أن الحياة نتيجة تفاعل كيميائي، وإيجاد الحياة لا يكون إلا عن طريق الخلايا الحية التي لا نستطيع أن نوجدها من المادة غير الحية، وكذلك النبات". وفى اجتماعٍ ضم الفريقين الروسى والأمريكى في أمريكا، وأعلنوا بياناً مشتركاً جاء فيه ما يلي: "العلم عاجز عن إيجاد الحياة". وأضافوا إليه بناءً على اقتراح الوفد السوفييتي:" بل إن العلم عاجز عن أن يعرف إلا بعض مظاهر المادة، وليس الروح([1] ، [2])".

لقد أثبت الباحثون من العلماء بعد جهد طويل ما ذكره الله عزّ وجلّ في سورة الإسراء: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً(85).

وفى عام 1949 ذكر العالم "جون برنال" أن الحياة بدأت من الطين بمكوناته وأنه لا توجد صعوبة من حيث المبدأ في تكوين معظم الجزيئات التي نتعرف عليها باعتبارها الجزيئات الضرورية للحياة

[1]) نقلاً عن حديث للدكتور معروف الدواليبي نشر في صحيفة المدينة المنورة في العدد (6287) الأربعاء 13 رمضان 1404هـ.

[2]) Bernal, J.D. (1967) [Reprinted work by A.I. Oparin originally published 1924; Moscow: The Moscow Worker]. The Origin of Life. The Weidenfeld and Nicolson Natural History. Translation of Oparin by Ann Synge. London: Weidenfeld & Nicolson. LCCN 67098482.

(مثل البروتينات ، والسكريات ، والدهنيات ، والانزيمات) من سلائفها غير العضوية (مثل عناصر الكربون والأوكسجين ، والهيدروجين والكبريت والفوسفور، ...).

وفي عام 1967 ، اقترح أن يحدث ذلك على ثلاث "مراحل" :أصل المونومرات البيولوجية، وأصل البوليمرات البيولوجية ، والتطور من الجزيئات إلى الخلايا. واقترح "برنال" أن التطور بدأ بين المرحلتين 1 و 2. واعتبر "برنال" أن المرحلة الثالثة ، التي يتم فيها دمج التفاعلات البيولوجية خلف حدود الخلية ، هي الأكثر صعوبة. وأن أغشية الخلايا تقوم بالتجميع الذاتي ، والعمل على المسام الدقيقة في ركائز مختلفة ، خطوة أساسية نحو فهم تطور الخلايا المستقلة الحية الحرة ([1] ،[2]).

إلا أن أحدث خطوة في دراسة أصول الحياة، تلك التى أثارتها لأول مرة تجربة ستانلى ميلر– أوري الشهيرة في عام 1953. وقد أجريت

[1])J D Bernal The Physical Basis of Life.(1949). Proceedings of the Physical Society. Section A, Volume 62, Number 9. Citation J D Bernal 1949 Proc. Phys. Soc. A 62 537

[2])Bernal, J.D. (1967) [Reprinted work by A.I. Oparin originally published 1924; Moscow: The Moscow Worker]. The Origin of Life. The Weidenfeld and Nicolson Natural History. Translation of Oparin by Ann Synge. London: Weidenfeld & Nicolson. LCCN 67098482.

تلك التجربة في جامعة شيكاغو حيث أنشأت مواد عضوية من الغازات غير العضوية التي يعتقد أنها احتلت الغلاف الجوي المبكر للأرض. وفي هذه الدراسة المعملية التى نشرت في عام 1953 ([1]، [2]) وهو نفس العام الذي تم فيه اكتشاف هيكل الحمض النووي بواسطة العالمان واتسون وكريك ([3]) أرسل ستانلي ميلر (Stanley Miller([4]) صاعقة من الكهرباء من خلال خليط من الغازات والسوائل يعتقد أنها كانت موجودة على الأرض المبكرة ، وحولت الشرارة هذه المواد الكيميائية البسيطة إلى بعض من اللبنات الأساسية للحياة: الأحماض الأمينية، والوحدات التي ترتبط معًا لصنع البروتينات. القصة تصدرت عناوين الصحف "العلم: شبه خلق" حيث كان العنوان الرئيسي في مجلة تايم. وأصبحت دراسة ميلر ورقة

---

[1]). "Science: Semi-creation" was the headline in Time magazine. Miller's study became a landmark scientific paper. (Credit: Mikkel Juul Jensen/Science Photo Library)

[2])Miller, Stanley L. (15 May 1953). "A Production of Amino Acids under Possible Primitive Earth Conditions". Science. 117 (3046): 528–529. Bibcode: 1953Sci...117...528M. doi:10.1126/science.117.3046.528. PMID 13056598.

[3])Watson, J.D.; Crick, F.H. (1953). "A structure for deoxyribose nucleic acids" (PDF). Nature. 171 (4356): 737–738. Bibcode: 1953Natur.171...737W. doi: 10.1038/171737a0. PMID 13054692. مؤرشف من الأصل (PDF) 2017 أكتوبر 24 في

[4]) ستانلي لويد ميلر هو عالم كيميائي وأحيائي أمريكي اشتهر بسبب دراساته في مجال التولد التلقائي وبالتحديد في تجربة ميلر-يوري التي أثبت فيها أنه من الممكن إنشاء مركبات عضوية من خلال عمليات كيميائية بسيطة من مواد غير عضوية. ويكيبيديا

علمية بارزة([1]) ثم بعدها بست سنوات نشرت الورقة الثانية التى تقول بأن المركبات العضوية تتخلق فى الأرض البدائية – للتأكيد على هذا الأمر ، وهذه النظرية عرفت بأسم ميللر – أورى لتخليق المركبات العضوية من عناصر مماثلة لما هى موجودة فى الأرض([2]) ، وذكرا بعد هذه الدراسة أن كثيرا من المركبات العضوية تخلق من عناصر الأرض ، وأن العديد من الأسئلة عن أصل الحياة أصبح لها اجابات إلا أنه لابد من دراسات مستفيضة لإثبات ذلك. وبالرغم من أن ميلر – معمليا– قد حصل على بعض المركبات الأساسية للحياة (أحماض أمينية)، إلا أنه لم توضح تجربته كيف أنها وغيرها من اللبنات – مثل النيوكليوتيدات، التي تشكل الحمض النووي – جاء أولا ، أو معا بطريقة مرتبة، لتشكيل جزيئات معقدة ضرورية للحياة مثل البروتينات ولم يعرف حتى الكيفية التى تشكلت بها الأحماض الأمينية التى تكون البروتينات.

وبين عامى 1961 – 1962 ذكر جون أورو وأخرون فى الورقة البحثية التى نشروها فى مجلة الطبيعة "نيتشر 1961 ، وفى مجلة

[1]) هذه التجربة قال عنها كيرنز سميث: أثارت التجربة أسئلة أكثر مما أجابت عليه.

[2])Miller S. L., and Urey, H. C (1959). "Organic Compound Synthesis on the Primitive Earth". Science. 130: 245. doi:10.1126/science.130.3370.245.

أرشـيف الكيميـاء الحيويـة والفيزيـاء الحيويـة 1962 (أن القواعـد النيتروجينيـة من النـوع البيورين تتكون من الطين ([1] ، [2]) ومن هذا يتحقق أن الطين لـه القدرة علـى تخليـق اللبنـات الأساسية لتكـوين الأحمـاض النوويـة. وفـى عـام 1966 ذكـر الـدكتور جراهـام كيرنـز سميث ([3] ، [4]) ومن خلال تجاربه بعد دراسته للدكتوراة 1957 " أن الحياة بدأت من معادن الطمى" ، وذكر ذلك بالتفصيل فى كتابين لـه : الأول منهما بعنوان (أملاح الطمى وأصل الحياة([5]) والثانى بعنوان "الاستيلاء الوراثي والأصول المعدنية للحياة"

---

[1])Oró, Joan; Kimball, Aubrey P. (February 1962). "Synthesis of purines under possible primitive earth conditions: II. Purine intermediates from hydrogen cyanide". Archives of Biochemistry and Biophysics. 96 (2): 293–313. Doi: 10.1016/0003-9861(62)90412-5. PMID 14482339.

[2])Oró, Joan (16 September 1961). "Mechanism of Synthesis of Adenine from Hydrogen Cyanide under Possible Primitive Earth Conditions". Nature. 191 (4794): 1193–1194. Bibcode: 1961Natur.191.1193O. Doi: 10.1038/1911193a0. PMID 13731264. S2CID 4276712.

[3]) قام غراهام كيرنز سميث بتدريس الكيمياء العضوية والبيولوجيا الجزيئية في جامعة غلاسكو لمدة أربعين عاما. وهو الآن زميل أبحاث فخري أول في غلاسكو وكاتب متفرغ للعلوم الشعبية الجادة. توفي في 22 أغسطس 2016

[4])A.G.Cairns-Smith:The origin of life and the nature of the primitive gene, Journal of Theoretical Biology Volume 10, Issue 1, 1966, Pages 53-88 https://doi.org/10.1016/0022-5193(66)90178-0

[5])Cairns-Smith, Alexander Graham (1990), Seven Clues to the Origin of Life, CambridgeUP, ISBN 9780521398282 (Canto reprint of the original 1986 edition)

Genetic Takeover and the Mineral Origins of Life ([1]) حيث ذكر فيه 'إنها موهبة أخرى أن الطين لديه أى نوع من الأشياء التي تحتاجها إذا كنت تريد تشغيل مصنع كيميائي. وأن التطور الكيميائي الذي أدى إلى الحياة بدأ في الطين. وكان من شبه المؤكد أنه شائع على طول شواطئ المحيطات القديمة، وهي تمر في كثير من الأحيان بعملية تشكيل وتغيير مستمرة وبالتالي كان يمكن أن تكون وسيلة مثالية للتطور الكيميائي. وأن بنيتها المعدنية، كما يجد العلماء الآن، معقدة تقريباً مثل جزيء الحمض النووي. واقترحت الأبحاث اللاحقة أن الطين لديه القدرة على العمل كمحفز في التفاعلات الكيميائية الهامة ويمكن أن تكون قادرة حتى على تكوين مثل هذه السمات النابضة بالحياة مثل تكرار الذات كما فى الأحماض النووية والبروتينات والمركبات العضوية الأخرى([2] ، [3]). ثم يقول إذا نظرتم

[1])Cairns-Smith, Alexander Graham (1987), Genetic Takeover and the Mineral Origins of Life, CambridgeUP, ISBN 9780521346825 (Paperback reprint of original 1982 edition.)

[2])Cairns-Smith, Alexander Graham (2009), "An approach to a blueprint for a primitive organism", in Waddington, C. H. (ed.), The Origin of Life: Towards a Theoretical Biology, 1, Aldine Transaction, pp. 57–66, ISBN 978-0-202-36302-8: Prolegomena, 1, Edinburgh University Press, ISBN 978-0852240182.

[3])Clay Minerals and the Origin of Life Hardcover – December 18, 1986 by Alexander Graham Cairns-Smith (Editor), H. Hartman (Editor) Cambridge University Press, December 18, 1986, ISBN-10 – 0521324084

إلـى الطـين تحـت المجهـر، سـوف تجـدون أنـه مصـنوع مـن بلـورات صغيرة. داخل كل بلورة، يتم ترتيب الذرات في هيكل يكرر في نمط محكم. ويتبين من الخصائص الأساسية للبلورات أنها مهيأة للبدء في التطور. كل بلورة يمكن أن تنمو، إذا تم وضعها في المياه التي تغلب عليها نفس المكونـات الكيميائيـة. بلـورات يمكـن أيضـا تقسيمها، مـن واحدة وهى" بلورات الأم" إلى جزء منها وهى " بلورات الإبنة". وهذا يعنـى أن بلـورات الطـين لـديها القدرة علـى الإنقسـام حيث يمكـن لكل "بلـورة أم" نقـل خصوصـياتها إلـى "البلـورة الإبنـة" مثـل الكثيـر مـن الكائنات الحية ترث الصفات من والديهم. وفي بعض الأحيان، عندما تتكسر البلورات ، يمكن إدخال مراوغات جديدة، على سبيل المثال بسبب الإجهاد الناجم عن الكسر، وهذا مماثل لعملية الطفرة الوراثية، التـي تخلـق سـمات جديـدة فـي الكائنـات الحيـة. وبعبـارة أخـرى أن الخصـائص الأساسية للبلورات تستعد للبدء في التطور فعندما تمرر البلورات خصوصياتها على بناتها ، يمكن لهذه الصفات الفريدة إما أن تساعد أو تعيق البلورات الجديدة. على سبيل المثال، قد ينتهي الأمر ببنات أكثر احتمالاً لتكون قادرة على الانقسام إلى بلورتين. وهذا يعنـى أن خصـائص بلـورات الطـين أو الطمـى تؤثر علـى قدرتـه

علـى الانقسـام، وأن البلـورات لـديها ميـزة تطوريـة ([1]). ولقـد جـادل الدكتور كيرنز سميث بأن "الكائنات الأولية" غير العضوية في الطين لـم تكـن فقـط سـلائف جزيئـات كتلـة البنـاء للحيـاة ، مثـل الأحمـاض الأمينية ، بل أيضا ربما تكون قد وفرت أيضًا بنية تطورية انتقالية لها. وهذا الكلام الأخير له عن قدرة الطين على أنه "ربما يوفر أيضا بنية تطورية انتقالية" عارٍ تماما عن الصحة لأنه لم يثبت علميا فى أى بقعـة مـن بقـاع الأرض ، ولأن الله عـز وجـل خلـق كـل نـوع مـن المخلوقات خلقا مستقلا ، ولم يأت أى نوع من المخلوقات الحية من تطورٍ من نوع آخر ، وهذا ما ادعاه الداورينيون وهو باطل محض.
وفـى عـام 1975 أكـد العـالم "جيـوفرى هوفمـان" أن التكـوين الجينـى للخلية هو الذى يسمح لها بتخليق البروتينات والأحماض النووية وهو الذى يؤدى إلى انقسامها ونقل الصفات الوراثية([2]).

وفي عام 1982، وبمساعدة جون لويس، أسس مؤتمر غوردون حول أصـول الحيـاة. وأعقـب ذلـك اجتمـاع فـي غلاسكو أسفر عـن إخـراج

[1])Cairns-Smith set all this out in a paper published in 1966
[2]) Hoffmann, Geoffrey W. (October 1975). "The Stochastic Theory of the Origin of the Genetic Code". Annual Review of Physical Chemistry. 26: 123–144. Bibcode: 1975ARPC...26...123H. doi:10.1146/annurev.pc.26.100175.001011

كتاب كيرنز سميث: "أملاح الطمى وأصل الحياة" والذى قامت بطبعه مطبعة جامعة كامبريدج بالمملكة المتحدة 1986 ([1]).

وفى عام 1985 أعلن العلماء في كاليفورنيا ([2])عن اكتشاف كبير يدعم النظرية الناشئة بأن الحياة على الأرض بدأت في الطين بدلاً من البحر([3]). وأظهر الاكتشاف، أن الطين العادي يحتوي على خاصيتين أساسيتين للحياة وهما : القدرات على تخزين الطاقة ونقلها. وبينوا أن مع هذه الطاقة القادمة من الاضمحلال المشع ومصادر أخرى، كان يمكن للطين المبكر أن يعمل "كمصانع كيميائية" لمعالجة المواد الخام غير العضوية في الجزيئات الأكثر تعقيدًا التي نشأت منها الحياة الأولى قبل حوالي أربعة مليارات عام. وفي تحليلهم

[1])In 1982, with the help of John Lewis, I founded the Gordon Conference on the Origins of Life. It was followed by a meeting in Glasgow that resulted in the book that I edited with Cairns-Smith: Clay Minerals and the Origin of Life; Cairns-Smith, A.G., Hartman, H. Eds.; Cambridge University Press: Cambridge, UK, 1986.

[2]) أجرى البحث فريق من العلماء في مركز أبحاث أميس التابع للإدارة الوطنية للملاحة الجوية والفضاء في ماونتنفيو، كاليفورنيا، حيث تجري دراسات عن أصل الحياة منذ سنوات لتعلم كيفية البحث عن الحياة في عوالم أخرى. وكانت رئيس الفريق الدكتورة ليليا كوين، وهي باحثة مشاركة في أميس وأيضا في جامعة ولاية سان خوسيه. ووصفت النتائج بأنها نقطة تحول فى الفكر الإنسانى.

[3]) Is life started from earth? The New York Times Archive See the article of the .in its original context from April 3, 1985, Section A, Page 1 National edition with the headline: NEW FINDING BACKS IDEA THAT LIFE STARTED IN CLAY RATHER THAN SEA.

للطين الخزفي الشائع، قال العلماء إنهم وجدوا أدلة في تشكيل بلورات الطين تخلق –على الأرجح– الظروف التي تحاصر فيها المواد الطاقة وتحملها ربما لآلاف السنين. وأن البنية المجهرية الطينية بها مواقع لتخزين المعلومات اللازمة لتوجيه التفاعلات الكيميائية وتنظيم الكائنات الحية الأساسية في نهاية المطاف.

وبين البحث أن المعادن الطينية اكتسبت الطاقة والاحتفاظ بها من البيئة، في المقام الأول من خلال الاضمحلال المشع، وبطريقة ما نقلها من العمق الداخلي إلى السطح المعدني. هذا هو أكثر من مجرد الاحتفاظ بالطاقة من أشعة الشمس، لأن الطاقة استمرت لعدة أيام وربما سنوات.

وقال الدكتور "كوين" أحد الباحثين لهذا البحث "الأدلة على أن خصائص الطاقة كان في الأشعة فوق البنفسجية التي انبثقت من الطين عندما كان ترهض (مبلولة) بالماء أو السوائل العضوية كثيرة، وكانت أنواع الإشارات الضوئية دليلا آخر على أن الطاقة تأتي من أعماق المعدن، وليس من المناطق تحت سطح الأرض المباشرة". وخلص العلماء كذلك إلى أن الطاقة كانت تنقل إلى السطح من خلال بعض الوسائل لأن الانبعاثات كانت ناجمة عن عوامل تعمل فقط على سطح الطين. ووفقا للبحث، يبدو أن المعادن الطينية قادرة

على تخزين ونقل الطاقة من خلال التقاط مؤقت للإلكترونات ذات النشاط العالي في المواقع البينية في الهيكل الداخلي للطين ([1])، وهذه قد تفسر أيضا عمليات الحفز الطينى والنسخ المتماثل. وقال الدكتور كوين " الأماكن التي يجب أن تكون ذرات الألومنيوم فيها، قد تجد استبدالها بالمغنيسيوم، والأماكن التي يجب أن يكون فيها السيليكون ، قد تحصل على الألومنيوم. البلورات تنمو بسرعة وتحت بعض الظروف الحرارية المائية تميل إلى أن تكون فخ الإلكترونات ويمكن أن تبقي لهم تخزين لفترة طويلة للغاية، لآلاف السنين. وقال الدكتور كوين: "بما أن قدرة الطين على تخزين ونقل الطاقة تتأثر بكل من البنية الداخلية، فإن الطين يبشر بتوضيح دور البيئة في التطور الكيميائي". وذكر هؤلاء العلماء أن هذه النظرية هي أيضا مذكورة في سفر التكوين: " قال الرب الله : شكلت رجل من غبار الأرض" وفي الاستخدام المشترك يسمى هذا الغبار البدائي الطين.

[1]) وهذا أحد معانى كلمة سلالة وهى التسلل من بين الحبيبات كما ذكرت فى تعريف كلمة سلالة ، والمعنى الثانى "لسلالة" هو صفو الشىء

وفى عام 1986 ذكر العالم "جلبرت والتر" أن الحياة بدأت من تكون الحمض النووى الريبوزى فى الطين وسموا هذه النظرية (RNA world) بعالم الحمض النووى الريبوزى([1])

واكتشف بارت كاهر([2]) لأول مرة أفكار كيرنز سميث عندما جاء عبر أحد كتبه في متجر في منتصف 1980. أراد أن يتتبع كيف تمر بلورات الأم على صفاتها إلى بلورات الابنة كما ذكر كيرنز سميث ، قال كاهر"لقد دهشت أنه بعد 25 عاما ، لا يزال الناس يحتكمون إلى نظرية البلورات كجينات ، فقط لضربها بالقول على الفور أنه لا يوجد أي دليل على ذلك على الإطلاق".

وتسمى هذه الفكرة الآن "فرضية البلورات كجينات". ويعلل كيرنز سميث على بدء الحياة من الطمى: "في مرحلة لاحقة، بدأت الجزيئات البيولوجية مثل الحمض النووي في الانتساب مع البلورات. ساعد هذا على عملية النسخ المتماثل. وفي نهاية المطاف ، حدث

[1]) Gilbert, Walter (20 February 1986). "Origin of life: The RNA world". Nature. 319 (6055): 618. Bibcode: 1986Natur.319..618G. doi: 10.1038/319618a0. S2CID 8026658.

[2]) هو كاتب بلورات في جامعة نيويورك في الولايات المتحدة- يقول لقد وقعت في حب الكتاب لأنه كان على عكس دراسة علمية نموذجية"، يقول كاهر. "كانت غنية بشكل مستحيل [في] أفكار جديدة حقا، وكتبت في نوع من الوريد الأدبي، تقريبا." المرة التالية التي رأى فيها كاهر الفكرة المذكورة كانت في منتصف القرن الحادي والعشرين ـ عندما تعرضت لانتقادات قاسية.

"استيلاء وراثي" : الجزيئات البيولوجية وضعت القدرة على التكرار من قبل أنفسهم ، وترك ما وراء البلورات أ.هـ.

قلت فى نفسى (سبحان ربى عز وجل هذا هو ما تعنيه كلمة سلالة).

لقد قرر (كاهر) اختباره في مختبره أراد أن يتتبع كيف تمر بلورات الأم على صفاتها إلى بلورات الابنة ، لمعرفة ما إذا كان الميراث قد يعمل في المعادن الطينية. قرر أن يركز على مجموعة من الصفات الكريستالية تسمى "خلع المسار". هذه هي الأعمدة التي تعمل في جميع أنحاء الكريستال، حيث تم دفع جزء منه قليلا من المحاذاة ، والاضطرابات (خلق أو قلع) تأتي من خلال عملية النمو البلورية، ونمط الاضطرابات في جميع أنحاء الكريستال يمكن أن تشكل نمطا فريدا. أراد كاهر لاختبار ما إذا كان هذا النمط من الاضطرابات سوف تكون موروثة من قبل الكريستال الإبنة, وكيف العديد من الطفرات – خلع جديدة – سوف يتم تقديمها عند كسر الكريستال لإبنة قبالة الكريستالة الأم. ولتجنب بعض الصعوبات التجريبية ، استخدم كاهر بلورات الفثالات لهيدروجين البوتاسيوم، والتي كانت أسهل للعمل معها من الطين أ.هـ.

أستطيع أن أقول لقد ساعد اكتشاف الميكروسكوب الإلكترونى وتقنياته فى كشف هذه الحقائق وعُرِف تركيب البلورات الطينية وقدرتها على تولد بلورات منها (الإبنة البلورية) ، ونقل صفات البلورة الأم لإبنتها، وعلى تسلل العناصر العضوية بين البلورات وتكوين العناصر العضوية منها على سطح البلورات الطينية ثم انفصالها عنها بعد تكونها لتعطى مفهوم السلالة الذى ذكره رب العزة فى كتابه القرآن العظيم .

شكل (1) يبين خلع المسار للكريستالة الإبنة من الكريستالة الأم (أعلى الصورة)

Crystals are never perfectly regular (Credit: AMMRF, University of Sydney/Science Photo Library)

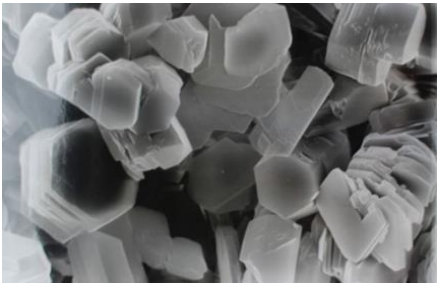

شكل (2) كريستالات الطمى كما وصفها كل من كيرنيز سميث ، تد كنسمان
Clay crystals can take many shapes (Credit: Ted Kinsman/Science Photo Library) Crystals of clay (Credit: Graham Cairns-Smith)

ووضع فريق البحث تقنية لرسم خريطة خلع المسار من بلورات الفثالات الأم وابنتها. ووجدوا أنه يمكن أن نرى الخلع برسم الخرائط من الأم إلى ابنة الكريستال بدقة تامة. ونشرت النتائج في عام 2007 ، ومع ذلك ، فوجئوا فقط كم من العيوب الإضافية التي ظهرت في بلورات الابنة بعد أن انفصلوا. وكانت بلورات الابنة مليئة بهذه "الطفرات"، وعادة ما كان لها على الأقل العديد من الاضطرابات الجديدة مثل تلك الموروثة ا.هـ.

كانت تلك مشكلة لأفكار كيرنز سميث لأن الطفرات الوراثية تحتاج ربما لآلاف السنين حتى تحدث ولكنى أقول أن التغير فى صفات الأبنة البلورية عن صفات الأم لا يعنى فى المقام الأول هو تغيير فى

صفات المركبات العضوية التى تكونت بل ربما هذا يؤدى إلى اختلاف البيئة التى تكون كل من الأحماض الأمينية التى تكون البروتينات ، والكريات الأحادية التى تكون الكربوهيدرات ، والأحماض الدهنية التى تكون الدهنيات وسلسلة الأحماض النووية التى الحمض النووى الريبوزى (RNA) أو الحمض النووى المنزوع منه الأوكسيجن (DNA) والتى بدورها تتكون منها الخلية الحية .

قال كاهر "إذا كانت البلورات لتتطور تدريجيا، هناك حاجة إلى أن يكون أكثر من الميراث من الطفرة ، بحيث يمكن أن يكون للأمهات تأثير قوي على نمط بناتهم من الاضطرابات. ولكي تكون هذه ظاهرة مقنعة ، بحيث لا يمكنك الانتقال من ضفدع إلى قرد في جيل واحد، فإن أقل الطفرات كان يمكن أن يكون "أشبه بالحياة كما نعرفها الآن". ومع ذلك تجربة كاهر ليست الوحيدة التي استكشفت أفكار كيرنز سميث([1]).

[1])Theresa Bullard, John Freudenthal, Serine Avagyan and Bart Kahr(2007). Test of Cairns-Smith's 'crystals-as-genes' hypothesis. Journal of royal society of chemistry, Volume 136, 2007, from Faraday Discussions
https://pubs.rsc.org/en/content/articlelanding/2007/FD/b616612c#!divAbstract

كما استلهمت "ريبيكا شولمان" وهي مهندسة بيولوجية في جامعة جونز هوبكنز في بالتيمور بولاية ماريلاند، من فرضية البلورات كجينات. وقالت إنها وجدت وسيلة لتمثيل ونسخ المعلومات، في شكل الكريستال

She had found a way to represent and copy information, in crystal form

وفي سلسلة من التجارب وجدت شولمان، أولاً من خلال المحاكاة الحاسوبية ثم بالتجربة، أن بلاط الحمض النووي يمكن أن يتراكم في نمط معين، وبترميز المعلومات بشكل فعال في بنية بلورية. وقالت إنها وجدت وسيلة لتمثيل ونسخ المعلومات، في شكل الكريستال. وعلى المستوى النظري، النتائج التي توصلت إليها مفيدة للدراسات التي أجريت على أصل الحياة([1]) أ.هـ.

وهذا يدل أيضا على أن التغيرات التى حدثت للبلورة الإبنة ربما لا يكون لها دخل بما يحدث للمركب العضوى المتكون على سطحها بل التغيير يكون فى المركب نفسه إذا حدثت فيه طفرة وراثية وهذا كما

[1]) "جزء من الهدف للبحث عن أصل الحياة هو على نطاق واسع جدا أن نسأل كيف يمكن للمرء أن تصميم أنظمة في الكيمياء حيث يمكن تكرار المعلومات" كما لو كان فى الحمض النووى ال .د.ن.ا

ذكرت من قبل ربما يحتاج إلى آلالاف عديدة من السنين ربما تصل لأكثر من خمسين ألف سنة.

وفى دراسة معملية 1988 للعالم ميخائيل روسيل وآخرون تم من خلالها عمل بيئة مشابهة لبيئة الطمى على الأرض ، وتم تكوين أحماض نووية وأمينية مثل التى تتكون فى الكائنات الحية. وبينوا أن تكون الأحماض الأمينية أو النووية والتى تتم فى الطبيعة من خلال الطمى والماء والحرارة والطاقة تكونت من العناصر الغير عضوية ، وربما هى التى أدت إلى تكوين الخلايا الحية على حواف البحار والمحيطات([1]). كما ذكر ميخائيل روبرتسون وآخرون فى مجلة نيتشر 1995([2]) أن الطين يستطيع أن يكون القواعد النيتروجينية السيتوزين واليوراسيل والتى تدخل فى تكوين الأحماض النووية اللازمة للحياة ا.هـ.

[1])Russell, Michael J.; Hall, A.J.; Cairns-Smith, Alexander Graham; et al. (10 November 1988). "Submarine hot springs and the origin of life". Nature. 336(6195): 1569–1572. Bibcode: 1988 Natur.336..117R. doi: 10.1038/336117a0. S2CID 45788156.

[2])Robertson, Michael P.; Miller, Stanley L. (29 June 1995). "An efficient prebiotic synthesis of cytosine and uracil". Nature. 375 (6534): 772–774. Bibcode:1995Natur.375..772R. doi:10.1038/375772a0. PMID 7596408. S2CID 4351012.

وتزيدنا نتائج هذه الأبحاث التى تثبت أن أصل مكونات الحياة بدأت من الطين، يقينا بأن قول رب العالمين (سلالة من طين) هو الحق والصدق الذى لا ريب فيه ، وهذا يدل على صدق الرسالة وصدق الرسول من خلال قرآن يتلى منذ 1442 سنة وإلى يوم الدين.

كما ذكر ماثيو ليفيلى وآخرون فى عام 2000 ([1]) "أن تخليق الأدينين والأحماض الأمينية يتحقق فى بيئة طينية.

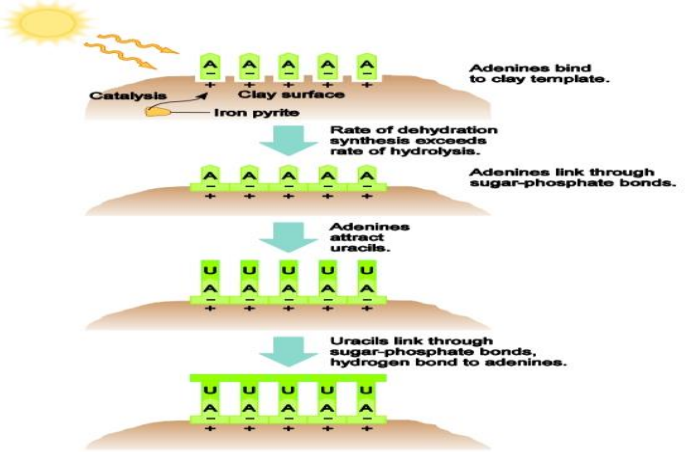

شكل (3) يبين كيفية تكوين القواعد النيتروجينية للحمض النووى مثل الأدنين ثم ارتباطها باليوراسيل فى البيئة الطينية

[1])Levy, Matthew; Miller, Stanley L.; Brinton, Karen; Bada, Jeffrey L.(June 2000). "Prebiotic Synthesis of Adenine and Amino Acids Under Europa-like Conditions". Icarus. 145 (2): 609–Bibcode:2000Icar..145..609L. doi:10.1006/icar.2000.6365. PMID 11543508.

وقد اتخذت جامعة أكسفورد خطوة أخرى فهما لأصل الحياة حيث أجرى البروفيسور دون فريزر من قسم علوم الأرض تجارب نثر النيوترونات في محاولة لمعرفة المزيد عن دور الكيمياء الجيولوجية في تحديد أصل الأحماض الأمينية لدينا – التى تمثل اللبنات الأساسية للحياة على الأرض – وعلى وجه التحديد لماذا الأحماض الأمينية المرمزة بالحمض النووي التي تشكل بروتيناتنا كلها أعسر؟ وهذا سؤال مهم([1])، بل إن مستقبلات الشم في أنوفنا، على سبيل المثال، تميز بسهولة الروائح المتميزة للجزيئات المتطابقة (تسمى كارفون) من النعناع (R–carvone) وكارواي (S–carvone). مثال آخر هو مأساة الثاليدوميد التي كانت مرتبطة بوجود كل من أشكال الصورة المرآة في الدواء. بل يظن العلماء أن لغزا مهما هو لماذا تختار الطبيعة فقط الأحماض الأمينية الأعسر حصراً في تكوين البروتينات([2])؟.

وبين جيمس فيريس وآخرون أن الطمى يمكن أن يكون بمثابة المحفزات لتشكيل خيوط طويلة من الحمض النووي الريبوزى، والتي

[1])https://www.ox.ac.uk/news/science-blog/did-clay-mould-life%E2%80%99s-origins Did clay mould life's origins? هناك نوعان من الأحماض الأمينية والمعروفة باسم اليد اليسرى أو اليمنى (يشار إليها باسم S و R). فهي صور مرآة لبعضها البعض وكلاهما موجود في الطبيعة

[2])Williams L. B., et al. Geology, 33. 913 - 916 (2005).

مع البروتينات والحمض النووي هي مركبات رئيسية ضرورية لأصل الحياة. وفي الورقة التى نشرت في مجلة الكيمياء الفيزيائية والفيزياء الكيميائية، وسع البروفيسور فريزر هذه الأفكار للنظر في الأحماض الأمينية ومحاولة فهم لماذا جميع الأحماض الأمينية المستخدمة في صنع البروتينات هي أعسر. ولقد قاموا باستبدال الكاتيونات بين الطبقات التي تشكل جزيئات الطين الطبيعية مع الكاتيونات العضوية الغير طينية وهى ضعيفة، مما تسبب في طبقات الطين إلى الانجراف بعيدا. التي خلقت نظاما للطين حساسا للغاية مع مساحة كافية لإدراج كل من اليسار والأيمن أشكال الهستيدين من الأحماض الأمينية بين الطبقات. وجدنا أن جزيئات R و S–histidine تتفاعل بشكل مختلف مع الأسطح الطينية أ.هـ.

وهذا يدل على إن هذا الطين قادر على اختيار اليسار أو اليمين – فضلا عن كونه متورطا في التوليف الغير حيوي من الحمض النووى الريبوزى ال ر.ن.ا RNA،" ويقول البروفيسور فريزر. "تجاربنا كانت أول من أظهر أن جزيء الطين يستطيع أن يفعل ذلك([1])ا.هـ .

[1])Donald G. Fraser,*a H. Christopher Greenwell,b Neal T. Skipper,c Martin V. Smalley,d Michael A. Wilkinson,ce Bruno Demée and R. K. Heenanf (2011). Chiral interactions of histidine in a hydrated vermiculite clay. the journal: Physical Chemistry Chemical Physics. https://pubs.rsc.org/en/content/articlelanding/2011/cp/c0cp01387k#!divAbstract

وهذا يفسر أيضا قول علماء اللغة العربية المعنى الثانى لكلمة سلالة من الطين وهو اختيار صفو الشيء.

يقول فريزر "وجدنا أيضا أن الفضاء بين الطبقات الصغيرة بعض 5nm واسعة كانت منطقة ديناميكية مهمة جدا لدراسة الكيمياء البريبايوتية([1]) وأن ردود الفعل من المواد الكيميائية البسيطة هناك يؤدي إلى تشكيل كل من RNA oligomers واختيار الأحماض الأمينية اليسرى.' كما تم إظهار الطين من قبل جاك Szostak وغيرها لتمكين الأحماض الدهنية لتشكيل الخلايا البدائية، والمثير للاهتمام، أن الطين يظهر سلوك انتقائي مماثل في الفضاء، كما ذكر مؤخرا من قبل علماء ناسا غلافين ودوركينا أ.هـ.

سبحانك ربى ما أعظمك وانت العليم الخبير لقد أيدك هؤلاء العلماء فيما تقول (سلالة من طين) رغم عدم معرفتهم بالقرآن الكريم ولا درسوه ، وهذا يحقق قول نبينا محمد ﷺ (إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بالرجلِ الفاجرِ([2])

[1]) البريبيوتك تعنى المكونات التى تؤدى إلى الحياة أو ما قبل الحياة

[2]) هو جزء من حديث رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة (6606)، ومسلم (111) ، ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد عن النعمان بن مقرن

يقول البروفيسور فريزر"نحن بذلك نستطيع بناء صورة مفصلة على نحو متزايد من الخطوات التي تؤدي إلى أصل الحياة. "نحن نواصل أبحاثنا لتوفير صورة مفصلة عن الطريقة التي تتفاعل الأحماض الأمينية مع طبقات من الطين للمرة الأولى([1]).

وقد وجد فريق من العلماء الأمريكيين "الرحم البدائي" الذي تم احتضان الحياة الأولى على الأرض حيث اكتشفت ليندا ويليامز وزملاؤها في جامعة ولاية أريزونا في تيمبي أن أنواعا معينة من المعادن الطينية تحول جزيئات بسيطة قائمة على الكربون إلى جزيئات معقدة في ظروف تحاكي تلك الفتحات الحرارية المائية الرطبة الساخنة (مثل البراكين الصغيرة على قاع البحر). ومثل هذه الجزيئات المعقدة كانت ستكون مكونات أساسية لأول أنظمة تشبه الخلايا على الأرض. بعد أن ساعدت مثل هذه الجزيئات الحساسة على التشكل ، كما يمكن للطين أيضًا حمايتها من التعطل في المياه الساخنة التي يتم إصدارها من الفتحات ، كما يقول الباحثون في مجلة Geology1. يقول جيمس فيريس، المتخصص في الأصول

[1]) Donald G. Fraser, Daniel Fitz T. Jakschitz and Bernd M. Rode(2011) Selective adsorption and chiral amplification of amino acids in vermiculite clay-implications for the origin of biochirality. Issue 3, journal: Physical Chemistry Chemical Physics.

الكيميائية للحياة في معهد رينسيلار للفنون التطبيقية في تروي، نيويورك: "من المثير للاهتمام " أن الطمى يمكن أن تكون بيئة مناسبة حيث يمكن تشكيل جزيئات عضوية معقدة فيها." ولكن الباحثين تساءلوا منذ فترة طويلة كيف، إذا كانت الحياة المبكرة قد تشكلت في هذه البيئة، فقد نجت من الغليان بسبب الظروف القاسية. وقد أظهر فريق ولاية أريزونا أن المعادن الطينية الموجودة عادة في الفتحات يمكن أن تغلف الجزيئات العضوية، مما يبقيها سليمة. وقامت هذه المجموعة من العلماء بمحاكاة بيئة التنفيس في المختبر، وغمرها أنواعًا مختلفة من الطين في الماء المضغوط عند درجة حرارة 300 درجة مئوية لعدة أسابيع، والنظر إلى مصير مركب عضوي بسيط، مثل الميثانول، في هذا الحساء. واختاروا الميثانول لأن عملهم السابق أظهر أن المركب يمكن أن يتشكل في بيئة تنفيس من غازات بسيطة مثل ثاني أكسيد الكربون والهيدروجين([1]). ووجد الباحثون أن الميثانول في نظام الفتحة الاصطناعية الخاصة بهم تم تحويله إلى جزيئات عضوية كبيرة مختلفة على مدى ستة أسابيع أو نحو ذلك ، طالما كانت طبقات الطين متباعدة على نطاق واسع بما يكفي لعقد

[1]) تتكون الطينات بشكل عام من صفائح مصنوعة من ذرات الألومنيوم والسيليكون والأكسجين ، والتي يتم تكديسها فوق بعضها البعض. في بعض هذه المواد، مثل السابونيت الطيني والمونموليلونيت، هناك مجال للذرات والجزيئات الأخرى للانزلاق بين الطبقات.

المركبات. وأعلنوا أن "الطين يوفر ملاذا آمنا للجزيئات العضوية، أساسا مثل 'الرحم البدائية'،". وتضيف هذه النتائج وزنا لفكرة أن الطين كان مفتاح أصل الحياة. وقد أظهرت الأبحاث السابقة أن الطين بمثابة محفز لتشكيل جزيئات البوليمرات مثل البروتينات والحمض النووي. كما أنها يمكن أن تشجع جزيئات الدهون لترتيب أنفسهم في مقصورات تشبه الخلية تسمى حويصلات([1]).

وتبين أن الاقتران بين التخليق من الطين الغنية بالحديد وتوليف الأحماض الأمينية، والأحماض أحادية الكربوكسيلية، والأحماض ديكاربوكسيلي قد وقعت. وقد تم مؤخرا اختبار هذا الاقتران تجريبيا، وقد لوحظ أن الطين على سطح المريخ غنية بالحديد. وأن الطين هي محفزات ممتازة في الكيمياء العضوية. وقد تمت دراستها في البلمرة من الحمض النووي الريبي والببتيدات ([2]) وتوالت ابحاث العلماء لإثبات أن الحياة بدأت من الطين ، وألفت فى ذلك الكتب العلمية والمراجع منها كتاب تطورات فى علوم الطمى والذى صدر فى يناير 2013 ([3])

---

[1])WilliamsL. B., et al. Geology, 33. 913 - 916 (2005).

[2])Laszlo, P. Chemical reactions on clays. Science 1987, 235, 1473).

[3])Brack, A. (2013-01-01), Bergaya, Faïza; Lagaly, Gerhard (eds.), "Chapter 10.4 - Clay Minerals and the Origin of Life", Developments in Clay Science, Handbook of Clay Science, Elsevier, 5, pp. 507–521,

وفى دراسة نشرت فى موقع العلوم اليومية science daily فى 13 نوفمبر سنة 2013 ([1]) تقول أن مزيج من المعادن يبدو عقيما ، ربما كان مهد الحياة على الأرض. أو على الأقل من المواد الكيميائية الحيوية المعقدة التي تجعل الحياة ممكنة ([2]) حيث قال دان لوه([3]) "نقترح أن يكون الطين الهيدروجيل في التاريخ الجيولوجي المبكر قد وفر وظيفة الحبس للجزيئات الحيوية والتفاعلات الكيميائية الحيوية. وفي محاكاة مياه البحر القديمة تبين أن الطين يشكل هيدروجيل – وهى كتلة من المساحات المجهرية قادرة على امتصاص السوائل مثل الإسفنج. وعلى مدى مليارات السنين، فإن المواد الكيميائية المحصورة في تلك المساحات يمكن أن تؤدى إلى تشكيل البروتينات والحمض النووي ، وفي نهاية المطاف نجد جميع الآلات التي تجعل الخلايا الحية قادرة على العمل. يمكن أن تكون الهيدروجيل الطينية قد حصرت وحمت تلك العمليات الكيميائية حتى

---

[1](هذه الدراسة نتيجة تعاون البروفيسور دان لوه مع البروفيسور ماكس لو من المعهد الأسترالي للهندسة الحيوية وتكنولوجيا النانو في جامعة كوينزلاند في أستراليا. وقد أُنجز العمل في مركز كورنيل لمرافق البحوث المشتركة للمواد، بدعم من المؤسسة الوطنية للعلوم.

[2](https://www.sciencedaily.com/releases/2013/11/131105132027.htm.

.Clay may have been birthplace of life on Earth, new study suggests

Source: Cornell University.Date: November 5, 2013

[3](دان لو هو أستاذ الهندسة البيولوجية والبيئية وعضو معهد كافلي في كورنيل للعلوم النانوية(:

Dan Luo, professor of biological and environmental engineering and a member of the Kavli Institute at Cornell for Nanoscale Science.

يتطور الغشاء الذي يحيط بالخلايا الحية. ولمزيد من اختبار الفكرة، أظهرت مجموعة (البروفيسور لوه) تخليق البروتين في هيدروجيل الطين. واستخدم الباحثون في السابق الهيدروجيل الاصطناعية كوسيلة "خالية من الخلايا" لإنتاج البروتين. ولجعل العملية مفيدة لإنتاج كميات كبيرة من البروتينات، كما هو الحال في تصنيع الأدوية، تحتاج إلى الكثير من الهيدروجيل.

ولكن بعد ذلك خطر للباحثين أن ما اكتشفوه قد يجيب على سؤال طويل الأمد حول كيفية تطور الجزيئات الحيوية؟.

وقد أظهرت التجارب التي أجراها الراحل كارل ساغان من كورنيل وآخرين أن الأحماض الأمينية والجزيئات الحيوية الأخرى كان يمكن أن تكون قد تشكلت في المحيطات البدائية، وتستمد الطاقة من البرق أو الفتحات البركانية. ولكن في المحيط الشاسع، كيف يمكن لهذه الجزيئات أن تتضافر في كثير من الأحيان بما يكفي للتجمع في هياكل أكثر تعقيداً، وما الذي يحميها من البيئة القاسية؟ وكان العلماء قد أشاروا في وقت سابق إلى أن بالونات صغيرة من الدهون أو البوليمرات ربما تكون بمثابة سلائف لأغشية الخلايا.

إذن يعتبر (الطين أو الطمى) هو احتمال واعد لأن الجزيئات الحيوية تميل إلى التعلق بسطحه، وقد خلص العلماء إلى أن السيتوبلازم – البيئة الداخلية للخلية – يتصرف مثل الهيدروجيل. وقال العالم "لوه" إن الهيدروجيل الطيني يحمي محتوياته بشكل أفضل من الإنزيمات الضارة (التي تسمى "الانزيمات النووية Nucleases التى تكسر الحمض النووى) والتي قد تفكك الحمض النووي والجزيئات الحيوية الأخرى.

وكدليل آخر، يظهر التاريخ الجيولوجي أن الطين ظهر لأول مرة – بعدما تسربت السيليكا من الصخور – في الوقت الذي بدأت فيه الجزيئات الحيوية تتشكل إلى خلايا أولية – هياكل تشبه الخلايا، ولكنها غير مكتملة – وفي نهاية المطاف الخلايا المغلقة بالغشاء. وهذا يبين أن الأحداث الجيولوجية تطابقت بشكل جيد مع الأحداث البيولوجية. وقال "لوه" إن كيفية تطور هذه الآلات البيولوجية لم يتم تفسيرها بعد.

وفي الوقت الراهن فإن مجموعته البحثية تعمل على فهم لماذا هيدروجيل الطين يعمل بشكل جيد جدا، مع العلم أن التطبيقات العملية في إنتاج البروتين تكون خالية من الخلايا.

وفى محاولة للعلماء لمعرفة كيف تكونت الأحماض الأمينية لأول مرة في بيئة واقية في المقام الأول حيث نشرت دراسة أخرى لعام 2013 تقول هل الإنسان مخلوق من الطين([1])؟ وتبين البحوث الحديثة أن الطين وفرت البيئة المثالية للتفاعلات البيوكيميائية في وقت مبكر.

وتشير هذه الدراسة إلى إن لديانات العالم إجابة بسيطة على أصل البشرية: الطين. الآن العلم قد يعود في الواقع لهذا الأمر. تشير أبحاث جديدة من جامعة كورنيل إلى أن الحياة كان يمكن أن تبدأ في الطين الرطب. وأن الطين ربما وفر بيئة واقية مثالية لكي تتحقق الحياة. الغموض يحيط بالسؤال المهم وهو كيف تفاعلت الجزيئات البيولوجية مع بعضها البعض قبل أن تنضم إلى بعضها داخل الخلية الأولى للأرض.

وأقول وبالله التوفيق هذا يؤكد قول ربنا عز وجل (وبدأ خلق الإنسان من طين) ، وأقول أيضا أن المراحل التى خلق منها جسد آدم عليه السلام وهى (الطين ، والطين اللازب ، والحمأ المسنون والصلصال كالفخار) كانت فى غاية الدقة العلمية التى تبين عملية التسوية التى ذكرها ربنا عز وجل (فإذا سويته) لكى تتشكل اللبنات الأساسية

[1])https://www.csmonitor.com/Science/2013/1106/Did-man-form-from-earth-New-research-suggests-early-life-began-in-wet-clay .Did man form from earth? New research suggests early life began in wet clay.

لتكوين هذا الجسد ، وتستل من هذا الطين لتعطى بعد نفخ الروح فى هذا الجسد الخلايا والأعضاء والأجهزة الحية.

فـي الوقـت الحاضـر، تـوفر أغشـية الخلايـا الحـاجز الـواقي للحمـض النـووي الريبـوزى RNA ، والحمض النووي ال د.ن.ا DNA حيث يعمـل الجزيئـان معًـا لإخـراج البروتينـات. لكـن فريـق كورنيـل أراد أن يعرف الكيفية التى نشأت بها المكونات الأساسية للخلية ، حتى قبل أن توجد الخلايا.

لقد ابتكر العلماء هلامًا مع طينٍ ومياه محيطية – كلاهما به عناصر وفيـرة كانـت علـى الأرض المبكـرة. وعنـدما أضـافوا الحمـض النـووي والحمـض النـووي الريبـوزى إلـى المزيـج، وجـدوا أن الأحمـاض النوويـة كانـت محميـة مـن الإنزيمـات التـي يمكـن أن تـدمرها. كمـا وجـدوا أن الأحماض النووية تؤدي إلى النسخ للحمض النووى ، والترجمة – أى إلـى العمليـات التـي تولـد البروتينـات – بشـكل جيـد وبشـكل ملحـوظ عندما تقتصـر داخـل الطـين. يقـول علمـاء هـذا البحـث "وجـدنا بشـكل مفاجئ أن النسخ مقرونة برد فعل الترجمة للبروتينات من الأحماض النووية التى لها القدرة على النسخ . لم يتم الحفاظ عليها فقط ولكن تم تعزيزهـا باسـتمرار فـي بيئـة الهيـدروجيل الطينيـة" ووجـدت الدراسـة أن

الطين قدم الزخروف الواقي اللازم للكوكب الكيميائي الحيوي الذي كان يمكن أن يؤدي إلى الحياة المبكرة.

ومن سنغافورة، 2018. ذكر هارتمان ؛ وسميث، T.F. أن أصل الشفرة الوراثية وجدت الحياة في الانتقال بين عالم Thioester من الببتيدات (البروتينات) والعالم فوسفوبيتر من البولي نيوكليوتيدات (الأحماض النووية) وذكر ذلك فى مجلة لايف (الحياة) 2019 ([1])

وفى دراسة بمعهد جورجيا للعلوم التقنية اجريت فى عام 2019 ([2]) أثبت الباحثون رؤية الأحماض الأمينية التي تشكل الحياة اليوم ، والتى تربتط تلقائيا في ظل ظروف المختبر التي تحاكي تلك التي من الأرض قبل الحياة ، وكانت النتيجة أسلاف من البروتينات اليوم.

---

[1])Hartman, H. From clay to the code of life. In Sidney Brenner's 10-on-10: The Chronicles of Evolution; Wildtype Books: Singapore, 2018. Hartman, H.; Smith, T.F. Origin of the Genetic Code is Found at the Transition between a Thioester World of Peptides and the Phosphoester World of Polynucleotides. Life 2019, 9, 69. Dr. Hyman Hartman Guest Editor

[2])Pre-life building blocks spontaneously align in evolutionary experiment .August 2, 2019
Georgia Institute of Technology. The Scripps Research Institute, published their results in the journal Proceedings of the National Academy of Sciences on July 29, 2019. The research was funded by the NSF and NASA.

لقد كان من الصعب على الباحثين فهم أن الأحماض الأمينية تختار فى سلسلة تركيبها المواد الكيميائية للحياة بعد إضافة منافسين غير البيولوجين (أحماض أمينية غير بيولوجية) ، ولكن الطبيعة اختارت الأحماض الأمينية البيولوجية ولا تختار الأحماض الأمينية غير البيولوجية (تأمل هذا إنه اختيار صفو الشيء). عندما كان كوكب الأرض بلا حياة قبل حوالي 4 مليارات سنة، وتكونت المكونات الكيميائية معا في سلاسل جزيئية صغيرة من شأنها أن تتطور في وقت لاحق إلى البروتينات، وهى لبنات الحياة الحاسمة.

وأقول وبالله التوفيق هذا يبين استلال صفو الطين من الشوائب التى فيه مما يؤكد قول ربنا عز وجل (من سلالة من طين).
وفي ظل ظروف تحاكي تلك الموجودة على الأرض قبل الحياة، تكونت مجموعة صغيرة من الأحماض الأمينية مرتبطة تلقائيا في تسلسل أنيق بطريقة فاجأت الباحثين في معهد جورجيا للتكنولوجيا. وقد أعطى العلماء هذه الأحماض الأمينية الموجودة في البروتينات اليوم بعض المنافسة الشديدة عن طريق إضافة أحماض أمينية غير الموجودة في البروتينات ، والتفكير في هذه الأحماض الأمينية غير البروتينية ، أو غير البيولوجية ، ربما لن تسمح للأجزاء البيولوجية في الغالب أن تأتي معا. وهذه الأحماض الأمينية غير البيولوجية

لديها القدرة على التفاعل كيميائيا بشكل جيد أو أفضل من تلك البيولوجية ، وكثيرا ما تصبح جزءا من سلاسل صغيرة، وربما بمثابة خطوة بينية في التطور الأكبر نحو البروتينات. ولكن قضت التجربة على تلك التوقعات حيث أدت ردود الفعل في الغالب إلى سلاسل كانت أقرب إلى البروتينات الفعلية اليوم وأقل في السلاسل التي شملت الأحماض الأمينية غير البيولوجية. وقال "هود" ، أحد المحققين الرئيسيين في الدراسة وأستاذ الحكام في كلية الكيمياء والكيمياء الحيوية في جورجيا تك: تم استبعاد الأحماض الأمينية غير البيولوجية إلى حد ما.

على وجه الخصوص، كان الباحثون يعتقدون أن الأحماض الأمينية غير البيولوجية سوف يتفوق على الأحماض الأمينية البيولوجية مثل الحمض الأمينى ليسين، ولكن لم يكن الأمر كذلك. كما اعتقدوا أن ليسين في كثير من الأحيان لا يصلح بدقة في السلاسل بالطريقة التي يفعل في البروتينات. فاجأهم رد الفعل مرة أخرى. وقال هود([1]): الكيمياء التي ربما مهدت الطريق إلى الحياة الأولى: "دخلت ليسين في السلاسل في الغالب بالطريقة التي ترتبط بها في البروتينات اليوم.

[1]) الباحث هود: هو أيضاً مدير المؤسسة الوطنية للعلوم/مركز التطور الكيميائي (CCE)، الذي يقع مقره الرئيسي في جورجيا . نشر فريق البحث، الذي ضم متعاونين من معهد سكريبس للأبحاث، نتائجه في مجلة وقائع الأكاديمية الوطنية للعلوم في 29 يوليو 2019. تم تمويل البحث من قبل NSF وناسا.

وتشير تجربة الدراسة إلى إن تفضيل دمج الأحماض الأمينية البيولوجية على النظراء غير البيولوجية يضيف أيضاً إلى التفسيرات المحتملة لماذا الحياة المختارة لـ 20 حمضاً أميني فقط "فكرتنا هي أن الحياة بدأت مع العديد من اللبنات التي كانت هناك واختار مجموعة فرعية منها، ولكننا لا نعرف كيف تم اختيارها على أساس الكيمياء البحتة ، أو كم العمليات البيولوجية التى تم بها اختيارها([1]).

سبحانك ربى لا تزيدنا هذه الأبحاث إلا قوة ايمانية بقول ربنا (من سلالة من طين) أى من صفو الطين ، أو من انسلال بعض مركبات الطين وليس كل مركبات الطين.

إن البروتينات إما أنها ذات طابع حمض أمينى واحد مونو (Mono)، أو أكثر مع اختلاف الأحماض الأمينية (oligo) أوليغو، أو عديد من الأحماض الأمينية (poly) ترتبط بعضها ببعض بروابط ببتيدية. وقد دعموا هذه الفرضية الأساسية بأن معظم البوليمرات البيولوجية تشكلت في دورات رطبة وجافة، ربما على الشقق الترابية التي اجتاحتها الأمطار ، وتأمل معى قولهم هذا الذى يشير إلى ما بينه ربنا عز وجل من أن الخلق يكون من (الماء + التراب) وهو الذى يكون الطين (وبدأ خلق الإنسان من طين) وهذا ما ذكره رب

[1]) من المعلوم أن عدد الأحماض الأمينية التى تكون بروتينات الكائن الحى هى 20 حمض أمينى وتختلف وظيفة وتركيب البروتينات على حسب الأحماض الأمينية المكونة لها.

العزة عز وجل قبل ظهور هذه العلوم الحديثة بأربعة عشر قرنا ويزيد ، فى كتاب أنزل على قلب نبى عربى أمى ليست عنده هذه العلوم ولا هذه المعارف ولا في من حوله من أقوى حضارتين فى العالم آنذاك وهما حضارتى الفرس والروم ، وهذا يدل على أنه وحى من العليم الخبير (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) سورة النجم) كما يدل بكل طمأنينة على صدق رسالته ﷺ ، وهذا يزيدنا ايمانا وتصديقا بكتاب ربنا وبصدق رسالة نبينا محمد ﷺ.

ويقول العلماء أيضا : بأن معظم البوليمرات البيولوجية تشكلت من تراب الصخور على ضفاف البحيرة التي تخبزها حرارة الشمس بانتظام وهنا أيضا اشارة إلى الماء والتراب والطاقة.

ولكن علماء الكيمياء الحيوية وجدوا مؤخرا أدلة على أن جميع المواد الكيميائية الرئيسية للحياة يمكن أن تتشكل من نفس مواد البدء البسيطة. وفي دراسة نشرت في سبتمبر/ أيلول 2020 فى مجلة العلوم ساينس ، حيث قام باحثون بقيادة سارة سزيمكوفيتش، التي كانت آنذاك في الأكاديمية البولندية للعلوم في وارسو، بتجميع قاعدة بيانات باستخدام عقود من التجارب التي سعت إلى جعل لبنات البناء الكيميائية للحياة. وبدءا بست مواد كيميائية بسيطة فقط، مثل الماء والميثان، وجدت سزيمكوفيتش أنه من الممكن صنع عشرات الآلاف

من المكونات الرئيسية، بما في ذلك المكونات الأساسية للبروتينات والحمض الريبوزى ال ر.ن.ا RNA([1])

وفى دراسة بجامعة كولومبيا فى عام 2020 ([2]) تقول على الرغم من معرفة متى ظهرت الحياة لأول مرة على الأرض، لا يزال العلماء لا يفهمون كيف حدثت الحياة، مما له آثار مهمة على احتمال العثور على الحياة في أماكن أخرى من الكون. في ورقة جديدة نشرت في وقائع الأكاديمية الوطنية للعلوم اليوم ، بقيادة الدكتور ديفيد Kipping ، وهو أستاذ مساعد في قسم كولومبيا لعلم الفلك ، قام باستخدام تقنية إحصائية تسمى الاستدلال بايزي والذى يمكن أن يلقي الضوء على الكيفية المعقدة للحياة خارج الأرض والتى قد تتطور في عوالم غريبة. وقال كيبينغ : "إن الظهور السريع للحياة والتطور المتأخر للبشرية ، في سياق الجدول الزمني للتطور ، هي بالتأكيد

[1])Agnieszka Wołos, Rafał Roszak,Anna Żądło-Dobrowolska, Wiktor Beker, Barbara Mikulak-Klucznik, Grzegorz Spólnik, Mirosław Dygas, Sara SzymkućBartosz A. Grzybowski (2020). Synthetic connectivity, emergence, and self-regeneration in the network of prebiotic chemistry. Science 25 Sep 2020:Vol. 369, Issue 6511, eaaw1955 . DOI: 10.1126/science.aaw1955

[2])https://www.sciencedaily.com/releases/2020/05/200518162639.htm . New study estimates the odds of life and intelligence emerging beyond our planet May 18, 2020 .Source: Columbia University .David Kipping. **An objective Bayesian analysis of life's early start and our late arrival**. *PNAS*, 2020 DOI: 10.1073/pnas.1921655117

موحية بأشياء مهمة". لكن في هذه الدراسة من الممكن تحديد ما تخبرنا به الحقائق في الواقع. لقد استخدم كيبينغ التسلسل الزمني لأقدم الأدلة للحياة وتطور البشرية. وتساءل عن عدد المرات التي نتوقع فيها أن تعود الحياة والذكاء إلى الظهور إذا تكرر تاريخ الأرض، وإعادة تشغيل الساعة مرارا وتكرارا. لقد صاغ المشكلة من حيث أربعة إجابات ممكنة: الحياة شائعة وغالباً ما تطور الذكاء، والحياة نادرة ولكنها غالباً ما تطور الذكاء، والحياة شائعة ونادراً ما تطور الذكاء، وأخيراً، الحياة نادرة ونادراً ما تطور الذكاء. من هذه الفرضيات الأربعة، استخدم كيبينغ الصيغ الرياضية البايزية لوزن النماذج مقابل بعضها البعض. "في الاستدلال بايزي ، وتوزيعات الاحتمال المسبقة والتى تحتاج دائما إلى اختيار" ، وقال Kipping. "ولكن النتيجة الرئيسية هنا هي أنه عندما يقارن المرء سيناريوهات الحياة النادرة مقابل الحياة المشتركة، فإن سيناريو الحياة المشتركة يكون دائمًا أكثر احتمالاً بتسع مرات على الأقل من السيناريو النادر."

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

سبحانك ربى القائل فى كتابك العزيز الذى (لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42) سورة فصلت. إن ما

يثبته العلماء فى القرن العشرين والقرن الحادى والعشرين بعدما توفرت لهم أدوات العلم لإثبات أن الطين يستطيع تكوين البلويمرات البيولوجية (كالأحماض النووية ال د.ن.ا ، وال ر.ن.ا ، والبروتينات والكربوهيدرات والغشاء الخلوى الذى يجمعهم فى خلية حية لها القدرة على التناسخ والتكاثر. والحق يقال: أن هذا المسلك المعرفي هو المرشح – بلا منافس الذى نعرفه – لتحقيق قول الله تعالى (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.. (العنبوت:20)، وقوله تعالى (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ... (الأعراف: 185). ما يدعو إلى التأمل والنظر فى كيفية بدء الخلق وهذا لا يناقض ما جاء فى قوله تعالى فى سورة الكهف (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا(51) فإن هذه الآية تتكلم عن الخائضين العابثين، الذين يتكلمون عن عيوب خلق الكون وخلق الإنسان وخلق الكائنات الحية ، ومن هؤلاء الذين يُحيلون كل شيء إلى أسباب مادية محضة قائمة بذاتها، وأن منها ما أوصلهم إلى أن أصل الإنسان قد تفرع على القردة ... إلخ؟ وأن من يسلك مسالكهم، بلا رَوِيّة ولا تبصُّر ولا تحقيق ولا تنقيح المعاني، في مسائل خلق السموات والأرض، وخلق الحياة والإنسان، يقع في وسمهم بالضالين، وهم الذين يخوضون فيما

يسمونه: [أخطاء الخلق]، ويريدون أن ينالوا من إبداع الخالق جل وعلا، ولا ينالون ولا يفضحون إلا أنفسهم وجهلهم، وما يشعرون.

الرد على التطوريين فى تخطئة الحكمة في الخلق

ونظراً لكثرة هذا العبث المستتر تحت عناوين علمية، فجدير بنا أن نكشف عنه الستار، باعتبار أصحابه بعينهم ومن سلك سبيلهم، هم الجديرون المستحقون بالنكارة عليهم وأن يُدرجوا فيمن يشملهم قول الله تعالى (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)، ولماذا يصبحون مشمولين، بل جديرون بذلك بامتياز؟! .. لأنهم وضعوا لأنفسهم مرتبة تقييم خلق الله ، وهم – وهنا بيت القصيد – لم يُستشهدوا على خلق السموات والأرض، ولا خلق أنفسهم. ولأن ما يفعلوه الآن من تخطئة الحكمة في الخلق ما هو إلا إضلال للناس بلا خلاف، فيستحقون عندئذ أن يُدرجوا في قول الله تعالى في شأنهم (وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا) أي مساعدين يدرءون بكذبهم أخطاء الخلق([1]) ، فماذا يقول هؤلاء المضلون: زعم دوكنز وحِلفُه من كفار العصر الحديث، الذين تجملوا بالعلم زوراً، أن

[1]) من كتاب: براءة التفسير والإعجاز العلمي في القرآن من الشكوك عليه بقلم: عزالدين كزابر. تحريم الشعراوي للبحث العلمي في خلق السموات والأرض والإنسان، وتجلية المسألة الفصل (أ3): محمد متولي الشعراوي - الجزء الثاني

في عين الإنسان عيباً تصميمياً، وأنها بسبب ذلك أقل كفاءة من عين الإخطبوط التى خلت من هذا العيب. كما زعم بوجود (خطأ خِلقي/تصميمي imperfect design) في ما يُسمى بالعصب الحنجري الراجع Recurrent laryngeal nerve، وهو فرع من فروع العصب المبهم، وأن ذلك راجع إلى أن "التطور الحيوي" هو القائد في تخليق الكائنات الحية بما فيها الإنسان، وحيث أن التطور يسير على غير هدى، فينتج عنه أخطاء بين الفينة والأخرى، فإن هذا الخطأ من هذا النوع. قال أيضاً حلف الكفر العلمي: أن في جسم الإنسان العديد من بقايا آثار أعضاء لم يعد لها وظيفة. وأنه إذا كان هناك من مصمم حاذق صنع الإنسان هكذا من غير سابق تطور، ما كان ليصنع فيه أشياء لا وظيفة لها، وإلا كانت عيوباً في التصميم، ولم يكن ذلك المهندس بالذكاء الكافي! .. ويقولون أن هذه الأشياء تنتشر في الإنسان والأحياء من مستوى (الدي إن إيه DNA) وحتى الأعضاء الكبرى المنظورة, ويمثلون لذلك بـ "الزائدة الدودية" في الإنسان، و"الحوض" في الثعبان، و"الحلمات" في الذكور، وعظمة الذنب .. إلخ – ويقولون أن هذه الأشياء ليست إلاّ بقايا أثرية تدل على أصل مشترك أعلى سبق وجوده الكائنات الموجودة فيها. ويقولون أنه حتى على مستوى (الدي إن إيه)، توجد بقايا جينية لا توجد قيمة عملية لها، وأنها ركاماً أو أطلال جينية، ولا تبرير لوجودها

إلا أنها بقايا آثار التطور، والتي لم تتمكن آلية التطور التخلص منها على نحو صحيح! أي أنها عيب من عيوب التطور!!![1].

وكل ما ذكروه إنما يدل على جهلهم بما ذكروه فإن هذه الأشياء لها وظائف هامة فى جسم الإنسان أو الحيوان. أما عن وجود الحلمات فى الذكور فقد تبين للعلماء أن المسئول عن تحديد الجنس وتميزه (الذكورة عن الأنوثة) يكون من منطقة تحديد الجنس ، التى على كروموسوم Y (Sex Determining Region of Y) (SRY) Chromosome ، والجين المسئول عن تحديد الذكورة سائد Dominant. ويقبع على طرف الذراع القصير للفتيلة الجنسية المميزة للذكر (Y). ومهمته تحويل الغدة التناسلية في كل جانب إلى خصية تنتج هورمون الذكورة Testosterone. وهورمون مثبط لقناة مولر (AMH Anti–Mullerian Hormone). ومهمة هورمون الذكورة تشكيل الأعضاء التناسلية الذكرية الداخلية، بالإضافة إلى منع تطور الأثداء. فتبقى ضامرة في الذكور كشاهد على مرحلة النفس الواحدة[2]. وأما عن الزائدة الدودية فى الإنسان فهى عبارة عن قطعة صغيرة في نهاية المصران الأعور، اسطوانية الشكل، مسدودة النهاية،

---

[1])http://www.iampleasant.com/2013/12/the-imperfect-design-evidence-for-evolution/)

[2])Fechner PY. The role of SRY in mammalian sex determination. Acta Paediatr Jpn. 1996;38(4):380-)

تقع في بداية الأمعاء الغليظة، ولها فائدة مناعية حيث أن بها نسيجاً لمفاوياً يعمل على تصفية البكتيريا والفيروسات الدخيلة وتكوين مناعة ضدها وهذه الوظيفة المناعية لاحتوائها على أجربة لمفاوية غزيرة تشارك جهاز المناعة بإفراز الغلوبولينات immunoglobulines المناعية لحماية وتنظيف الجهاز الهضمى([1]). وأما جهلهم بحوض الثعبان: لأن الثعابين هى من آكلة اللحوم ويتواجد منها على الأرض 2700 نوع، تنتشر في جميع القارات، عدا قارة أنتاركتيكا. ومن أنواع الثعابين كالأصلة وثعبان البوا هى من بين الثعابين الحديثة البدائية إذ انها تمتلك بقايا أطراف خلفية صغيرة وهي بمثابة أظافر تمزيق تعرف باسم مهماز خلفي تستخدم للمسك أثناء عملية التزاوج. والثعابين من عائلة Leptotyphlopidae وعائلة Typhlopidae هي امثلة حاضرة تمتلك طوق حوضي بارز. وتتم ولادة الثعابين بطريقتين الأولى أن تضع الانثى بيوض تتراوح بين 2 إلى 100 بيضة حسب النوع في مكان آمن فيفقس البيض بعد شهر أو شهرين ، والثانية أن تحتفظ بالبيوض في جسمها وعند تفقسهما داخل الجسم تقوم بولادتهما فإن لم يكن حوض بهذه الثعابين فأين تحتفظ ببيوضها

[1]) Christian Nordqvist. The Appendix Protects Us From Germs And Protects Good Bacteria .Published Tuesday 9 October 2007 https://web.archive.org/web/20170909045331/http://www.medicalnewstoday.com/articles/84937.php)

حتى تفقس؟ ([1]). وأما جهلهم عن الوظائف للجينات الغير مشفرة أو البينية أى التى بين الجينات المشفرة فقد أثبت العلم الحديث أنها هى التى تنظم عمل الجينات المشفرة لكى تعطى الصفة الوراثية التى أرادها الله عز وجل للمخلوقات على اختلاف أنواعها. وأضرب مثالا للتوضيح فإن الجينات المشفرة التى تعطى صفة وجود الشعر فى الكائنات الحية هى نفسها فى هذه الكائنات بينما الجينات البينية هى التى تنظم وجود الشعر بكثافته وطوله أو قصره ولونه، والمثل الذى يتطرق إليه التطوريون هو جينات تكوين الشعر فى القردة والإنسان مما يدل على أن الإنسان أصله قرد!!! وتبا لهؤلاء ، فلو كان الأمر قاصر على الجينات المشفرة لتكوين الشعر لأصبح جميع المخلوقات التى بها شعر سواء فى التركيب والكثافة وتوزيعه على طول جسم الإنسان ، وهذا يختلف من حيوان لآخر ومن القردة والإنسان، إذن ما الذى يتحكم فى غزارة وكثافة وانتشار الشعر على جسم الكائن الحى؟ إنها الجينات البينية التى يتكلم عنها الجهلاء لعدم معرفتهم بوظائفها. ويؤكد هذا ما ذكره فرانسيس كولن مدير مشروع الجينوم البشرى حيث

[1]) Hsiang, A. Y.; Field, D. J.; Webster, T. H.; Behlke, A. D.; Davis, M. B.; Racicot, R. A.; Gauthier, J. A. (2015). "The origin of snakes: Revealing the ecology, behavior, and evolutionary history of early snakes using genomics, phenomics, and the fossil record". BMC Evolutionary Biology. 15: 87. doi:10.1186/s12862-015-0358-5. PMC 4438441. PMID 25989795.

قال فى كتابه المعنون "لغة الرب The Language of God " :
ليست هذه النتائج تشير إلى أصل عام بين المخولقات ولكن التشابه بين المخلوقات تشير ببساطة إلى أن الله يستخدم مبادئ تصميم ناجحة فى كل مرة([1])

This evidence alone does not, of course, prove a common ancestor; from a creationist perspective such similarities could simply demonstrate that God used successful design principles over and over again.

وهذا بحث آخر يشير أن الذى يؤدى إلى الاختلاف فى تكوين المخ بين الشمبانزى والإنسان هى تلك الجينات البينية والتى كان يسميها العلماء قبل معرفة وظائفها بالجينات الزابلة المختفية ([2]) وليست الجينات المشفرة

Hidden 'junk' gene separates human brains from chimpanzees. We now know that one of the most important genes that separates humans from chimpanzees lies among this supposed junk.

وفريق آخر من العلماء بينوا فى 2011 أن الاختلاف بين جينات الشمبانزى والإنسان هى الجينات البينية وهى المسؤلة عن الاختلاف

[1]) (Francis Collins, The Language of God, p. 134 (Free Press, 2006)
[2]) Posted on 16 September, 2006 by Ed Yong via Mobile DNA , Genome Research, Vol. 16: 1182-1190 (2006)

بينهما([1]). وأما كلامهم عن عجب الذنب فيكفينا ما قام العالم الألماني هانس سبيمان بعدة تجارب على الخيط الأولي المفصول من أجنة الضفادع وعقدته حيث قام باستئصال الخيط الأولي والعقدة الأولية (وهو الذى يكون عجب الذنب) في الأسبوع الثالث وزراعته في جنين آخر في نفس العمر وكانت النتيجة نمو جنين ثانوي في الجنين المضيف وقام بعد ذلك بغلية وسحقة ثم زراعته فلاحظ أنه لا يزال يؤدي إلى تكوين جنين ثانوي أي لا يبلى بالسحق والغليان وأعلن اكتشافه لعجب الذنب وأسماه المخلق الأولي primary organizer ([2]). ولقد حاز هذا العالم على هذا الاكتشاف جائزة نوبل عام 1935م بالمشاركة مع زميلته الدكتورة مانجولد. بينما أخبر عنه النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرناً أنه "منه يخلق الإنسان ومنه يركب" . أخرج الإمام مسلم في صحيحه مثله عن أبي هريرة وجاء فيه: "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب "وفي لفظ أخر له: " وليس من الإنسان شئ إلا يبلي إلا عظماً واحداً هو عجب

[1])Ryan E. Mills, W. Stephen Pittard, Julienne M. Mullaney, Umar Farooq, Todd H. Creasy, Anup A. Mahurkar, David M. Kemeza, Daniel S. Strassler, Chris P. Ponting, Caleb Webber and Scott E. Devine, (2011) “Natural genetic variation caused by small insertions and deletions in the human . Genome Res, 2011 Jun;21(6):830-9. doi: 10.1101/gr.115907.110. Epub 2011 Apr 1.)

[2]) the international journal of developemental biology, volume 45. No. 1. Special issue, sppemann and Mangoled organizer

الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة([1]) ، وفي لفظ آخر لمسلم أيضاً: "إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركب يوم القيامة. قالوا: أي عظم هو يا رسول الله ؟ قال: عجب الذنب".

ومن هنا يتبين لنا أن المُشار إليهم بالتخصيص في قول الله تعالى "مَا أَشْهَدْتُهُمْ" من سورة الكهف أنهم هم من تكلمت عنهم الآية السابقة عليها، أي قوله تعالى (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50) مَا أَشْهَدْتُهُمْ ...). والخلاصة في ذلك أن الحديث عن إبليس وذريته هو وحده المشار إليه في ضمير الجمع الغائب في قوله تعالى: (مَا أَشْهَدْتُهُمْ)

وإذا تساءلنا لماذا يصرح القرآن بهذه الحقيقة في هذا المقام (السياق) – أي: عدم إشهاد إبليس وذريته خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم– وفائدتها؟ لوجدنا أن تبرير ذلك أيضاً جاء منصوصاً عليه ابتداءاً في الآية .. وهو قول الله تعالى: (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا). أي أن المعنى التعليلي للآيتين هو: كيف تتخذون إبليس وذريته أولياء من دون الله تعالى وهم لم يرقوا حتى إلى مستوى أن يُشهدهم الله على خلق السموات

[1]) "(صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت، كتاب الفتن ج91/18، 92).

والأرض، وزد على ذلك أنهم لم يُشهَدوا على خلق أنفسهم! هذا إن كان لهم من قيمة تدعوا إلى ذلك. وحيث أن إجابة هذا التعليل أنهم لم يُشهدهم الله على شيء من هذا، فالنتيجة اللازمة أنهم غير جديرون بأن يواليهم أحد. إذن هؤلاء هم المضلون الذين ينتقصون من قدرة الخالق ويتهمونه بالخالق الغير ذكى ويبررون ضلالهم فى صورة التطوير المزعوم الذى ينافى تماما حقيقة الخلق المستقل لكل مخلوق وهولاء هم الذين ورد وصفهم فى هذه الآية. ولابد للعلماء أن يسيروا فى الأرض ويبحثوا عن كيفية بدء الخلق لأن هذا سيوصلهم إلى الإيمان الجازم بقدرة الله على إعادة الخلق من الأموات وينشأ النشأة الآخرة. وليس هناك أي تعريج على اتهام بإضلال من يتكلم في خلق السموات والأرض إذا اتخذ لذلك من الأسباب العلمية ما يكفي. أما إذا لم يستطع المفسر أن يتصور أنه من الممكن تواجد أسباب معرفية من رصد أو تحليل، يمكن أن تُوَصِّل لعلم يتعلق بتاريخ الكون، وهيئته في الماضي القريب والبعيد والسحيق، فهذه حدود علم المفسر([1])!

[1]) من كتاب: براءة التفسير والإعجاز العلمي في القرآن من الشكوك عليه بقلم: عزالدين كزابر. تحريم الشعراوي للبحث العلمي في خلق السموات والأرض والإنسان، وتجلية المسألة الفصل (أ3): محمد متولي الشعراوي - الجزء الثاني

منهجية علماء التفسير لعدم الوقوع فى الخطأ

وأقول باختصار تعلمت من دراستى لعلم التفسير والمفسرون فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة أن على المفسر أن يتتبع سياق الآيات ويربط الآية بالآية/ أو الآيات السابقة لها واللاحقة عليها ، بل عليه أن يجمع بين الآيات التى تتكلم فى ذات الموضوع من سور القرآن الكريم ، ولذلك صنف علماء التفسير ما يسمى "بالتفسير الموضوعى" لكى يستنبط تفسيرا دقيقا بتوفيق الله تعالى له. أما النظر للآية بمفردها فربما يوقعه فى الخطأ. وهذا ما وقع فيه الإمام الشعراوى على قدر همته ومكانته حيث أنه اتهم العلماء الذين يتكلمون بشواهد علمية مبنية على الاستدلال العلمى الدقيق فى مسائل أمرنا الله أن ننظر إليها كمسألة (كيف بدأ الخلق) فقد اتهمهم بالضلال وأنهم يضلوا العباد ، وهل يعقل أن ربنا عز وجل يأمرنا (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) سورة العنبوت ، ثم يقول الشيخ الشعروای أن من ينظر فى كيفية خلق السماوات والأرض وكيفية بدأ الخلق يكون ضالا ومضلا ؟!! ولقد بنى قوله هذا على الآية من سورة الكهف "مَا أَشْهَدْتُهُمْ". دون النظر أو الإشارة إلى الآيات التى تشير إلى السير فى الأرض والنظر فى كيفية بدء الخلق

نظريات علمية عن كيفية بدء الحياة على الأرض والرد عليها:

وفى تقرير عن كيفية بدء الحياة على الأرض ويشير إلى سبع نظريات ([1]) وبأن الحياة بدأت على الأرض منذ أكثر من 3 – 4 مليارات سنة، وتحتوى من أبسط الميكروبات إلى مجموعة رائعة من التعقيد فى الكائنات الحيوانية والنباتية. ولكن كيف تطورت الكائنات الحية الأولى وهذا سؤال حير علماء الأرض. وهذه النظريات العلمية المختلفة على أصول الحياة على الأرض هى:

النظرية الأولى: أن الحياة بدأت مع شرارة كهربائية (It started with an electric spark)

وبين أصحاب هذه النظرية أنه يمكن أن تولد الشرر الكهربائي أحماض أمينية وسكريات من غلاف جوي محمل بالماء والميثان والأمونيا والهيدروجين، كما ظهر في تجربة ميلر أوري الشهيرة التي تم الإبلاغ عنها في عام 1953، مما يشير إلى أن البرق ربما ساعد في خلق اللبنات الأساسية للحياة على الأرض في أيامها الأولى. على مدى ملايين السنين، يمكن أن تشكل جزيئات أكبر وأكثر تعقيدا. وعلى الرغم من أن الأبحاث التي أجريت منذ ذلك الحين

[1])https://www.livescience.com/13363-7-theories-origin-life.html. 7 Theories on the Origin of Life
By Charles Q. Choi - Live Science Contributor March 24, 2016

كشفت عن أن الغلاف الجوي المبكر للأرض كان في الواقع فقير بالهيدروجين، فقد أشار العلماء إلى أن السحب البركانية في الغلاف الجوي المبكر ربما كانت تحتوي على الميثان والأمونيا والهيدروجين وامتلأت بالبرق أيضاً. أو يمكن أن الطين البسيط قد غذت بداية الحياة؟ وهذه نظرية ضعفها العلماء.

بينما تشير النظرية الثانية إلى أن الحياة بدأت من الطمى (Molecules of life met on clay) وبين العلماء فيها أن تكون الجزيئات الأولى من الحياة قد اجتمعت على الطين ، وفقا لفكرة وضعها الكيميائي العضوي الكسندر غراهام كيرنز سميث في جامعة غلاسكو في اسكتلندا. حيث ذكر أن أسطح الطمى قد لا تركز هذه المركبات العضوية معا، ولكن أيضا تساعد على تنظيمها في أنماط مثل الكثير من جيناتنا كما تفعل الآن. وأن الدور الرئيسي للحمض النووي هو تخزين المعلومات حول كيفية ينبغي ترتيب الجزيئات الأخرى. التسلسلات الجينية في الحمض النووي هي أساسا تعليمات حول كيفية ترتيب الأحماض الأمينية في البروتينات. وهذه النظرية هى الأكثر قبولا ومنطقية.

وتشير النظرية الثالثة إلى أن الحياة ربما تكون قد بدأت في الفتحات الحرارية المائية المغمورة فى أعماق البحار والمحيطات التي تقذف الجزيئات الرئيسية الغنية بالهيدروجين(Life began at deep–

sea vents). ويمكن لزواياها الصخرية أن تركز هذه الجزيئات معاً وتوفر محفزات معدنية لردود الفعل الحرجة. وحتى الآن، فإن هذه الفتحات، الغنية بالطاقة الكيميائية والحرارية، تحافظ على النظم الإيكولوجية النابضة بالحياة فى أعماق البحار.

وهذه هى نظرية التطوريين "أن الحياة بدأت من خلية بالبحر"وأول من قال بها دارون ، ولم ولن يستطع عالما من شتى بقاع الأرض أن يثبت فرضيتها أو صحتها. بل اتضح كذبهم وبهاتتهم عن تزوير الأحفوريات حيث ادعى تشارلز داوسون عام 1912 الحلقة المفقودة بعثوره على جزء من جمجمة وعظمة فك داخل حفرة في بيلتداون بإنجلترا فسماه إنسان بِلتْداون Piltdown Man, وعرضت العينة في المتحف البريطاني بزعم أن عمرها خمسمائة ألف سنة ولم تكتشف الخدعة إلا عام 1949 عندما اختبر المتحف عمرها بطريقة الفلورين فتبين أن الجمجمة عمرها نحو خمسمائة سنة والفك حديث العهد يرجع لقرد والأدوات الحجرية الموضوعة معهما مقلَّدة فأعلنت الفضيحة عام 1953 على الجمهور([1] ، [2] ،[3])، وفي عام 1922

[1]) Science: End As a Man. Monday, Nov. 30, 1953. http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171,823171,00.html

[2]) Lukas, Mary (May 1981). "Teilhard and the Piltdown 'Hoax'". America.

[3]) Bartlett, Kate (17 February 2011). "Piltdown Man: Britain's Greatest Hoax". BBC

أعلن مدير المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي عن عثوره على ضرس متحجرة في نبراسكا يحمل صفات مشتركة بين الإنسان والقرد، فسماه إنسان نبراسكا ورُسمت الرأس وأعيد بناء الجسد تخمينا ولكن في عام 1927 عُثر على أجزاء أخرى من نفس الهيكل العظمي وتبين أن ذلك الضرس الأوحد يخص نوعاً منقرضاً من الخنازير البرية ([1]) يسمى بروثينوبس Prosthennops. وهذا يشير إلى جهلهم المركب بالعلوم الطبيعية القديمة منها أو الحديثة عنها.

وتقول النظرية الرابعة أن الحياة بدأت من الجليد (Life had a chilly start) وهي فكرة تقشعر لها الأبدان ربما يكون الجليد قد غطى المحيطات قبل 3 مليارات سنة، حيث كانت الشمس أقل إضاءة بنحو الثلث مما هي عليه الآن، كما يقول العلماء. هذه الطبقة من الجليد، ربما كانت سميكة لمئات الأقدام ، وقد تكون لحماية المركبات العضوية الهشة في الماء أدناه من الأشعة فوق البنفسجية والدمار من الآثار الكونية. قد يكون البرد قد ساعد أيضًا هذه الجزيئات على البقاء على قيد الحياة لفترة أطول ، مما يسمح بحدوث ردود فعل رئيسية.

[1])"Wolf and Mellett 1985"

بينما تشير النظرية الخامسة إلى أن أصل الحياة من الحمض النووى ال د.ن.ا The answer lies in understanding DNA formation حيث تبين النظرية في الوقت الحاضر أن الحمض النووي يحتاج إلى البروتينات من أجل أن يتشكل، والبروتينات تتطلب الحمض النووي لكى تتشكل وتتكون([1]) ، فكيف يمكن أن تكون هذه دون بعضها البعض؟ قد يكون الجواب فى فهم دور الحمض الريبوزى RNA، الذي يمكن تخزين المعلومات مثل الحمض النووي، وعلى أنه بمثابة إنزيم مثل البروتينات، والتى تساعد على خلق كل من الحمض النووي والبروتينات([2]). وأطلق العلماء على دور RNA "بعالم ر.ن.ا RNA world" ، وفي حين يعتقد بعض العلماء أن الجزيء قد نشأ بشكل عفوي على الأرض. ولكن هذه العفوية فى الخلق والايجاد منبوذة. وتشير النظرية السادسة إلى أن الحياة بدأت بصورة بسيطة وغير معقدة Life had simple beginings بدلا من النامية من جزيئات معقدة مثل الحمض النووي الريبي، قد بدأت

---

[1]) DNA ---(via protein)---> RNA -> ---(via protein)---> Protein -> DNA
الحمض النووى ال د.ن.ا يحتاج إلى انزيم بروتينى لكى يتم توصيفه إلى حامل الشفرة mRNA ويتم ترجمة حامل الشفرة فى الريبوسومات إلىبروتينات وحمض نووى من النوع ال د.ن.ا وهكذا

[2]) الحمض النووى الريبوزى منه أنواع وهى حامل الشفرة الوراثية mRNA وهو يتكون من الحمض النووى الد.ن.ا والثانى هو ناقل الشفرة tRNA الصحيحة لعدم تشوه البروتين أثناء تصنيعه فى الريبوسومات والثالث هو الحمض النووى الريبوزى فى الريبوسومات rRNA وهو الذى يقوم بتصنيع البروتينات من حامل الشفرة

الحياة مع جزيئات أصغر تتفاعل مع بعضها البعض في دورات من ردود الفعل. قد تكون هذه الواردة في كبسولات بسيطة أقرب إلى أغشية الخلايا، ومع مرور الوقت جزيئات أكثر تعقيدا التي أدت هذه التفاعلات أفضل من تلك الصغيرة يمكن أن تتطور، سيناريوهات يطلق عليها اسم "التمثيل الغذائي أولا" كنماذج بدلا من نموذج "الجينات الأولى" من فرضية "عالم ر.ن.ا RNA world".

النظرية النهائية السابعة هي حقا خارج هذا العالم وتبين أن الحياة جاءت من الفضاء الخارجى إلى الأرض Life was brought here from elsewhere in space وتقول: ربما لم تبدأ الحياة على الأرض على الإطلاق، ولكن تم إحضارها إلى هنا من مكان آخر في الفضاء، وهي فكرة تعرف باسم panspermia. وقد ذكرت وكالة ناسا أن النيوكليوتيدات – مكونات الحمض النووي – كان يمكن أن تكون مصنوعة في الفضاء، مما يدعم النظرية القائلة بأن النيزك المتحطم قد يكون قد قدم مكونات الحياة إلى الأرض ، ولكن هذه النظرية لم يقم عليها دليل علمى يستند إليه. على سبيل المثال، الصخور بانتظام يتم تفجيرها قبالة المريخ من قبل الارتطامات الكونية، وتم العثور على عدد من النيازك المريخية على الأرض التي اقترح بعض الباحثين بشكل مثير للجدل جلب الميكروبات إلى هنا،

مما قد يجعل لنا جميعا المريخ في الأصل. حتى أن علماء آخرين أشاروا إلى أن الحياة ربما تكون قد اصطدمت بذنبات من أنظمة نجومية أخرى. ومع ذلك، حتى لو كان هذا المفهوم صحيحا، فإن مسألة كيف بدأت الحياة على الأرض سوف تتغير بعد ذلك فقط إلى كيفية بدء الحياة في مكان آخر في الفضاء مما يدخل الفكر العقلى فى متاهات لا حصر لها وأنَّى لهم أن يثبتوا ذلك.

وبعد كل هذه النظريات لا يزال العلماء يعترفون انهم لا يملكون حتى تعريفا جيدا للحياة! وفى دراسة شملت 123 منشورا علميا لتعريف معنى الحياة على الأرض وكيف بدأت لم يصل العلماء إلى تعريف منطقى ومفهوم جيد لكيفية بدأ الحياة على الأرض([1]). ويبقى قول الله عز وجل شامخا متحديا جميع علماء الأرض عن معرفة كيفية بدء الحياة على الأرض من قوله تعالى فى سورة العنكبوت: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(20). ومن هذه الآية نجد أمرين غاية فى الأهمية وهو فعل الأمر بالسير فى الأرض وهو فعل قائم إلى أن تقوم الساعة ويقف الناس أمام رب العباد للحساب، والأمر الثانى وهو

[1])Edward N. Trifonov (2012)Vocabulary of Definitions of Life Suggests a Definition. Pages 259-266 | Published online: 11 Jul 2012. Journal of Biomolecular Structure and Dynamics . Volume 29, 2011 - Issue 2. https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/073911011010524992

النظر والاستدلال لمعرفة كيف بدأت الحياة وكيف تنتهى والبعث والنشور للإستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى. قال شيخ المفسرين الإمام بن جرير الطبرى فى تفسيره لهذه الآية: وقوله: (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ) يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ: قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات، الجاحدين الثواب والعقاب: (سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ) الله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها؛ وكما أوجدها وأحدثها ابتداء، فلم يتعذّر عليه إحداثها مُبدئا، فكذلك لا يتعذّر عليه إنشاؤها معيدا(ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ) يقول: ثم الله يبدئ تلك البدأة الآخرة بعد الفناء. وقوله: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره: إن الله على إنشاء جميع خلقه بعد إفنائه كهيئته قبل فنائه، مما يشاء فعله قادر لا يعجزه شيء أراده.

وقال الطاهر ابن عاشور : اعتراض انتقالي من الإنكار عليهم ترك الاستدلال بما هو بمرأى منهم ، إلى إرشادهم للاستدلال بما هو بعيد عنهم من أحوال إيجاد المخلوقات وتعاقب الأمم وخلف بعضها عن بعض ، فإن تعوُّد الناس بما بين أيديهم يصرف عقولهم عن التأمل فيما وراء ذلك من دلائل دقائقها على ما تدل عليه ، فلذلك أمر الله رسوله أن يدعوهم إلى السير في الأرض ليشاهدوا آثار خلق الله الأشياء من عدم فيوقنوا أن إعادتها بعد زوالها ليس بأعجب من ابتداء صنعها. وإنما أمر بالسير في الأرض لأن السير يدني إلى الرائي

مشاهدات جمّة من مختلف الأرضين بجبالها وأنهارها ومحوِيَّاتها ويمر به على منازل الأمم حاضرها وبائدها فيرى كثيراً من أشياء وأحوال لم يعتد رؤية أمثالها ، فإذا شاهد ذلك جال نظر فكره في تكوينها بعد العدم جَوَلاناً لم يكن يخطر له ببال حينما كان يشاهد أمثال تلك المخلوقات في ديار قومه ، لأنه لما نشأ فيها من زمن الطفولة فما بعده قبل حدوث التفكير في عقله اعتاد أن يمر ببصره عليها دون استنتاج من دلائلها حتى إذا شاهد أمثالها مما كان غائباً عن بصره جالت في نفسه فكرة الاستدلال ، فالسيرُ في الأرض وسيلة جامعة لمختلف الدلائل فلذلك كان الأمر به لهذا الغرض من جوامع الحكمة . وجيء في جانب بدء الخلق بالفعل الماضي لأن السائر ليس له من قرار في طريقه فندر أن يشهد حدوث بدء مخلوقات ، ولكنه يشهد مخلوقات مبدوءة من قبل فيفطن إلى أن الذي أوجدها إنما أوجدها بعد أن لم تكن وأنه قادر على إيجاد أمثالها فهو بالأحرى قادر على إعادتها بعد عدمها. والاستدلال بالأفعال التي مضت أمكن لأن للشيء المتقرر تحققاً محسوساً. وجيء في هذا الاستدلال بفعل النظر لأن إدراك ما خلقه الله حاصل بطريق البصر وهو بفعل النظر أولى وأشهر لينتقل منه إلى إدراك أنه ينشىء النشأة الآخرة. ولذلك أعقب بجملة { ثم الله ينشىء النشأة الآخرة } فهي جملة مستقلة . و { النشأة } بوزن فعلة : وهى من النّشء وهو الإيجاد ا.هـ.

الفصل السابع

الأدلة العلمية على خلق الإنسان من الطين

هناك العديد من الأدلة العلمية على خلق الإنسان من الطين ، وبإذن الله تعالى نستدل على خلق الإنسان من الطين بأدلة يقينية وهى:

1) التحليل المعملى لجسم الإنسان والتربة
2) تطابق صفات الطين وصفات جسم الإنسان
3) غذاء الإنسان
4) الموت خير شاهد على الخلق من التراب والطين
5) دفن الإنسان وتحلل جثته إلى تراب

1) التحليل المعملى لعناصر جسم الانسان والتربة

يتركب جسم الانسان من عناصر من التراب والماء قال تعالى فى سورة الروم: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ(20) ، وقال تعالى فى سورة الفرقان: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً(54) ، وهكذا ففي الآيات السابقة إشارة إلى أن أصل الإنسان ومعدنه الأساسي هو من طينة هذه الأرض والطين من تراب مخلوط بالماء والتراب يحتوى على مجموعة من العناصر تصل إلى 118 عنصر. وإذا كان التراب

به أكثر من مائة عنصر فهل جسم الانسان به كل هذه العناصر ؟ وتجيب الاية من سورة المؤمنون على هذا التساؤل وبشكل دقيق للغاية من قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ) والسلالة هى الخلاصةٌ. إذن كلمة "سلالة" تعنى خلاصة ما فى الأرض من أفضل عناصرها ، وفى مختار الصحاح: سلال الشيء ما (استل منه) ، والنطفة (سلالة) الإنسان. وقوله تعالى: (مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ) أي: من الصفو الذي يسل من الأرض، وقيل: السلالة كناية عن النطفة تصور دونه صفو ما يحصل منه([1]). وهذا المعنى "سلالة" يستخدم عند انتخاب السلالات النقية من الحيوانات والطيور والأسماك كما يوضح علماء الانتاج الحيوانى والداجنى والهندسة الوراثية عند بيان كلمة "سلالة" فهى تعنى انتقاء أفضل السلالات ليتم التهجين منها لتنتقل أفضل العناصر من كل سلالة إلى الذرية منهما وبذلك يتم انتقاء سلالة عالية الجودة فى الانتاج.

لم يكتشف العلماء سوى 27عنصراً رئيسيا في تركيب جسم الإنسان، وقد أشار لذلك القرآن حيث قال: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاالْأِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ) وقد بينا أن السلالة هى انتقاء أفضل العناصر التى موجودة فى التراب فماذا يقول لنا التحليل المخبرى عن ذلك؟ ولو أرجعنا

[1]) مفرات القرآن الكريم للراغب الأصفهانى

الإنسان إلى عناصره الأولية ، لوجدناه يشترك في تركيبه حوالي (27) عنصراً وهى : أ). أكسجين (O) ، هيدروجين (H) على شكل ماء إذ بهما يتكون الماء.

ب) نيتروجين (N) كربون(C) ، وهيدروجين (H) وأكسجين (O) وهذه العناصر تشكل أساس المركبات العضوية من سكريات ودهون ، وبروتينات وفيتامينات ، وهرمونات أو خمائر

ت) مواد جافة:. منها سبعة مواد أساسية: الكلور(CL) ، الكبريت (S)، الفسفور(P) ، والكالسيوم (Ca)والماغنسيوم (MG) والبوتاسيوم(K) ، والصوديوم(Na) ، ومنها ست مواد بنسبة أقل هي : الحديد(Fe) ، والنحاس (Cu) واليود (I) والمنجنيز (MN) والكوبالت(Co) ، والزنك (Zn) والمولبيديوم(MO) ، ومنها ستة عناصر بشكل زهيد هي : الفلور(F) ، والألمنيوم(AL) ، والبوروم (B)، والسيلينيوم (Se) ، الكادميوم (Cd) والكروم (Cr). أما نسب هذه العناصر فى جسم الإنسان فهو يتكون أساسا من الماء (65% إلي أكثر من75%) بالاضافة إلي نسبة من الدهون (10–14%), والبروتينات(11% –17%), والكربوهيدرات(1%) وعدد من العناصر والمركبات غير العضوية (تتراوح نسبتها بين5–6%). وبرد كل ذلك الي عناصره الأولية يتضح أن جسم الإنسان يتكون من

العناصر التالية: الاكسجين 65% ، الكربون 18 % الهيدروجين 10% ، النيتروجين 3% الكالسيوم1.4% ،الفوسفور 0.7% الكبريت 0.2% البوتاسيوم 0.18% ، الصوديوم 0.10% ، الكلور 0.10% ، المغنيسيوم 0.045% ، عناصر نادرة 0.014 % وتشمل العناصر النادرة كلا من اليود, الفلور, البروم, الحديد , النحاس, المنجنيز, الزنك, الكروم , الكوبالت , النيكل , الموليبدينوم , القصدير , الكادميوم , والألومنيوم. وهذا التركيب يشبه في مجموعه التركيب الكيميائي لتراب الأرض المختلط بالماء أي الطين([1]). إن هذه العناصر التى كانت موجودة فى جسد أبينا آدم (عليه السلام) منذ خلقه من تراب الأرض , هى التى موجودة فى نسله إلى أن تقوم الساعة ، وذلك لأن الله عز وجل أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم من عهد أول بنى آدم عليه السلام إلي قيام الساعة لقول الله عز وجل فى سورة الأعراف : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172)

[1]) مع الطب في القرآن الكريم تأليف الدكتور عبد الحميد دياب الدكتور أحمد قرقوز مؤسسة علوم القرآن

2) تطابق صفات الطين وصفات جسم الإنسان

هل هناك تطابق بين صفات الطين وصفات جسم الإنسان؟

عند المقارنة بالعناصر المذكورة فى الجدول التالى نجد أنه يوجد تطابق تام بين صفات الطين وصفات جسم الإنسان. نجد أن من صفات الطين به حبيبات ، وبينها مسافات ، وقابلة لتشرب الماء ، وللحبيبات نفسها مسامات لنفاذ الماء منها وبداخلها ، ولها القدرة على الاحتفاظ بالماء بينها وبداخلها ، ويعيش فيها بكتريا هوائية ولاهوائية وفيروسات وطفيليات وفطريات ، ولها القدرة على الإنبات والنمو ، وتتحلل إذا فقدت الماء.

وكذلك الحال بالنسبة إلى جسم الإنسان فهو عبارة عن خلايا على هيئة حبيبات صغيرة ، وبينها مسافات ، وقابلة لتشرب الماء ، ولها مسامات على سطحها ، ولها القدرة على الاحتفاظ بالماء بينها وبداخلها ، ويعيش بداخله بكتريا هوائية ولاهوائية وفيروسات وطفيليات وفطريات ، ولها القدرة على الإنبات والنمو ، وتتحلل إذا فقدت الماء

جدول (1) يبين تطابق صفات الطين مع صفات جسم الإنسان

الصفات	الطين	جســـم الإنسان
عبارة عن حبيبات لها مسامات ، قابلة لتشرب الماء وبينها مسافات	√	√
الاحتفاظ بالماء بينها وبداخلها	√	√
يعيش فيها بكتريا هوائية ولا هوائية وفيروسات وطفيليلت	√	√
لها القدرة على الانبات	√	√
تتحلل إذا جف منها الماء	√	√

الطين وتحولاته :

وتشير الآيات فى القرآن الكريم إلى تحولات الطين من حالة إلى أخرى كما فى قوله تعالى:(مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ(12) المؤمنون ،(إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11) الصافات،(إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) الحجر. ومن الآية الكريمة (إِنّا خَلَقْنَاهُم مّن طِينٍ لاّزِبٍ(11) ، والطين اللازب: الطين اللزج أو اللاصق شكل (1)

شكل (1) طين لازب يلتزق بعضه ببعض وبمن يباشره

فهل تتفق صفات جسم الإنسان مع المعانى اللغوية للطين وتحولاته؟

المثال الشاهد الحى على ذلك أن ماء المطر فى بداية نزوله على الأرض الترابية يستطيع الإنسان أن يسير عليها بسهولة ، بينما بعد يوم أو يومين عندما يتبخر منها بعض الماء تَكونُ حبيبات التراب أكثر التزاقا بقدميه فيسير عليها بحذر وتلتصق قدميه بالأرض وربما رفعها بصعوبة. **فهل الخلايا والأنسجة بجسم الإنسان لها نفس الخاصية؟** أى أنها تلتصق ببعضها ولها خاصية اللزوجة؟ والإجابة نعم جميع خلايا وسوائل وافرازات جسم الإنسان لها صفة اللزوجة ويلتصق بعضها ببعض. وهنا نجد المعنى اللغوى للطين اللازب يتفق مع صفات جسم الإنسان. ومن الآية الكريمة (مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(26) هل جسم الإنسان له خاصية الحمأ المسنون؟ والحمأ: الطين الأسود المنتن، المتغير الرائحة ، والمسنون: المصور، أو

المملس فهل جسم الإنسان له رائحة متغيرة؟ وهل جسم الإنسان على هيئة صورة؟ وهل جسم الإنسان أملس ؟. والحقائق التى لا تغيب عن أذهان الناس هى أن الإنسان متغير الرائحة بحسب الطعام الذى يأكله أو الشراب الذى يشربه ، فتتغير رائحة عرقه وبوله وبرازه بذلك. وإذا فحصنا أجزاء جسمه وتركيبه الخلوى والنسيجى ودمه ولعابه وافرازاته لوجدنا لكل منها رائحة خاصة بها فرائحة الدم غير رائحة الأغشية المخاطية غير رائحة المعدة والأمعاء..الخ. ومن جهة ثانية فهو أملس الجسد بمعنى ليس على جلده ريش كالطيور ، ولا وبر أو صوف أو شعر طويل غزير كالحيوانات ، ولا قشور كالأسماك ، ولا حرافيش كالزواحف. ويخبرنا النحاتون أن نحت التماثيل من الحمأ المسنون ولا تكون من الطين أو الطين اللازب لصعوبة التشكل منهما (شكل 2).

شكل (2) يبين يد فنان تشكيلى ينحت تمثالا من طين كالحمأ المسنون

ومن الآية الكريمة (خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) والفخار: هو الطين اليابس الذي يصل من يبسه أي يصوت ، وقال الجوهري: الصلصال الطين الحر يتصلصل إذا جف فإذا طبخ بالنار فهو الفخار. فهل جسد الإنسان له خواص الصلصال الفخار؟ وهى أن له مسام وتجاويف؟ ، وينضح بما فيه، وله صلصلة؟ وتأتيك الإجابة على ألسنة الجميع نعم الإنسان على جميع خلايا جسمه مسام ينفذ منها وإليها الماء والمواد الذائبة فيه والتى تحتاجها كل خلية بحسب وظيفتها ، وتعرقه من جلده دليل على وجود مسام عليه ، وأن الشراب يؤدى إلى تغير رائحة العرق ومنه أن كثيرا من الناس لا يحبون شرب الحلبة لأن رائحة عرقهم تكون برائحتها وكأن الإناء ينضح بما فيه ، وجسم الإنسان به تجاويف ومنه تجويف الصدر وتجويف البطن بل وتجاويف داخل الأعضاء نفسها ، وإذا ذهب المريض إلى الطبيب المعالج للكشف فيضع اصبعين على هذه التجاويف وينقر على اصبعيه بإصبع آخر لمذا؟ لأنه يريد أن يعرف الصوت الغير طبيعى لوجود سوائل أو أنسجة صلبة فى غير مكانها ، ويتخذ من سماعة الأذان بحركاتها على جسم المريض وسيلة لمعرفة هذه التغيرات وتأكيدا لطريقة الأصبع.

3) تكوين جسم الإنسان:

يتكون جسم الإنسان من ماء بنسبة (65–71 %) وبروتينات (17 –20%) ودهنيات (10 – 12%) وكربوهيدرات (1%) وعناصر عضوية بنسبة(0.4%) وأخرى غير عضوية (1.5%) وحمض نووى ريبوزى RNA (1%) ، وحمض نووى دي أوكسى ريبوزى DNA (0.1%) وبجسم الإنسان عناصر أساسية لقيام حياته وبدونها يتعرض للمرض والموت([1]) ، وأخرى غير أساسية نادرة يستطيع الحياة بدونها إلا أنها مهمة فى منع بعض الأمراض مثل عنصر اليود مهم لتكوين هرمون النمو والسلينيوم لرفع كفاءة جهاز المناعة والكوبالت لصحة الجسم ومنع المرض([2]) وكذلك الفلورين([3]). وقد تبين للعلماء أن كتلة جسم الإنسان مصنعة من ستة عناصر رئيسية بنسبة 99% ،وهذه العناصر الستة هى الأوكسيجين ، والهيدروجين ، والكربون ، والنيتروجين ، والكالسيوم ، والفوسفور ، وبدون الكالسيوم 97% وأن حوالى 0.85 % من خمسة عناصر وهى البوتاسيوم ،

---

[1]) Emsley, John (25 August 2011). Nature's Building Blocks: An A-Z Guide to the Elements. OUP Oxford.

[2]) Yamada, Kazuhiro (2013). "Cobalt: Its Role in Health and Disease". Metal Ions in Life Sciences. 13: 295–320. doi:10.1007/978-94-007-7500-8_9. ISSN 1559-0836.)

[3])"Scientific Opinion on Dietary Reference Values for fluoride"(2013) . EFSA Journal. 11 (8): 3332 doi:10.2903/j.efsa.2013.3332. ISSN 1831-4732.)

والكبريت ، والصوديوم ، والكلور ، والماغنسيوم وهذه العناصر الإحدى عشر هى الضرورية للحياة ، أما باقى العناصر النادرة فهى تزيد عن 12 عنصر وهى أقل من 10 جرام لوزن الجسم وهى تعطى نمط حياتى جيد([1]) .

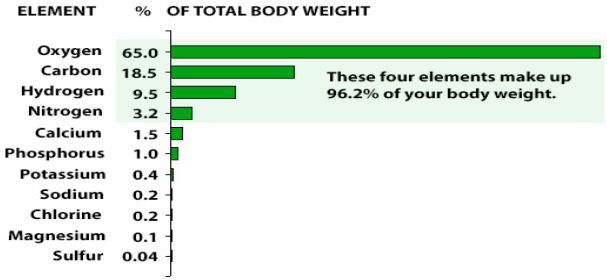

شكل (3) يبين العناصر الأساسية لحياة جسم الإنسان وهى ستة عناصر تمثل 99% من كتلة الجسم وهى الأوكسجين ، والكاربون ، والهيدروجين ، والنيتروجين والكالسيوم ، والفوسفور ، ويوجد خمسة عناصر أخرى بنسبة لا تتعدى 1.1% كما يوجدعناصر نادرة بنسبة أقل من 1%

وهذه النسب تختلف من شخص لآخر على حسب وزن الجسم ولكن المعدلات الطبيعة فى شخص متوسط الوزن حوالى 77 كيلوجرام نجد

[1]) Zoroddu,M.A ; J. Aashet; G. Crisponi; S. Medici; M. Peana; V.M. Nurchi (June 2019). "The essential metals for humans: a brief overview". Journal of Inorganic Biochemistry. 195: 120–129. doi:10.1016/j.jinorgbio.2019.03.013. PMID 30939379.)

أن الماء يكون بنسبة 65% والبروتينات من 17 –20% ،والدهنيات بسبة 10 – 12%.

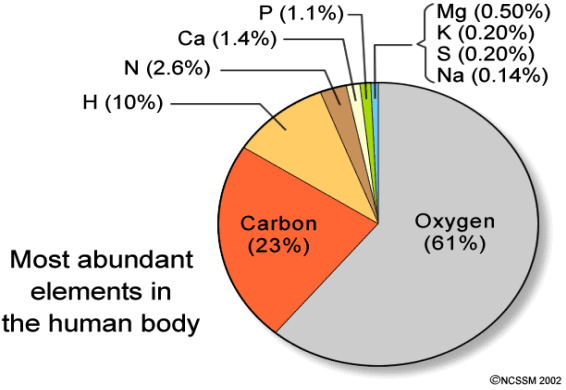

شكل (4) نسب للعناصر المهمة لحياة جسم الإنسان حيث يمثل الأوكسيجن 61% ، والكربون 18 -23%% ، والهيدروجين 10% ، والنيتروجين2.6 - 3% ، والكالسيوم 1.4 - 2% وباقى العناصر الأخرى تمثل حوالى 1.4%

وجسم الإنسان لا يتكون من كل عناصر الأرض([1]) وهى (118) عنصرا إنما يتكون من أفضل العناصر([2]) فيها وهى (26) عنصرا، ومنها ماهو أساسى لحياة الجسم (19 عنصرا وهى: الهيدروجين والأوكسيجين والنيتروجين والكربون والصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم

[1]) Nelson, Lehninger, Cox (2008). Lehninger Principles of Biochemistry (5 الطبعةth). Macmillan.)

[2])Frausto Da Silva, J. J. R; Williams, R. J. P (2001-08-16). "The Biological Chemistry of the Elements: The Inorganic Chemistry of Life". ISBN

والفوسفور والنحاس والماغنسيوم والمنجنيز والكلورين والكبريت والحديد والكوبالت والزنك والسيلينيوم واليود والمولوبدينيوم) وبدونها يموت الجسم وهى باللون النبفسجى ، ومنها ما هو نادر (7 عناصر وهى: الفلورين والفانديوم، والكروم والنيكل والسيليكا) لمنع مرض الجسم ، وقد تبين للعلماء حديثا أهمية البرومين لجسم الإنسان([1]) كما هو موضح بالجدول الكيميائى لعناصر الأرض

جدول(2) يبين 118 من العناصر الموجودة فى الأرض ومنها 26 من العناصر التى بها تقوم حياة الإنسان

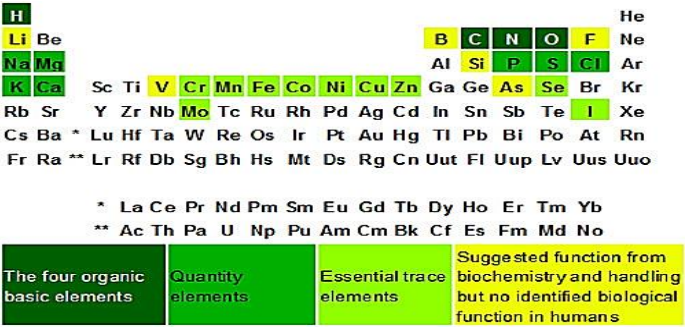

من هذا الجدول يتضح أن العناصر الأساسية الأربعة (الهيدروجين ، والأوكسيجين ، والنيتروجين ، والكربون) لا غنى لأى كائن حى عنها

[1]) McCall AS, Cummings CF, Bhave G, Vanacore R, Page-McCaw A, Hudson BG (2014). "Bromine Is an Essential Trace Element for Assembly of Collagen IV Scaffolds in Tissue Development and Architecture". Cell. 157 (6): 1380–92. doi:10.1016/j.cell.2014.05.009. PMC 4144415)

وهى باللون الأخضر الداكن ،وعناصر كمية مهمة لحياته (الصوديوم ، والبوتاسيوم ، والماغنسيوم ، والكالسيوم ، والفوسفور ، والكلورين) وهى باللون الأخضر الفاتح ، وعناصر نادرة وأساسية (الكروم ،المنجنيز ، الحديد ، النيكل ،الكوبالت ، النحاس ، الزنك ، واليود ، الموليبدينيوم) ، والسلينيوم) وهى باللون الأخضر الفوسفورى ، وعناصر يقترح أن لها وظيفة فى الكيمياء الحيوية والتداول ولكن ليس لها وظيفة حيوية للإنسان (الفانديوم ، البورومين ، الفلورين، والسيليكا) وهى باللون الفوسفورى الأصفر

جدول (3) يبين العناصر الرئيسية والعناصرالنادرة فى جسم الإنسان يزن70 كجم

Table: Approximate Composition of a Typical 70 kg Human			
Bulk Elements (kg)		Macrominerals (g)	
oxygen	44	calcium	1700
carbon	12.6	phosphorus	680
hydrogen	6.6	potassium	250
nitrogen	1.8	chlorine	115
sulfur	0.1	sodium	70
		magnesium	42

وقد بين العلماء أن من العناصر الأرضية التى لا تدخل فى تركيب جسم الإنسان منها ما هو سام ومنها ما هو شديد السمية للجسم وهى باقى العناصر (118 -27 = 91 عنصرا)

4) تغذية الإنسان من النطفة إلى اللحد من التراب والماء :

الإنسان يتغذى علي ما يخرج من الأرض من خضر وبقل وثمار وفاكهة وكل ذلك بدوره يتغذى ويكون محتوياته على عناصر التراب والماء قال تعالى فى سورة الأنعام:(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99). كما أنه يتغذى على ما أحل الله من لحوم الأنعام والطير وكلا منهما يتغذى على ما يخرج من التراب والماء ، وكذلك الألبان ومنتجاتها وهى خلاصة ما يتغذى عليه الحيوان من الأرض يقول الله تعالى فى سورة النحل : (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66) كما أنه يتغذى على ما يخرج من بطون النحل وهى بدورها تتغذى على رحيق الأزهار وهى بدورها تتغذى على مافى الأرض من عناصر لقوله عز وجل فى سورة النحل: (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69). كما أنه يتغذى على الكائنات البحرية وما يخرج من البحار والأنهار لقوله عز وجل فى سورة فاطر: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا (12) والكائنات البحرية تتغذى على ما ينبت على شواطىء البحار والأنهار وفى أعماقها من نباتات وطحالب وجميعها ينبت من الأرض والماء. وهذا يؤكد أن غذاء الإنسان من عناصر الأرض ومن الماء ، فيكون غذاء الجسد على المادة التى خلق منها ولا يكون بأى حال من الأحوال على غيرها وإلا كان الضرر. وقد تبين للعلماء أن بعض العناصر التى فى التربة الزراعية هى نفس العناصر الموجودة فى النبات([1]) ، والإنسان بطبعه يتغذى على النبات وهى نفس العناصر التى فى جسمه.

ويشير العلماء إلى أن العناصر الأساسية التى بها قوام حياة الإنسان هى من بعض عناصر الأرض وليس كلها وهذا يدل على معنى سلالة أى من صفو عناصر الأرض كما فى جدول (4)

[1]) Donahue, Roy Luther; Miller, Raymond W.; Shickluna, John C. (1977). Soils: An Introduction to Soils and Plant Growth. Prentice-Hall. ISBN 978-0-13-821918-5.

جدول (4) يبين نسب العناصر الرئيسية التى بها قوام حياة الإنسان

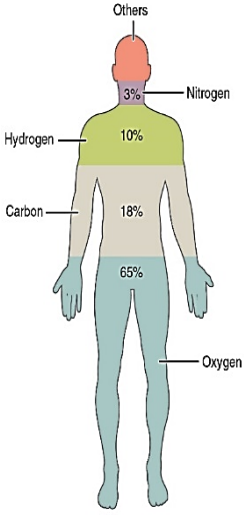

Element	Symbol	Percentage in Body
Oxygen	O	65.0
Carbon	C	18.5
Hydrogen	H	9.5
Nitrogen	N	3.2
Calcium	Ca	1.5
Phosphorus	P	1.0
Potassium	K	0.4
Sulfur	S	0.3
Sodium	Na	0.2
Chlorine	Cl	0.2
Magnesium	Mg	0.1
Trace elements include boron (B), chromium (Cr), cobalt (Co), copper (Cu), fluorine (F), iodine (I), iron (Fe), manganese (Mn), molybdenum (Mo), selenium (Se), silicon (Si), tin (Sn), vanadium (V), and zinc (Zn).		less than 1.0

إن جميع خلايا جسم الإنسان بما فيها الخلايا الجنسية مستمدة غذاءها من غذائه ، وغذاؤه مستمد من الأرض وتكون هذه النطاف ، وتسلسلها من الأصل الواحد وهو آدم عليه السلام وحتي قيام الساعة هو من أعظم الدلائل علي طلاقة القدرة الإلهية المبدعة في الخلق. إن هذا التنوع البديع في الخلق من أصل واحد هو من الآيات الناطقة بالشهادة للخالق سبحانه وتعالي بكمال العلم والحكمة ، وطلاقة القدرة ، وتعاظم اتقان الصنعة ، وهي من صفات الألوهية والربوبية ، ومن دلائل الوحدانية المطلقة للإله الخالق العظيم. وهكذا يتأكد لنا بيقين خلق الإنسان من الطين من خلال هذه الحقائق العلمية التى ذكرتها

أعلاه ، كما يتبين لنا ذلك أيضا من خلق الجنين في بطن أمه فبدايته من سلالة من ماء مهين وتغذيته علي دمها المستمد من الغذاء الذي تأكله المستمد من الأرض ، ونموه بعد ميلاده طفلا علي لبن أمه المستمد من غذائها من الأرض ، ونمو الطفل بعد فطامه إلي وفاته علي ما يتناول من طعام مستمد أصلا من الأرض. ومن الأرض انتشر الجنس البشري في كلٍ من المكان والزمان حتي وصل عدد سكان الأرض اليوم إلي سبعة مليارات نسمة ويزيد ، هذا عدا المليارات التي عاشت وماتت ، والمليارات التي سوف تأتي من بعدنا إلي قيام الساعة ، وكلها جاءت من صلب رجل واحد هو آدم عليه السلام الذي خلقه الله تعالي من الأرض. ولذلك قال ربنا تبارك تعالى فى سورة النجم: (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مّنَ الأرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنّةٌ فِي بُطُونِ أُمّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكّوَاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتّقَىَ(32).. وكل هذه المليارات من البشر (وهى فى صورة أبيها آدم عليه السلام ، جاءت فى أحسن تقويم وأتم قامة واعتدال لم تتغير صورته ، ولم يمش على أربع ولم يكن فى أى زمان أو مكان على بساط الأرض متحولا من قرد أو غيره من الحيوانات إلى إنسان ، بل هو الإنسان الأول بجيناته الموروثة ، وصفاته المألوفة ، ما تغيرت ولا تبدلت ولن يحدث ذلك فى المستقبل ، لأن الذى حكم بذلك هو أحكم الحاكمين ربى وربكم ورب العالمين قال تعالى فى سورة التين (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ

تَقْوِيمٍ (4). كل هذا من الحق المبين الذى يشهد له وحده عز وجل بالربوبية والألوهية والوحدانية والكمال المطلق. والآية الكريمة كما تنطبق علي البشرية كلها وهي في صلب أبيها آدم (عليه السلام) لحظة خلقه ، تنطبق علي تناسل الناس من بعده ، ومايخرج من أصلابهم من ذريات تنتشر في المكان والزمان إلي يوم الدين ، وهي حقائق لم تصل إلي علم الإنسان إلا بعد تطور علم الوراثة الإنسانية في القرن العشرين. وذكرها في كتاب أنزل علي نبي أمي ولم تكن أدوات العلم فى ذلك الوقت متوفرة بشهادة علماء الأرض قاطبة ، لما يقطع بيقين بأن هذا الكتاب لايمكن أن يكون صناعة بشرية ، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه علي خاتم أنبيائه ورسله ، وحفظه بعهده في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) علي مدي أربعة عشر قرنا أو يزيد ، وإلي أن يرث الله تعالي الأرض ومن عليها حتي يكون حجة علي الناس أجمعين إلي يوم الدين.

5) الموت خير شاهد على الخلق من التراب والطين:

شاهد علمى آخر على أن الإنسان خلق من الطين وهو حالة التيبس والتحلل الرمى بعد الوفاة فنجد الصورة العكسية للخلق بدءا من خروج الروح ، ولذلك نجد بعد خروج الروح انتفاخ الجسد فإذا ما قرعته تسمع له صلصلة ، ثم يتحول هذا الجسد المنفوخ إلى طين أسود نتن

وهو يشبه الحمأ المسنون ، ثم يتحول هذا الطين الأسود النتن إلى طين لازب لزج ملتصق ، ثم يتبخر الماء منه فيعود ترابا يختلط بتراب الأرض فتأمل هنا قول الحق تبارك وتعالى فى سورة نوح:(وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (18)

6) دفن الإنسان وتحلل جثته إلى تراب

بعد أن يقبر االميت فى قبره ثم تحلل جثته فيعود إلي تراب الأرض قال تعالى فى سورة طه: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى(55).. فسلسلة الطعام تبدأ من تراب الأرض وتنتهي إليه ، وكذلك سلسلة الخلق تبدأ من تراب الأرض وتعود إليه ، وهذا مشهود ومحسوس فى دنيا الناس يقول ربنا عز وجل فى سورة الأنبياء(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104) ، وبعد أن تتحلل الجثة وتختلط اختلاطا شديدا بتراب الأرض هل يستطيع مخلوق على وجه الأرض أن يفرق بين تراب الجثة وتراب القبر الذى اختلطت به ؟؟ هيهات هيهات لما يوعدون

الإعجاز العلمى فى الآيات التى تتكلم عن خلق الإنسان

بين الله عز وجل فيما أوحى إلى نبيه محمد ﷺ منذ 1442 سنة أن آدم وحواء عليهما السلام وذريتهما من بعدهما خلقوا من الأرض ،

وجاء العلم الحديث فى القرن العشرين ليثبت هذه الحقيقة العلمية ، ويؤكد من خلال التحليل الكيميائى لجسد الإنسان فى المعامل المختصة بذلك أن العناصر التى يحتويها هى من بعض عناصر الأرض وليس كل عناصرها وهذا واضح فى قوله عز وجل (مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ) أى من أفضل عناصر هذا الطين الذى هو عبارة عن تراب مخلوط بالماء. وقد بينت الآيات مراحل الخلق من الطين وهى الطين اللازب والحمأ المسنون والصلصال الفخار. وقد تبين أن جميع خلايا جسم الإنسان لها نفس صفات وخصائص الطين بكل مراحله التى يعرفها الدانى والقاصى ، وهذه الآيات إنما تدل دلالة قطعية على أن القرآن الكريم هو كلام العليم الخبير رب العزة سبحانه وتعالى وعز وجل.

كما تبين من الأمر المشهود والمحسوس والمعروف لدى الناس جميعا أن الإنسان بعدما يوارى فى التراب يتحلل جسمه ويعود مرة أخرى إلى التراب. ولذلك لا نعجب أبدا أن الذى دل قابيل على دفن أخيه هابيل بعد أن قتله هو الغراب الذى علمه كيف يوارى أخيه فى التراب ، وهذه اشارة أخرى من الغراب الذى علمه ربه عز وجل أن يبين هذا لقابيل ليدله على أن الإنسان يعود إلى أصله وهو التراب مرة أخرى.

والإشارة الثالثة لبيان خلق الإنسان من التراب هو تغذيته على ما يخرج من تربة الأرض واختلاط عناصر هذا الغذاء بخلايا وأنسجة

وسوائل جسمه ولو كانت هذه العناصر ضارة له ما قبلها هذا الجسم. بل إن نقصانها فى الجسم يؤدى إلى ما يعرف عند الأطباء والمتخصصين بأمراض سوء التغذية وسبحان الله العظيم الذى يقول فى سورة نوح: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (18). وإشارة أخرى لهذا الأمر ألا ترى الناس فى جميع قارات العالم يأكلون مما تخرجه الأرض ليس هناك من يأكل من غيرها وهم مع تغذيتهم من الأرض سواء فى موطنهم أو فى غيره عندما ينتشرون فى ربوعها لقوله تعالى فى سورة الروم: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ(20) فهل كان محمد ﷺ عنده علم بالتحليل الكيميائى للتراب حتى يقول هذا الكلام المعجز؟ وهل كان فى زمنه ﷺ هذه الأجهزة الدقيقة للتحليل البيوكيميائى حتى يستشهد بها؟ أبدا لم يكن محمد ﷺ عنده كل هذه العلوم ولا تعلمها من غيره من البشر ولا هى موجوده فى زمانه ولا فى مكانه أو فى أقوى حضارتين آنذاك وهما حضارتى الفرس والروم من حوله ، وإنما هى وحى من العليم الخبير لخير خلق الناس أجمعين الذى أرسله ربه رحمة للعالمين. وهذا يدل على صدق الرسالة وصدق الرسول ﷺ ويدل أيضا على أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فيهما اشارات علمية دقيقة وعلى المسلمين استخراج هذه الكنوز

لنشرها بين الناس ليزداد المؤمن إيمانا ويقينا ويهتدى الضال إلى رب العالمين ، وتكون هذه الرسالة حجة على الناس أجمعين.

عبر وآيات وعظات من خلق آدم عليه السلام:

1- خلق الإنسان من التراب وهو شىء ضعيف يدل على ضعف الإنسان (وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28) سورة النساء

2- الحقيقة أن كيد الشيطان ضعيف (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76) سورة النساء. والإنسان بإيمانه بربه وباخلاصه له فى عبادته ، هو أقوى من إبليس (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) سورة الحجر ، والمخلصون هم الذين أخلصوا العبادة لله رب العالمين ووافقوا سنة الحبيب المصطفى ﷺ. قال القاضى عياض وهو من قضاة المالكية إن الله لا يقبل عملا إلا إذا كان خالصا وصوابا ، وخالصا ليس فيه شرك وصوابا موافقا لسنة النبى محمد ﷺ.

3- لقد رأت الملائكة آدم وهو جسد من طين ورأوه بشرا سويا بعد نفخ الروح فيه ورأه معهم ابليس فهل يستطيع أحد منهم أن يخلق مثل ما خلق الله عز وجل ؟ ويرد الله على الظالمين

الجاحدين الذين يتخذون الملائكة أو النبين أربابا من دونه قال تعالى سورة آل عمران: (وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80).

4- هل يستطيع أحد كائنا ما كان أن يعدل أو يغير فى هذا الخلق ؟ وما هى النتيجة ؟ وتأتى الإجابة ساطعة مضيئة تنير الطريق للحيارى والمتخبطين فى ظلمات الجهل ، فيقول تعالى محذرا من مغبة ذلك فقال تعالى فى سورة الروم: (لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (30). ومن الشواهد الحسية المعلومة عندما تغيرت فطرة الحيوانات فى أوروبا من أكل العشب والكلأ إلى أكل مسحوق اللحم والدم والعظم ظهر عليها مرض جنون البقر والذى انتقل بدوره للإنسان الذى أكل من لحوم هذه الأبقار من قبل أن تظهر عليها أعراض المرض([1]) ، وعندما حاول علماء التكاثر الاستغناء عن أحد الزوجين فى الحيوانات عند عملية التزاوج واستبدلوها بالاستنساخ ظهرت النسخ المشوهة وطالب العلماء والمفكرون، وعلماء الدين من اليهود أو المسيحيين أو

[1]) انظر بحثنا بعنوان "الخطر في تغيير الفطر ... بين جنون البقر وجنون البشر" – كتاب المؤتمر العالمي الثامن في الإعجاز العلمى في القرآن والسنة النبوية (علوم الحياة) – بدولة الكويت 2006)

الاسلاميين ، والساسة بعدم الخوض فى أبحاث الاستنساخ التكاثرى لمشاكله الخطيرة ([1])

فلا يستطيع أحد مهما أوتى من علم أن يغير فى هذا الخلق لأنه فوق قدرة الخلق جميعا، ويؤكد الله عز وجل هذا المعنى بقوله : (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (17) سورة النحل. بل يمكننى القول أن خلق الإنسان ، والتفكر فى كيفية هذا الخلق لطريق عظيم لوحدانية الله عز وجل فكيف يعبد من لا يستطيع أن يخلق ولو ذبابا وهو مخلوق ويترك الخالق سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73)!! ولا يستطيع مخلوق أن يستنقذ شيئا مما سلبه الذباب منه أو من طعامه.

5- إن التغرير بآدم وحواء عليهما السلام من إبليس ووساوسه ببيان طريق الخلد والملك: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى (120)، وبالقسم: (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي

[1]) انظر بحثنا "الفصل في الاستنساخ من الأصل – ندوة عن الإعجاز العلمى بدولة المغرب ابريل2007) وهو منشور فى موقع الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة لرابطة العالم الإسلامى على الانترنت وتم طباعة الطبعة الأولى منه

لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) كانوا أسبابا لوقوعهما فى المعصية لأن البديهى أن لا يقسم أحد بالله كذبا وزورا وبهتانا وهذا ما أخذ به آدم وحواء عليهما السلام ظنا منهما أن هذا اللعين إبليس لا يمكن أبدا أن يقسم بالله كذبا وزورا لأن قدر الله عز وجل عندهما عظيم ، وهذا هو حال المؤمن بربه دائما يعرف قدره ، بينما حال الكافر هو عدم تقديره لذات الله عز وجل.

6- أن من ينكر رسالات الرسل ما قدر الله حق قدره ، فقال عز وجل فى سورة الأنعام: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ (91) نعم وما قدروا الله حق قدره فى أسمائه وصفاته وهو أرحم الراحمين بخلقه إذ رحمهم بإرسال الرسل وإنزال الكتاب والحكمة سبحانه وتعالى عما يشركون.

7-المعصية تؤدى إلى تكشف السوءات قال تعالى فى سورة طه: (فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121).

8-وعداوة إبليس للإنسان أزلية أبدية ظاهرة منذ آدم عليه السلام ، قال تعالى فى سورة طه: (فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا

يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) ومن رحمة الله عز وجل أنه حذر بنى آدم حتى لا يقعوا فريسة لهذا الشيطان اللعين قال تعالى فى سورة فاطر:(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (6).

9- الخير والشر خطان متوازيان لا يلتقيان أبدا حتى تقوم الساعة ، ومن رحمته عز وجل أنه فتح باب التوبة لآدم وحواء عليهما السلام كما فتحها لعباده من بعدهما حتى تبلغ الروح الحلقوم فسارعوا إلى مغفرة من ربكم

الباب الثانى

سلالة من ماء مهين

تمهيد:

فى هذا الباب أبين بفضل الله تعالى خلق الذرية من "سلالة من ماء مهين" ، وبيان ما هو الماء المهين وأين قراره المكين ، والربط بين خلق آدم عليه السلام من "سلالة من طين" وبين خلق الذرية من "سلالة من ماء مهين" . كما أبين معنى كلمة سلالة وهى اصطفاء وانتقاء صفو الشىء ، وما الأدلة العلمية على معناها وكيف يكون هناك اصطفاء وانتقاء للخلايا الجنسية فى المرحلة الجنينية ثم بعد ذلك هى التى تنتج النطاف عند البلوغ ، واصطفاء الحيوان المنوى من 300 مليون فرد مثله لتخصيب البويضة ، واصطفاء البويضة التى يكون منها الولد من المبيض الذى به آلاف البويضات ، واصطفاء نوع الجنين ذكرا كان أو أنثى ، بل واصطفاء وانتقاء الشريكين عند التزاوج خصوصا فى المملكة الحيوانية ومن عالم البحار والمحيطات لبيان صدق الرسالة وصدق الرسول ﷺ. ومن هنا تتضح روعة البيان الإلهى لرحلة خلق الإنسان الأول(من سلالة من طين) ثم خلق ذريته من (سلالة من ماء مهين).

المقدمة:

يبين الله عز وجل خلق الناس جميعا، بما فيهم حواء عليها السلام، من نفس واحدة وهي باتفاق جميع أهل العلم (آدم عليه السلام). كما ورد في سورة النساء: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ، واحِدَةٍ، وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً (1) كما بين أن مراحل خلق آدم عليه السلام من سلالة من طين من قوله تعالى في سورة المؤمنون: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12). ويبين سبحانه وتعالى أن الذرية مخلوقة من التراب، كما كان الحال مع أبيها آدم عليه السلام. وكيف لا؟ وهي سلالة منه يقول الله تعالى في سورة الحج (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ..(5). وبين أن نسل الذرية من آدم عليه السلام من سلالة من ماء مهين. كما في سورة السجدة:(ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ، ويبين سبحانه وتعالى أن من أهم معطيات خلق الذرية في الأرحام (النطفة الأمشاج) التى تكونت نتيجة اخصاب نطفة المرأة (البويضة) بنطفة الرجل (الحيوان المنوي)، لقوله تعالى في سورة الإنسان:(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) ، ثم يبين الله عز وجل المراحل التي تمر بها النطفة، كما في سورة المؤمنون: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ

مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14). وكان التناسل وبث الذرية وانتشارها من آدم وحواء عليهما السلام (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً..(1) في الأرض وليس في السماء، لأنه كان بعد الهبوط إلى الأرض، بدليل قوله تعالى: (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25) ، وبدليل قوله تعالى في سورة طه:(مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (55).

والهدف من هذا البحث([1])، تبيين معنى قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8)، وبيان أن الجعل غير الخلق، وأن الخلق هو التقدير المستقيم من غير احتذاء ولا مثال سابق، وهو الإبداع الذى لا يكون إلا لله وحده، وهذا كان لخلق آدم عليه السلام من سلالة من طين([2]). ولخلق الذرية في الأرحام بدءاً من النطفة الأمشاج والعلقة، كما في سورة المؤمنون: (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ

---

[1]) أ.د./ حنفى مدبولى : سلالة من ماء مهين ، المجلة الاكاديمية للإعجاز العلمى، 2021 ، عدد 43 ، رقم 1، ص: 1-22

[2]) انظر بحثنا " سلالة من طين" بالمجلة الأكادية للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة . تم قبوله للنشر بتاريخ 1 يوليو 2021

أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ، بينما الجعل بمعنى إيجاد شيء من شيء، أو صيرورة شيء إلى شيء (جعل صفات آدم عليه السلام في نطافه المنوية ، والتي تحمل الصفات البشرية الذكرية على الكروموسوم (Y) بنسبة 50% أو الأنثوية على الكروموسوم(X) بنسبة 50%)، أو خلق شيء من شيء (وهذا كان لخلق حواء عليها السلام من ضلع قصير لآدم عليه السلام، والتي حملت خلاياها الجنس الأنثوي على الكروموسوم (X) بنسبة 100%)، وهذا مستمر لنسل الذرية التي تحمل النطاف الأنثوية أو الذكرية التي عليها صفات أصول البشرية. وكانت هذه النطاف أول ما كانت في نطاف آدم عليه السلام. ثم استلت من حواء وآدم عليه السلام إلى الذرية من بعدهما، والتي تناقلتها الأجيال المتعاقبة جيلا بعد جيل. وندلل على ذلك باستخلاص البراهين العلمية من الدراسات الحديثة في القرن الحادي والعشرين، والتي تبين مدى واستغراق وتجدد الإعجاز العلمي في قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) سورة السجدة.

الفصل الأول

المعاني اللغوية وأقوال المفسرين

أولا: المعاني اللغوية في قوله تعالى:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(8) سورة السجدة

الخلق أصله: التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، قال: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...(1) سورة الأنعام، أي: أبدعهما، بدلالة قوله: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...(117) سورة البقرة. ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو: (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ...(1) سورة النساء. وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى. ولهذا قال تعالى في الفصل بينه وبين غيره: (أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17) سورة النحل.

وأما الجعل: فهو لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها. ويتصرف على خمسة أوجه ([1])

الأول: يجري مجرى صار وطفق فلا يتعدى. نحو جعل زيد يقول كذا.

[1]) (الإمام السيوطي : في كتاب الإتقان فى علوم القرآن(210/2)،

والثاني: يجري مجرى أوجد، فيتعدى إلى مفعول واحد، نحو قوله عز وجل: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ" (1) سورة الأنعام، (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ (78) سورة النحل.

والثالث: في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه، نحو قوله تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا (72) سورة النحل.

والرابع: في تصيير الشيء على حالة دون حالة، نحو قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا (22) سورة البقرة، (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا (16) سورة نوح.

والخامس: الحكم بالشيء على الشيء، حقاً كان أو باطلاً، فأما الحق فنحو قوله تعالى: (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) سورة القصص، وأما الباطل فنحو قوله عز وجل: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا (136) سورة الأنعام، (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ...(57) سورة النحل ([1])

معنى النسل:

ن س ل: النسل: الولد ، تناسلوا: أي ولد بعضهم من بعض. نسلت: الناقة بولد كثير تنسل بالضم. نسل: في العدو أسرع، "نسلا و نسلانا"

[1]) مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهانى باب جعل

بفتح السين فيهما([1]) قال الله تعالى (إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (51) سورة يس. والنسل: الانفصال عن الشيء. يقال: نسل الوبر عن البعير، والنسالة: ما سقط من الشعر، وما يتحات من الريش. وقد أنسلت الإبل: حان أن ينسل وبرها. والنسل: الولد؛ لكونه ناسلا عن أبيه. قال تعالى: (وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ...(205) سورة البقرة ، وتناسلوا: توالدوا ([2]).

معنى سلالة: هي ما يسلت، كما يدل على نضح الملح والسكر على سطح الإناء الفخاري. وهي تعني التسلل، وتعني الاصطفاء والانتقاء لصفو الشيء.

أقوال المفسرين

الإمام ابن جرير الطبري([3]): (نَسْلَهُ) يعني: ذريته (مِن سُلَالَةٍ): من الماء الذي انسل فخرج منه. وقوله: (مِنْ ماءٍ مَهِينٍ)، يقول: من نطفة ضعيفة رقيقة. وعن قَتادة (وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ،

---

[1]) مختار الصحاح: باب : نسل

[2]) مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهانى: نسل

[3]) هو شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ، ولد سنة 224 هـ ، في بلدة آمل عاصمة طبرستان ببلاد فارس.
ووضع قواعد عامة للعلوم ، واستقراء للجزئيات. وكتابه فى التفسير هو: جامع البيان عن تأويل القرآن (جامع البيان في تفسير القرآن)

وهو خلق آدم، ثم جعل نسله: أي ذرّيته من سلالة من ماء مهين، والسلالة هي: الماء المهين الضعيف.

الإمام البغوى[1]: (نَسْلَهُ) يعني ذريته (مِن سُلَالَةٍ) نطفة. سميت سلالة لأنها تسل من الإنسان (مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (8) أي : ضعيف وهو نطفة الرجل

الإمام بن كثير[2]: (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) أي: يتناسلون كذلك من نطفة.

الإمام القرطبى[3]: (مَّهِينٍ) ضعيف. وقال غيره: مهين لا خطر له عند الناس. **الإمام السعدى**[4]: (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) أي: ذرية آدم ناشئة (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) وهو النطفة المستقذرة الضعيفة.

---

[1]) الإمام البغوي: هو الحافظ شيخ الإسلام، مُحيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، وكتابه في التفسير هو: (معالم التنزيل) وكان البغوي يُلقب بمحيي السنة وبركن الدين، وكان سيداً إماماً عالماً علامة زاهداً وله القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في الفقه.

[2]) هو الإمام اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى: ولد في سوريا سنة 700 هـ بقرية "مجدل" من أعمال بصرى من منطقة سهل حوران -درعا حاليا- في جنوب دمشق كما قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة. وكتابه فى التفسيرهو : تفسير القرآن العظيم، المشهور بـتفسير ابن كثير وهو أجل مؤلفاته فقد تناقلته الأمة بالقبول ويعتبر أصح تفسير للقرآن.

[3]) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح كنيته أبو عبد الله ولد بقرطبة ب(الأندلس) حيث تعلم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها. انتقل إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب في شمال أسيوط حتى وافته المنية في 9 شوال 671 هـ، وهو يعتبر من كبار المفسرين وكان فقيهًا ومحدثًا ورعًا وزاهدًا متعبدًا. وكتابه فى التفسيرهو: الجامع لأحكام القرآن

[4]) تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

الفصل الثانى

الصفات البشرية فى خلايا آدم عليه السلام

أولا: جعل صفات آدم عليه السلام في نطافه المنوية:

أول الجنس البشري هو آدم عليه السلام، ثم جاءت منه حواء، ثم جاء منهما البشر جميعا. يوضح ذلك قوله تعالى في سورة الزمر: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا(6). فقوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) واضح الدلالة على أن خلق آدم كان أولا، ثم خلقت حواء منه بعد ذلك. وعبّر بحرف العطف (ثم)، الذي يدل على الترتيب والعطف الرتبي؛ ليبين أن ترتيب الخلق هكذا: آدم أولا، ثم حواء منه، ثم سائر البشر منهما. وأكد ذلك بقوله (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)، ليدل على أن أصل النوع البشري نفس واحدة، لا نفسان. وفي ذلك دليل واضح على رد قول من يقول إن الله تعالى خلقهما معا. ثم بين ربنا عز وجل أن أصل خلق آدم عليه السلام من سلالة من طين، ثم صير الله عز وجل صفات آدم في نطافه، وجعل لها قرار مكين لحفظها، وهذا القرار المكين هو الخصيتين: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ، ولو مات آدم عليه السلام دون هذا التصيير أو الجعل، لانقطع نسله وما تحقق قول ربنا عز وجل للملائكة: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً

..(30) ، فصارت الصفات الإنسانية لآدم عليه السلام في نطافه تتناقلها الأجيال، جيلا بعد جيل، إلى أن تقوم الساعة بإذن ربها.

وقد ثبت علميا أن الحيوانات المنوية التي تخلق في الخصيتين، 50% منها تحتوى على 23 صبغيا، منها 22 صبغيا يحدد صفات الجنس البشري، وصبغيا يحدد الجنس، ذكرا كان أو أنثى. وأن من بين هذه الصبغيات، الصبغى الذى يحدد جنس الجنين ذكرا، وهو بنسبة 50% (Y)، وأن50% منها تحدد جنس الجنين أنثى (X). وأن كل خلية من خلايا جسم الذكر تحتوى على 46 مشيجا، منها أربعة وأربعين مشيجا عليها صفات الجنس البشرى، ومشيجين يحددات صفات الذكورة والأنوثة، ويرمز لهما بالرمزين (XY).

بينما جميع خلايا الأنثى تحتوى على 46 مشيجا، منها 44 مشيجا عليه جينات تحدد صفات الجنس البشري، ومشيجين (XX) يحددان صفات الأنوثة فقط بنسبة 100%، وأن بويضة الأنثى تحتوي على 23 مشيجا، منهم 22 مشيجا عليهم جينات صفات الجنس البشري، ومشيجا يحدد الجنس الأنثوي (X) ، وأن جميع بويضات المرأة تحتوي على 100% من المشيج (X)، الذي يحدد جنس الأنثى. وبذلك يتضح أن التركيب الوراثي لنطاف الذكر (المنويات)، منها ما يحتوي على صفات الذكورة وبنسبة 50%، ومنها ما يحتوي على

صفات الأنوثة وبنسبة 50%، بينما نطاف المرأة (البويضات) تحتوي على صفات الأنوثة فقط وبنسبة 100%. ولذلك انتقلت صفات الأنوثة من آدم لحواء كما هي – عند خلق حواء منه. والدليل العلمي الثانى على ذلك، هو ولادة بعض المخنثين وميولهم إلى صفات الأنوثة مع حملهم بعض صفات الذكورة.

ثانيا: نسل حواء من آدم عليه السلام :

بين القرآن العظيم أن حواء خلقت من بعد آدم – عليهما السلام، وبين النبى ﷺ أنها خلقت من ضلع من أضلاع آدم، وعلى ذلك جمهور علماء المسلمين من السلف والخلف: أن الله تعالى خلق آدم أولا، ثم خلق منه حواء، ثم خلق منهما البشر جميعا: فعَنْ قَتَادَةَ قال: "(وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجهَا) قَالَ : خُلِقَتْ حَوَّاءُ مِنْ ضِلْعٍ مِنْ أَضْلاعِهِ لِيَسْكُنْ إِلَيْهَا."([1]) وعن مجاهد في قوله : (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجهَا) قال: "حواء، من قُصَيري آدم وهو نائم" ([2]) وقال البغوي رحمه الله: "خلق الله حواء من ضلع آدم"([3]). وقال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله: "خلق سائر الخلق من ذكر وأنثى، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح؛ فإن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من

[1]) تفسير ابن أبي حاتم" (5/ 1631)
[2])تفسير الطبري" (7 /515)
[3])تفسير البغوي" (7 /186)

خلق المسيح في بطن مريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا وهو أصل خلق حواء"([1]) أ.هـ . وقال علماء اللجنة الدائمة ([2]): "ثبت في القرآن والسنة ما يدل على خلق آدم من تراب، وخلق زوجه حواء منه" ([3]) أ.هـ. والله أعلم. والسنة النبوية شارحة ومبينة لما أجمل في القرآن الكريم. وقد بين النبى ﷺ أن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام صراحة في أحاديث كثيرة. منها ما رواه الإمام البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ قال: «... واستوصوا بالنّساء خيرًا، فإنّهنّ خلقن من ضلعٍ، وإنّ أعوج شيءٍ في الضّلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنّساء خيرًا»([4]). وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوجٌ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها»([5]). وعنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «المرأة كالضّلع، إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوجٌ»([6]). وعن سمرة ابن جندب رضي الله

---

[1])الجواب الصحيح" (4 /54) لابن تيمية

[2]) (http://islamqa.info/ar/183039 موقع الإسلام سؤال وجواب)

[3]) "فتاوى اللجنة الدائمة" (1 /15)

[4]) صحيح البخاري 16/ 184رقم 4787

[5]) صحيح مسلم 7/ 400رقم 2670

[6]) متفق على صحته : صحيح البخاري 16/ 182رقم4786. صحيح مسلم 7/ 399رقم 2669

عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع، فإن أقمتها كسرتها، فدارها تعش بها»([1]). ومعنى المداراة: التساهل والملاينة فيما لا يضر بالدّين.

ولكن كيف يفسر علميا خلق حواء وهى أنثى من ضلع من أضلع آدم عليه السلام مع اختلافها في بعض الصفات عنه كصفات الأنوثة ؟!

أقول وبالله التوفيق، أن جميع خلايا الذكر (إلا خلية واحدة وهى الحيوان المنوي) تحتوي على ستة وأربعين كروموسوما، والكروموسوم هو ما يسمى بالمشيج أو الصبغى. والمشيج هو الذي عليه الجينات التي تحدد الصفات الوراثية لأي مخلوق كان. وأن جميع خلايا الذكر تحتوي على 46 صبغى، منها 44 صبغى يحتوي على صفات الجنس البشري لتجعله في أحسن تقويم، ومنهم صبغيين عليهما صفات الذكورة والأنوثة (YX).

وعند خلق الأجنة في الأرحام يلتقى الحيوان المنوي الذي يحتوي على 23 مشيجا، منهم 22 مشيجا عليه صفات الجنس البشري، ومشيجا واحداً يحدد الجنس، ذكراً (Y) أو أنثى (X)، بنسبة 50 % لكل من الصفات الأنثوية، والصفات الذكرية.

[1]) صحيح ابن حبان 17/ 349رقم 4252

وبناء على ما سبق ثبوته علميا، أقول أن الصفات الوراثية التي تمثل صفات الأنثى، والتي هي موجودة على المشيج (X)، والتي كانت موجودة أصلا في خلايا آدم عليه السلام، قد انتقلت منه، كما هي لأمنا حواء، عند خلق حواء من أحد أضلعه. ولهذا جاء خلق حواء عليها السلام بعد خلق آدم عليه السلام، وليس العكس. وهذا يدل على علم الله المطلق، وأنه العليم الحكيم الذي يخلق بعلم وبحكمة. وبالجمع بين الأدلة التي تثبت أن الإنسان يخلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب، كما في قوله تعالى: (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) سورة الطارق. وأن العلماء فسروا الصلب بأنها عظام العمود الفقري، والترائب وهي عظام القفص الصدري. وتبين الأحاديث سالفة الذكر في خلق حواء من ضلع قصير من أضلع آدم الخلفية، يتضح أن هذا المكان هو أصل النطاف. وعنده يكون المبيض للمرأة في الصفة التشريحية. وهذا يشير إلى أن هذا المكان بالتحديد، وهو أعلى ما في الضلع الخلفي، هو الذي يحدد جنس المرأة، والله أعلم. وهذه الجزئية تحتاج منا علماء المسلمين، إثباتها عمليا، ويكون لنا السبق فيها بإذن الله تعالى. وقد فصلت القول في هذه المسألة([1]) بفضل الله

[1]) أ.د./ حنفى مدبولى . بحث " مستقر ومستودع" منشور فى المؤتمر السنوي الحادي عشر للإعجاز العلمي فى القرآن والسنة .بجامعة المنصورة 12 مارس 2019..

تعالى ومنه وكرمه عند الكلام على معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) سورة الأنعام.

الفصل الثالث

النسل الأول من آدم وحواء

جعل الله نسل آدم وحواء عن طريق النطاف ، وهى نطفة آدم (الحيوان المنوى) التى تحتوى على 23 كروموسوم ونطفة حواء (وهى البويضة) التى تحتوى على 23 كروموسوم ، وباختلاطهما تتكون (النطفة الأمشاج) التى تحتوى على 46 كروموسوم وهى التى تخلقت منها الأجنة فى رحم أمنا حواء عليها السلام.

ويعجب العلماء ما الذي يدفع الحيوان المنوى ذو ال 23 مشيجا للالتقاء مع البويضة ذات ال 23 مشيجا لتكوين النطفة المقدرة الأمشاج ذات ال46 مشيجا وتخليق الجنين منها ليس من غيرها! ، مع أن الجسم به 100 تريليون خلية غيرهما وكل خلية تحتوى على 46 مشيجا أى كروموسوم!!!

أقول بفضل الله وحوله وقوته: إن هذا اصطفاء وانتقاء لأفضل الصفات الوراثية وأقواها من كلا الجنسين ، وجعلها أى هذه النطاف من أجل بقاء النوع الإنسانى فلا يندثر حتى تقوم الساعة تحقيقا لقوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...(30)

وبعد دراسات مستفيضة على مدار خمسين عاما، يَعتبِر العلماء أن الميتوكوندريا في خلايا الأنثى، هي جينوم الأمومة الأصلي لكل

الإناث التي تعيش الآن. والتى تنزل فيها الميتوكوندريا من الأمهات، وأمهات الأمهات، حتى تعود إلى أم واحدة، وهي الأم الأصلية، وهي حواء، دون أن تتكسر سلسلة الحمض النووي بها. كما أن جينوم الميتوكندريا في خلايا الذرية، من حواء إلى وقتنا هذا، لا يحدث لها إعادة الاتحاد مع أي جينوم آخر. ولذلك فهي نقية وتصلح لدراسة التاريخ البشري بعد معرفة الطفرات التي من الممكن أن تحدث في قاعدة نيتروجينية واحدة على مدار آلاف السنين في الأجيال المتعاقبة.

ونفس الكلام بالنسبة للكروموسوم الجنسي Y في الذكور، لا يَحدُث له إعادة اتحاد مع جينوم آخر. وينتقل كما هو من الأباء للأبناء. ولكن يحدث له طفرات على مدار الأجيال، كما يحدث لجينوم الميتوكوندريا في النساء ولكن بعد آلاف السنين. وبدأت الدراسات العلمية منذ 1979، وحتى وقتنا هذا، وتمت على جنسيات شتى من العالم، كالعرب، والأفارقة، والبربر في الجزائر، والبشتون في باكستان وأسيا وأوروبا والأمريكيتين، وغيرهم من الجنسيات المختلفة، لمعرفة أصولهم وإلى من ينتمون، ولمعرفة عمر البشرية على وجه الأرض. وأفادت هذه الدراسات إلى عدة حقائق علمية: منها أن الجنس البشري يختلف عن أجناس الحيوانات القريبة منه، كالقردة والشمبانزوى والغوريلا. ولا ينتمي إلى أي كائن حي على وجه الأرض إلا للإنسان. وبهذا

هدمت هذه الدراسات النظرية الداروينية من جذورها، التي روج لها الداروينيون، الذين يؤمنون بفكرة التطور، وأن الإنسان أصله قرد. وروجوا لهذا على مدار أكثر من قرن من الزمان. وبعض هذه الدراسات قامت على تحليل جزئي للحمض النووي[1، 2، 3]. ولذلك وجدوا اختلافات في تقدير العمر البشري. فقالوا أنها تتراوح بين (180000 – 581000) سنة. بينما قامت دراسة أخرى بقيادة (Poznik, et al 2013[4]) على التحليل الكلي للحمض النووي،

1) Mendez, Fernando; Krahn, Thomas; Schrack, Bonnie; Krahn, Astrid-Maria; Veeramah, Krishna; Woerner, August; Fomine, Forka Leypey Mathew; Bradman, Neil; Thomas, Mark (2013), "An African American paternal lineage adds an extremely ancient root to the human Y chromosome phylogenetic tree" American Journal of Human Genetics, 92 (3): 454–59,

2) Francalacci P, Morelli L, Angius A, Berutti R, Reinier F, Atzeni R, Pilu R, Busonero F, Maschio A, Zara I, Sanna D, Useli A, Urru MF, Marcelli M, Cusano R, Oppo M, Zoledziewska M, Pitzalis M, Deidda F, Porcu E, Poddie F, Kang HM, Lyons R, Tarrier B, Gresham JB, Li B, Tofanelli S, Alonso S, Dei M, Lai S, Mulas A, Whalen MB, Uzzau S, Jones C, Schlessinger D, Abecasis GR, Sanna S, Sidore C, Cucca F (2013). "Low-pass DNA sequencing of 1200 Sardinians reconstructs European Y-chromosome phylogeny". Science. 341 (6145): 565–69

3) Barras, Colin (6 March 2013). "The father of all men is 340,000 years old". New Scientist.

4)G. David Poznik,1,2 Brenna M. Henn,3,4 Muh-Ching Yee,3 Elzbieta Sliwerska,5 Ghia M. Euskirchen,3 Alice A. Lin,6 Michael Snyder,3 Lluis Quintana-Murci,7,8 Jeffrey M. Kidd,3,5 Peter A. Underhill,3 and Carlos D. Bustamante3,*) . Sequencing Y Chromosomes Resolves Discrepancy in Time to Common Ancestor of Males versus Females. Science. 2013 Aug 2; 341(6145): 562–565 doi: 10.1126/science.1237619.

وبينت أن عمر البشرية على الأرض يتراوح بين (120000 – 156,000). وكثير من هذه الدراسات، تشير إلى أن البشرية تعود جذورها إلى قارة أفريقيا.

وفي دراسة بقيادة براون وآخرون (Brown,et.al 1979)، وجدوا أن نسبة الطفرات في جينوم الميتوكوندريا للأنثى 1%، وهى نسبة أعلى من التي تحدث في كروموسومات النواة [1]. كما أنها تحدث مرة كل 3500 سنة[2].

وفي عام 1980، كانت أول دراسة لتحديد عمر البشرية، من خلال الساعة الجزيئية، بدراسة جينوم الميتوكوندريا، بعد تقطيعه إلى قطع بالإنزيمات القاطعة للحمض النووي restriction (endonucleases)، وجد العلماء أن عمر البشرية يعادل 180,000 سنة[3].

1) Brown WM, George M Jr, Wilson AC; George; Wilson (1979), "Rapid evolution of animal mitochondrial DNA", Proc Natl Acad Sci U S A, 76 (4): 1967–71,

2) Gibbons, A (January 1998) "Calibrating the Mitochondrial Clock", Science, 279(5347): 28–29

3) Brown WM (1980) "Polymorphism in mitochondrial DNA of humans as revealed by restriction endonuclease analysis", Proc Natl Acad Sci USA, 77 (6): 3605–09

وفى دراسة بقيادة (Ferris ,et.al 1981)، تم عمل مقارنة بين جينوم الميتوكوندريا في القردة والشمبانزي والغوريلا والإنسان، ووجدوا اختلافات بين هذه الحيوانات وبين الإنسان. وأن الإنسان مستقل استقلالا تاما عن فصيلة القردة، ولا ينتمي إليها أصلا[1].

وهذه الدراسة تهدم الداروينية وتضربها في مقتل. وقالت ربيكا كان (Cann RL, 1982)، وهي من ضمن فريق العمل الذي قام بدراسة جينوم الميتوكوندريا في الإناث، بأنه من الممكن دراسة الميتوكوندريا لأجيال من الإناث، للوصول إلى أول امرأة على الأرض[2].

وفي دراسة أخرى لها منشورة في مجلة الطبيعة ناتشير (Cann RL, 1987)، ولنفس الفريق، أثبتوا أن أصل البشرية بدأ من أفريقيا[3] منذ 140,000 – 200,000 سنة. وبدأ استخدام المصطلح العلمي لـ جينوم الميتوكوندريا لحواء (Mitochondrial Eve) في سنة

1) Ferris SD, Brown WM, Wilson AC; Wilson; Brown (1981), "Evolutionary tree for apes and humans based on cleavage maps of mitochondrial DNA", Proc Natl Acad Sci USA, 78 (4): 2432–36

2) Cann RL, Brown WM, Wilson AC (1982), "Evolution of human mitochondrial DNA: a preliminary report", Prog Clin Biol Res, 103 (Pt A): 157–65

3) Cann RL, Stoneking M, Wilson AC (1987), "Mitochondrial DNA and human evolution", Nature, 325 (6099): 31–36

1987، فـي البحـث المنشـور بمجلـة العلـوم[1]. وتوالـت المقـالات العلمية لاستخدام هذا المصطلح (Adam and Eve) في الجرائد العلمية والعالمية كمجلة نيوزويك[2]، ومجلة التايم[3].

وفـي دراسـة بقيـادة العـالم David Poznik، جمعت مجموعـة من العلمـاء المتخصصـين فـي علـوم الهندسـة الوراثيـة والجينـوم البشري والإحصاء والكمبيوتر والمعلومات الحياتية من عدة جامعات بالولايات المتحـدة الأمريكيـة (جامعـة سـتانفورد بكاليفورنيـا، وجامعـة سـتوني بـرووك بنيـو يـورك، وجامعـة ميتشـيجان)، ومعهـد باسـتير بفرنسـا، ومنشورة فـي مجلـة العلـوم science بتـاريخ 2 أغسـطس 2013، لدراسـة وتحليـل الكروموسـوم الجنسـي Y فـي الـذكور، وجينـوم الميتوكوندريا في الإناث، على 69 عينة. تم جمعها من قارات العالم، بالإضـافة إلـى عينتين من أصـول أفريقيـة. ليتم تحديد الوقت الزمنـي لوجود البشرية علـى الأرض منذ آدم وحـواء عليهمـا السـلام، بمعرفـة الوقت الحـديث للأجيـال القائمـة والسابقة (the most recent

1) Lewin R (1987), "The unmasking of mitochondrial Eve", Science, 238 (4823): 24–26

2) Tierney J (1992). "The Search for Adam and Eve". Newsweek. Carter G. Woodson Institute for Afro-American and African Studies. Retrieved 2013-05-13

3) Lemonick MD (26 January 1987). "Everyone's Genealogical Mother". Time. Time Inc. Retrieved 2013-05-13.

common ancestor TMRCA)، بتقنية الساعة الجزيئية Molecular clock للطفرات التي حدثت لهم مما أدى إلى التنوع فى الأصول البشرية . وخلصوا إلى أن الكروموسوم (Y) يعود إلى 156000– 120000 سنة. أما بالنسبة إلى جينوم الميتوكوندريا في الإناث، فإنه يعود إلى 148000– 99000 سنة. وأن جميع الذكور تنتسب إلى آدم. وجميع الإناث تنتسب إلى حواء. وأن آدم وحواء كانا يعيشان في نفس الزمن. وأن البشرية كلها منحدرة منهما.

وهذا البحث مفيد جدا، لأنه اهتم بدراسة جينوم الميتوكوندريا بالكامل، وأعطى صورة أوضح عن الدراسات السابقة، والتي قامت بدراسة جزئية لجينوم الميتوكوندريا، في إناث الأجيال السابقة والحالية. كما أنه اهتم بدراسة مختلف الطوائف من الأجناس البشرية الموجودة في العالم، مما يزيد الأمور وضوحا جليا[1].

وهذا دليل علمي واضح بأن الذكور من مختلف الأجناس والعرقيات تنتسب إلى ذكر واحد، وهو آدم عليه السلام. ولم تنتسب إلى قرد أو شمبانزى، أو تطورت من أي مخلوق آخر، كما يدعي الداروينيون.

1) Poznik GD, Henn BM, Yee MC, Sliwerska E, Euskirchen GM, Lin AA, Snyder M, Quintana-Murci L, Kidd JM, Underhill PA, Bustamante CD (August 2013). "Sequencing Y chromosomes resolves discrepancy in time to common ancestor of males versus females". Science. 341 (6145): 562–65.

وكذلك الحال بالنسبة إلى عينات النساء، فإنها جميعها تنتسب لإمرأة واحدة، وهي حواء عليها السلام. ولا توجد عينة من النساء تنتسب إلي أنثى القردة أو الشمبانزى أو أي حيوان آخر. مما يدل دلالة علمية قطعية على أن خلق الإنسان، كان خلقاً مستقلا، ولم يتطور من أي كائن أو مخلوق آخر، في سلسلة التطور التى افترضها داروين. وهذا الذي بينه العلماء في بحثهم، هو ما ذكره رب العزة سبحانه وتعالى في التوراة والإنجيل والقرآن، قبل بيان العلم لها بأربعة عشر قرناً من الزمان، منذ نزول القرآن الكريم. بل زاد الله الإنسان تشريفاً. بأن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة. وبين بدلالة قطعية في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المتواترة ، بأن بنيه من نسله.

ومن هنا يتضح لنا أن الحقيقة الشرعية من قوله تعالى فى سورة الأعراف: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (172) ، تتفق مع الحقيقة العلمية التي ذكرها العلماء في أبحاثهم. أن جميع ذرية بني آدم من الذكور أو الإناث، ينتمون لأصل واحد. وهم في أصلاب آبائهم. والذي يحدد جنس

الجنين ذكرا أو أنثى، هو الكروموسوم (XY)، وهو موجود في الذكور. بينما كروموسوم الإناث هو (XX).

نكتة لطيفة: لو ذُكر في الآية الكريمة، أن أخذ الذرية من ظهر آدم، لاصطدمت بالحقيقة العلمية، ولكن الأخذ من ظهر بني آدم لماذا؟ لأن هذه الآية الكريمة تتكلم عن عدة معاني علمية واضحة هي الفيصل في هذه المسألة، وبيانها كالتالى:

كلمة (أخذ) تعنى حوز الشيء وتحصيله بالتناول، نحو قوله تعالى فى سورة يوسف: (مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (79) ، وبين ربنا تتابع عذاب فرعون، وتناوله من آل فرعون في الدنيا بالسنين والقحط والجدب والقمل والضفادع والدم، ثم الإغراق في البحر، قال تعالى فى سورة الأعراف: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (130).

وجملة "من بني آدم" تشير إلى أخذ الذرية من بني آدم، وأن الولد يدعى لأبيه، ذكرا كان أو أنثى. قال تعالى فى سورة الأحزاب: (ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ (5) ، فلم يدعوهم لأمهاتهم. وهذا يدل على تتابع الذرية جيلا بعد جيل، من أول أبناء بني آدم، حتى يعودوا إلى أصل واحد وهو آدم. ولهذا كان لنطاف آدم عليه السلام القول

الفصل في تحديد جنس الجنين، لأن المنويات الذكرية، نصفها يحتوي على الكروموسوم (Y)، بينما النصف الآخر يحتوي على الكروموسوم (X). كما أن حواء أيضا مأخوذة من آدم عليه السلام. وأن الأبناء لا يأتون إلا من ذكر وأنثى، وبالتحديد في أول الأمر من آدم وحواء. وهذا ما بينه ربنا عز وجل في سورة النساء: (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً(1). وهذا ما أثبتته الإبحاث العلمية في أوائل القرن الحادى والعشرين. أن الرجال يعود نسبهم لأبيهم آدم. وأن النساء يعُدن في نسبهن إلى أمهن حواء، والتي تعود نسبتها إلى آدم عليه السلام.

كما تبين جملة "من ظهورهم" أن الذرية منشأها في منطقة الظهر. وهذا ما بينه ربنا عز وجل في نشأة الذرية في قوله تعالى من سورة الطارق: (خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7). وهذا ما أثبتته الأبحاث العلمية التي بينت هجرة الخلايا التناسلية الأولية من هذه المنطقة، (مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) إلى المناسل (الخصيتين في الذكر، والمبيضين في الأنثى). كما تشير كلمة "ذريتهم" إلى ما يتوالد من الأباء، وهي تأكيد لبني آدم، مثل قوله تعالى في سورة البقرة: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً (128) وفي سورة آل عمران:(ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) ، وفي سورة الأنعام (وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ (84).

وأستطيع أن أقول من خلال هذه الدراسات التى تمت على الجينوم الجنسي (Y) في الذكور، وال د.ن.ا للميتوكوندريا للإناث، أنها تصدق قول الله في هذه الآية العظيمة، والتي تبين انحدار البشرية كلها من آدم، لأن حواء أيضا منه، قال تعالى فى سورة النساء: (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً (1). ولذلك جاءت الآية تتكلم عن أخذ الذرية من بني آدم جيلا بعد جيل. وهذا إعجاز علمي في هذه الآية.

الفصل الرابع

اصطفاء الخلايا الجنسية والحدبة التناسلية في الجنين

أولا: اصطفاء الخلايا الجنسية الأولية:

وبالرجوع إلى أبحاث العلماء في أواخر القرن العشرين، وبداية القرن الحادي والعشرين، أجد أن العلماء رغم ما توصلوا إليه من علم غزير في تكوين المناسل، إلا أنهم ما زالوا متحيرين أمام نشأة الخلايا الجنسية، وطريق هجرتها، وكيفية هجرتها، وما الذي يدفعها للهجرة، وتميزها عن باقي خلايا الجسم؟!. في الحقيقة إنها مسألة في غاية التعقيد، ولم يتوصل العلماء لمعرفة نشأة وهجرة الخلايا التناسلية في الإنسان إلا بعدما درسوا هذا الشأن في الحشرات والحيوانات ، مثل الدروسفيلا، والضفادع، والأبقار، والفئران، وغيرهم من الكائنات الحية[1]. ولكنهم متحيرين في كيفية تمايزها، وما الذي يميزها عن غيرها، وإن شاء الله تعالى سأعد بحثا مفصلا لهذا الأمر.

وتشير الأبحاث إلى أن بعد إخصاب البويضة بالحيوان المنوي، وتكوين النطفة الأمشاج، يبدأ انقسامها إلى خليتين، ثم أربع، ثم ثمان،

1) Richardson BE, Lehmann R. Mechanisms guiding primordial germ cell migration: strategies from -different organisms. Nat Rev Mol Cell Biol. 2010; 11: 37–49.

حتى تصل إلى مرحلة التوتة (Morualla)، ثم يحدث فراغ بين هذه الخلايا لتعطي مرحلة البلاستيولا (Blastualla) كما في الشكل (1). وفي أثناء مرحلة البلاستيولا تتمايز الخلايا (cell differentiation) ، إلى طبقة الخلايا الداخلية (Inner cell mass(ICM)، والتي تقوم بتكوين الجنين، وتسمى بالخلايا الجنينية (embryo blast) ، وطبقة الخلايا الخارجية والتي تكون المشيمة، وتسمى التروبوبلاست (trophoblast)، ثم تتكون مرحلة أخرى تسمى مرحلة (gastrualla).

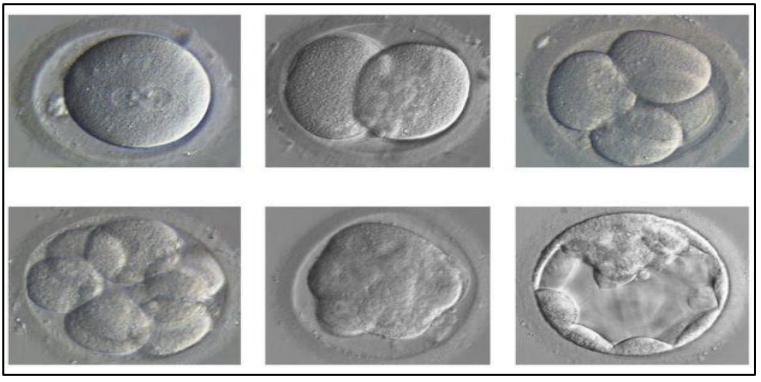

شكل (1): يبين انقسام البويضة المخصبة إلى خليتين، ثم أربع، ثم ثماني، حتى تصل إلى مرحلة التوتة. وهي كتلة من الخلايا، ثم يحدث تجويف بينها. وتتميز الخلايا إلى طبقتين، الطبقة الداخلية والتى يتخلق منها الجنين، والطبقة الخارجية والتي تعطي المشيمة الجنينية، لكي تنغرز في جدار الرحم، وتعطي المشيمة الأمية.

ثم في مرحلة الجاستريولا، تتمايز الخلايا الداخلية تميزا جديدا إلى طبقتين، وهي الإيبيبلاست (Epiblasts) والثانية الهيبوبلاست (Hypoblasts)، والأخيرة تكون خلايا جدار كيس المح (Yolk sac). وتفرز المح ليتغذى عليه الجنين (شكل 2، 3)، حتى تتكون خلايا المشيمة، وتنغرس في جدار الرحم، فيتغذى بعد ذلك من دم أمه. وفي الأسبوع الثالث من الحمل فإن خلايا الإيبيبلاست تتمايز إلى ثلاثة طبقات من الخلايا، وهي الإكتودرم (Ectoderm)، والميزودرم (Mesoderm)، والإندودرم (Endoderm) كما في الشكل(2). وتتمايز خلايا أخرى من طبقة الإيبيبلاست لتعطي خلايا الكيس الأمنيوسى وتفرز السائل الأمنيوسى الذي يغطي الجنين لحمايته (شكل 2).

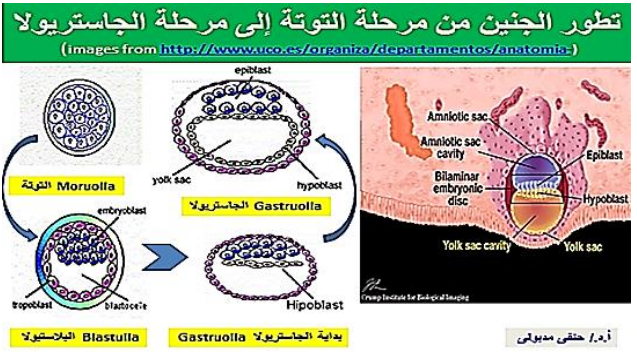

شكل (2): يبين تمايز خلايا الجنين من مرحلة البلاستيولا.

شكل (3): شكل تخطيطى يبين مرحلة البلاستيولا، وفيها تتميز الخلايا إلى خلاية جنينية Embryoblasts، والتى تكون الجنين، وخلايا لتكوين المشيمة Trophoblasts، ثم مرحلة الجاستريولا، وفيها تتميز الخلايا الجنينية إلى طبقتين تسمى الإيبيبلاست Epiblasts، لتعطى الكيس الأمنيوسى وثلاث طبقات والثانية الهيبوبلاست Hypoblasts لتعطى كيس المح ليغذى الجنين.

ويتكون الخيط الأولي، والعقدة الأولية، من أعلى طبقة الإيبيبلاست، واللذان يكونان فيما بعد خلايا الجهاز العصبى (neural tissues)، وتهاجر خلايا الميزودرم لتعطى النتوءات (notochord) حول الخيط الأولي (شكل4). لتكون بعد ذلك الفقرات والعمود الفقري([1]). ووجد العلماء أن تمايز الخلايا الجنسية الأولية يبدأ من طبقة الخلايا الإيبيبلاست Epiblast أثناء مرحلة gastrulation ([2]).

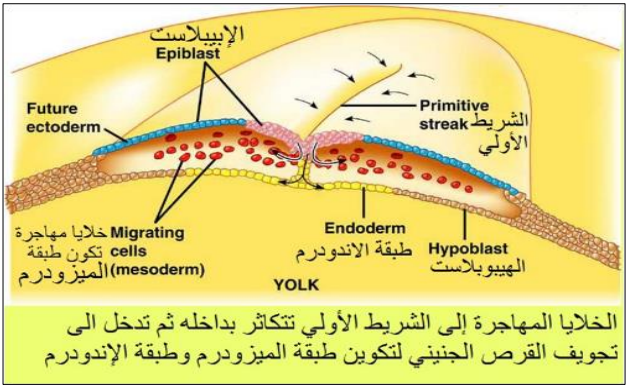

شكل (4): يبين تكوين طبقة الإيبيبلاست والهيبوبلاست، والشريط الأولي وهجرة خلايا الميزودرم وتكوين طبقة الإندودرم
المصدر: https://sites.google.com/site/uelhkdghk/?tmpl

[1])عجائب وأسرار عجب الذنب - بحث للدكتور عثمان جيلان معجمى
https://sites.google.com/site/uelhkdghk/?tmpl=%2Fsystem%2Fapp%2Ftemplates%2Fprint%2F&showPrintDialog=

[2]) Kunwar P.S.; Lehmann R. (2003). "Germ-cell attraction". Nature 421:226-227

وقد قام العلماء بمقارنة عمر الأجنة في العديد من الحيوانات وجنين الإنسان، ووضعوا جدولا لذلك. وتبين لهم أن أقرب شبه في نمو وتطور جنين الإنسان هو جنين الفأر (شكل 5). ويمكن الرجوع لهذه المقارنة من مصادرها الموثوقة.[1]

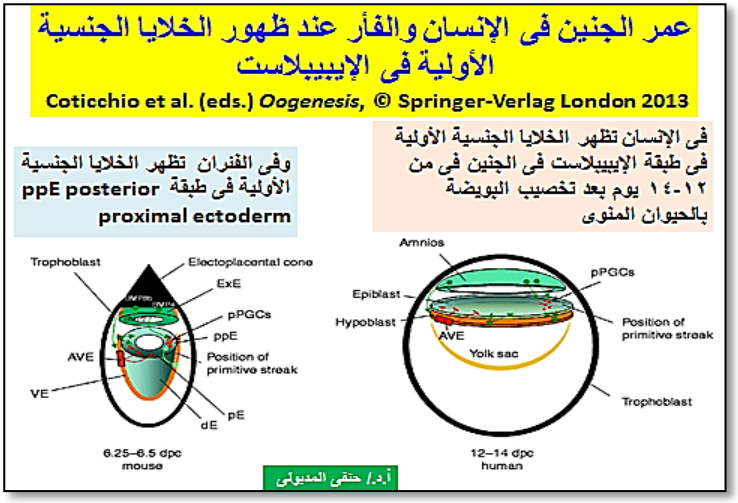

شكل (5) يبين مصادر وتمايز الخلايا التناسلية الأولية precursor Primordial Germ Cells (pPGCs) في طبقة الإيبيبلاست، في كل من جنين الإنسان عند عمر 12-14 يوم، بين كيس المح وكيس الألنتوين، ثم هجرتها عبر المعي الخلفي إلى الحدبة التناسلية، وجنين الفأر عند عمر 6.25-6.5 يوم بعد الإخصاب.

https://www.chegg.com/flashcards/sexual-differentiation

1) Hill, M.A. 2018 Embryology Carnegie Stage Comparison. Retrieved February 1, 2018, from https://embryology.med.unsw.edu.au/embryology/index.php/Carnegie_Stage_Comparison

وتتميز خلايا الأندودرم لتعطي الجهاز الهضمي والجهاز التنفسي والبنكرياس والغدة الدرقية. وتتميز خلايا الميزودرم إلى ثلاثة طبقات، الأولية والوسطى والجانبية، لتعطي قناة الحبل الشوكي والجمجمة، والعظام وخلايا الدم، وعضلات الوجة، والكليتين، والغدة الجار كلوية، الخلايا الجنسية الأولية التي تعطي الحيوان المنوي، أو البويضة، والتي تهاجر إلي الحدبة التناسلية. بينما يعطي الإكتودرم الجلد والخلايا العصبية.

كما ذكر ماسيمو في 2013 أن أصل الخلايا التناسلية الأولية تنشأ من طبقة الميزودرم، من خلايا الإيبيبلاست[1]. ومن هنا يتضح أن مصدر الخلايا الجنسية الأولية يتمايز، وهي بين الخلايا التي تعطي العمود الفقري والعظام. وصدق الله العظيم في قوله: (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) سورة الطارق. وهذا برهان علمي جديد استنبطته لهذه الآية العظيمة، وهو اعجاز علمى دقيق للغاية والله أعلم.

1) Massimo De Felici (2013) Massimo De Felici Ph.D. Section of Histology and Embryology, Department of Public Health and Cell Biology ,University of Rome “Tor Vergata” , Via Guido Montpellier 1 , 00173 Rome , Italy: Origin, Migration, and Proliferation of Human Primordial Germ Cells . simlG. Coticchio et al. (eds.), Oogenesis, 19 DOI 10.1007/978-0-85729-826-3_2, © Springer-Verlag London 2013

ثانيا: هجرة الخلايا الجنسية الأولية إلى الحدبة التناسلية:

وفي الأسبوع الثالث من عمر الجنين، تتحرك الخلايا الجنسية الأولية (primordial germ cells) بحركة أميبية من طبقة الإيبيبلاست إلى جدار كيس المح (yolk sac wall). وتتجمع بالقرب من زاوية الألنتويس (allantois) مع كيس المح، وتصبح خارج الجنين. وفي الأسبوع الخامس من عمر الجنين، يساعد انحناء الجنين من الأمام إلى الخلف، أن تعود الخلايا الجنسية الأولية إلى الجنين مرة ثانية من خلال هجرتها من جدار كيس المح، إلى أن تدخل الجزء الخلفي للمعي. وبعد عبورها، ظهر المعي حتى تصل إلى الحدبة التناسلية (يمين وشمال) فى خلف منطقة مقدمة كتلة الظهر (الصلب). وتكوين الضلوع (الترائب) في التجويف البطنى، في الأسبوع السادس من عمر الجنين، [1، 2] كما في الشكل (6). وتصبح هذه الخلايا الجنسية الأولية بعد استقرارها في كل من

1) Fujimoto T, Miyayama Y, Fuyuta M. The origin, migration and fine morphology of human primordial germ cells. Anat Rec. 1977;188: 315–29.

2) Møllgard HK, et.al (2010) Møllgard HK, Jespersen A, Lutterodt MC, Andersen CY, Høyer PE, Byskov AG. Human primordial germ cells migrate along nerve fibers and Schwann cells from the dorsal hind gut mesentery to the gonadal ridge. Mol Hum Reprod. 2010;16:621–31

الحدبتين التناسليتين خلايا تناسلية جذعية لتعطي فيما بعد الحيوانات المنوية في الذكر البالغ أو البويضات في الأنثى البالغة [1]. وبعد استقرارها في الحدبة التناسلية يحدث لها عدة انقسامات بالانقسام الميتوزى ويزداد عددها [2]. وهنا نجد بعد اصطفاء وانتقاء وتسلل الخلايا الجنسية الأولية من بين خلايا الإيبيبلاست، هجرتها العجيبة إلى الحدبة التناسلية لتستقر فيها ولم تهاجر إلى غيرها بقدرة الله تعالى الذى عرفها هذا الطريق فى الظلام الدامس فى الجنين بالرحم!

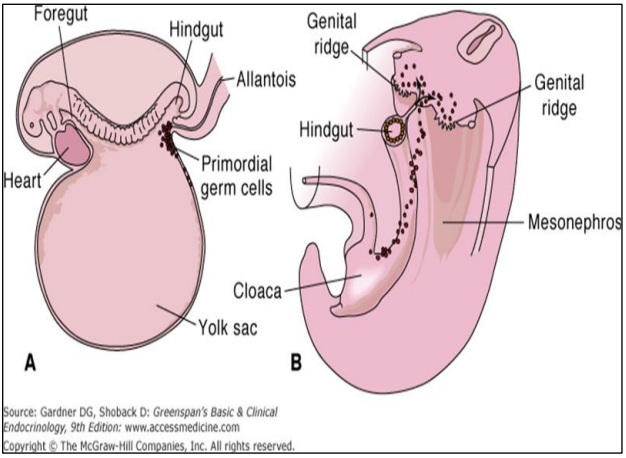

شكل (6): طريق الهجرة للخلايا الجنسية الأولية من جدار كيس المح، ثم للمعي الخلفي، ثم إلى الحدبة التناسلية.

1) Wylie C. Germ cells. Cell. 1999;96:165-74

2) Kunwar P.S.; Lehmann R. (2003). "Germ-cell attraction". Nature 421:226-227

وقام بندسين وأخرون[1] (Bendsen et.al 2003) بدراسة عدد الخلايا التناسلية في خصية الجُميّل في الأسابيع الأولى من الحمل. كما قام بعض أفراد هذا الفريق (2006) بدراسة الخلايا التناسلية في مبيض الحميل في نفس الأسابيع الأولى. ووجدوا أن عدد الخلايا التناسلية في زيادة من الأسبوع 5–9 وكان عددها في الإناث 300000 خلية، وعددها في الذكور 150000 خلية (الشكل 7) [2]. وقام أوشى غانسي وآخرون O'Shaughnessy et.al[3] (2007)، ومامسين وآخرون (2011 Mamsen et.al[4] بدراسة عدد الخلايا في كلا الجنسين في المرحلة الحميلية الثانية حتى الشهر الخامس. ووجدوا أن عدد هذه الخلايا وصل إلى 10 مليون خلية في مبيض حميل الأنثى، و3–4 مليون خلية فى خصية حميل الذكر..

1) Bendsen E, Byskov AG, Laursen SB, Larsen HP, Andersen CY, Westergaard LG. Number of germ cells and somatic cells in human fetal testes during the first weeks after sex differentiation. Hum Reprod. 2003;18 : 13–8.

2) Bendsen E, Byskov AG, Andersen CY, Westergaard LG. Number of germ cells and somatic cells in human fetal ovaries during the first weeks after sex differentiation. Hum Reprod. 2006;21:30–

3) O'Shaughnessy PJ, Baker PJ, Monteiro A, Cassie S, Bhattacharya S, Fowler PA. Developmental changes in human fetal testicular cell numbers and messenger ribonucleic acid levels during the second trimester. J Clin Endocrinol Metab. 2007: 92: 4792–801.

4) Mamsen LS, Lutterodt MC, Andersen E, Byskov AG, Andersen CY. Germ cell numbers in human embryonic and fetal gonads during the first two trimesters of pregnancy: analysis of six published studies. Hum Reprod. 2011;26 : 2140–5..

وفي دراسة قام بها ليترودت وآخرون (Lutterodt et.al 2009[1] ، ومامسين وآخرون (Mamsen et.al 2011[2] لمعرفة أثر التدخين على عدد الخلايا الجنسية في مبايض حميل لأمهات مدخنة (تقوم بتدخين السجائر). ووجدوا أن عددها ينقص بشكل كبير وملحوظ. وهذا يفسر حالات العقم عند المدخنين والمدخنات.

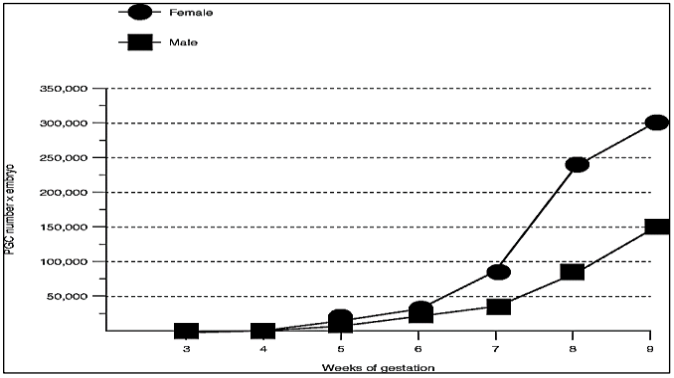

شكل (7): يبين تزايد عدد الخلايا الجنسية الأولية من الأسبوع 5 - 9، وفي الأسبوع التاسع وجدوا أن عددها في الإناث (female) - المنحنى ذو الدوائر السوداء- وصل إلى 300000 خلية. بينما في الذكور (male) – المنحنى ذو المربعات السوداء – وصل إلى 150000 خلية.

1) Lutterodt MC, Sørensen KP, Larsen KB, Skouby SO, Andersen CY, Byskov AG. The number of oogonia and somatic cells in the human female embryo and fetus in relation to whether or not exposed to maternal cigarette smoking. Hum Reprod. 2009;24:2558–66

2) Mamsen LS, Lutterodt MC, Andersen E, Byskov AG, Andersen CY. Germ cell numbers in human embryonic and fetal gonads during the first two trimesters of pregnancy: analysis of six published studies. Hum Reprod. 2011;26: 2140–5..

ثالثا: اصطفاء وانتقاء الحدبة التناسلية:

ذكر الله عز وجل في سورة الطارق: (فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ(5) خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ(6) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(7). ويبقى السؤال المحير، لماذا الحدبة التناسلية الموجودة بين الصلب والترائب؟ ولماذا تموضعها فى هذا المكان تحديداً بجوار تكوين المبيضين أو الخصيتين؟ لكني أقول سبحان ربي الذي أحسن كل شيء خلقه، فإن هجرة الخلايا الجنسية الأولية إلى الحدبة التناسلية دون أن تضل الطريق إليها يحتاج منا إلى تفكر وتدبر، وحتى الآن لم أجد بحثا علميا دقيقا يفسر هذه الهجرة المحدد هدفها في الظلام الدامس (ظلمات ثلاث)، لكن تفسيرى لهذا ربما يكون بسبب وجود بعض المواد الكيميائية الجاذبة لهذه الخلايا المهاجرة إلى هذه الحدبة التناسلية (germinal ridge)، وهذا احتمال ربما يكون قويا فيما بعد! لكني أقول الآن، فأنها مأمورة بأمر ربها عز وجل. وهذا سر من أسرار خلق الجنين، لم يُكتَشف بعد. لكن المجال مفتوح للبحث العلمي الدقيق المبني على البيولوجيا الجزيئية لهذه الخلايا، وكذلك للحدبة التناسلية.

يقول الدكتور محمد دودح: "والحقيقة العلمية هي أن الأصول الخلوية للخصية في الذكر أو المبيض في الأنثى تجتمع في ظهر الأبوين

خلال نشأتهما الجنينية في الحدبة التناسلية (شكل 8)، ثم تخرج من الظهر من منطقة بين بدايات العمود الفقري وبدايات الضلوع، ليهاجر المبيض إلى الحوض بجانب الرحم، وتهاجر الخصية إلى كيس الصفن، حيث الحرارة أقل. وإن تعلقت في البطن أو في القناة الأربيبة ولم تنزل إلي كيس الصفن (شكل 9) فشلت في إنتاج الحيوانات المنوية، وتصبح معرضة للتحول إلى ورم سرطاني إذا لم تُكمل رحلتها[1]. وقد يحدث في بعض الأحيان ألا تتم عملية الهبوط هذه، فتقف الخصية في طريقها، ولا تنزل إلى الصفن، فتحتاج إلى عملية جراحية".[2]

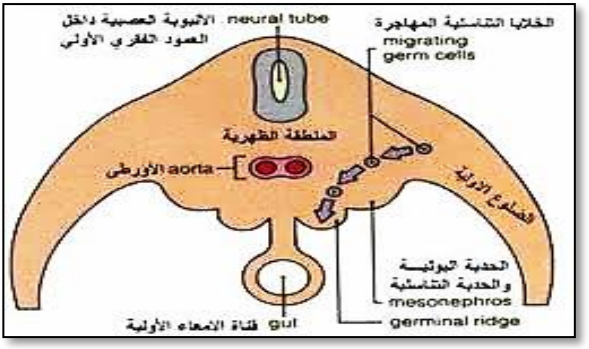

شكل (8): يبين هجرة الخلايا التناسلية الأولية إلى الحدبة التناسلية بين العمود الفقرى (الصلب) والضلوع (الترائب)

1) الدكتور محمد دودح؛ باحث بالهيئة العالمية للإعجاز العلمى في القرآن والسنة؛ منقول من موقع الإسلام سؤال وجواب http://www.islamqa.com/

2) http://islamtoday.net/questions/show...t.cfm?id=10335

شكل (9): يبين هجرة الخصيتين فى الحالة الطبيعية (يمين) والمرضية حين تفشل الخصية في الوصول إلى كيس الصفن وتبقى معلقتين فى البطن (يسار).

ويقول الدكتور محمد علي البار: إن تغذية الخصية والمبيض بالدماء والأعصاب والسائل اللمفاوى ، يأتى من بين الصلب والترائب، فشريان الخصية أو المبيض يأتي من الشريان الأبهر (الأورطي البطني)، كما أن وريد الخصية يصب في نفس المنطقة، ، كما أن الأعصاب المغذية للخصية أو للمبيض تأتي من المجموعة العصبية الموجودة تحت المعدة من بين الصلب والترائب. وكذلك الأوعية اللمفاوية تصب في نفس المنطقة([1]). ومن هنا يتبين لنا اصطفاء وانتقاء الخلايا الجنسية الأولية من خلايا الإيبيبلاست ، وهجرتها إلى الحدبة التناسلية بين الصلب والترائب ثم هجرتها إلى المناسل(الخصيتين أو المبيضين) ليدل على عظمة الخالق عز وجل.

[1]) **كتاب: خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد على البار. الناشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع**

الفصل الخامس

اصطفاء وانتقاء المناسل

أولا: اصطفاء وانتقاء الخصيتين ونسل الحيوانات المنوية:

اصطفى الله عز وجل الخصيتين لتكوين النطاف المنوية، لما لها من خصائص فريدة ومتميزة لتكوين وحفظ المنويات، والتى تتكون داخل الأنابيب المنوية. وهذه الأنابيب المنوية هي التى استقرت فيها الخلايا الجنسية الأولية بعد منشأها من بين خلايا الإيبيبلاست، ثم هجرتها للحدبة التناسلية في المرحلة الجنينية، وهى بمثابة نقطة الانطلاق لهذه العمليّة. إذ تعتبر هذه الخلايا الجنسية الأولية الخلايا الجذعيّة لانتاج المنويات (وهى تحتوى 46 صبغيا) فى مرحلة البلوغ. وتنقسم أولا انقساما ميتوزيا ليزداد عددها حتى تعطى كل خلية خليتين (وبها نفس عدد الصبغيات 2 ن)، ثم يحدث اقساما ميوزيا لتعطى كل خلية خليتين وبداخل كل منها نصف عدد الصبغيات (ن) ويتم حفظ المنويات في البربخ (شكل 1). كما يرتبط نجاح عمليّة تكون النطاف بالخصيتين بشدّة، إذ تتطلَّب هذه العمليّة درجة حرارة أخفض من درجة حرارة الجسم، كي تكون النطاف الناتجة قادرة على الحياة،

وتحديداً أخفض من درجة حرارة الجسم 2 – 4 درجات مئويّة([1]). بالاضافة إلى وجود خلايا ليدج لافراز التستيستيرون ، وخلايا سيرتولى إلتى تفرز الاستراديول والذي ينظم عمل التستيسترون وإنتاج المنويات. كما تقوم بتغذية النطاف ونقلها إلى تجويف الأنابيب المنوية شكل (1).

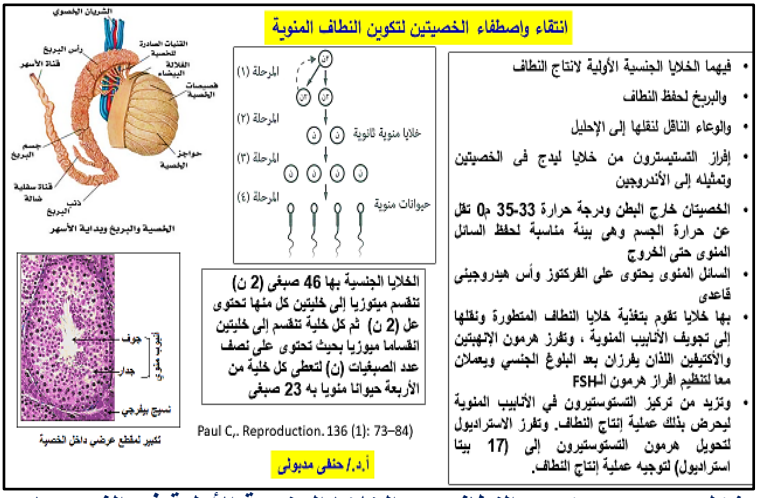

شكل (1): يبين تكوين النطاف من الخلايا الجنسية الأولية في الفصيصات المنوية من الإنقسام الميتوزى (2ن وبكل خلية 46 صبغى) لتعطى خليتين ثم من الانقسام الميوزى (ن) وبها نصف عدد الصبغيات لتعطى كل خلية خليتين منويتين واحتواء المنويات على 23 صبغى وحفظها في البربخ لحين قذفها.

[1])Christina Wang, M.D.*Veronica McDonald, R.N., M.N.Andrew Leung, H.T.C.Laura Superlano, M.D. Nancy Berman, Laura Hull, B.S.Ronald, S. Swerdloff, (1997) .Effect of increased scrotal temperature on sperm production in normal men". Fertil. Steril. 68 (2): 334–9. 1997. doi:10.1016/s0015-0282(97)81525-7. PMID 9240266

ثانيا: اصطفاء وانتقاء المبيضين ونسل البويضات

تولد المرأة حاملة جميع البويضات التي سوف تمتلكها طيلة حياتها، وبالتالي فهي لا تنتج أي بويضات جديدة خلال فترة حياتها؛ وإن أكبر عدد من البويضات تمتلكه الأنثى وهى جنين إذ يكون فى مبيضها فى الأسبوع 20 نحو 7 –10 ملايين بويضة. وينخفض إلى حوالي مليونين عند الولادة، وفي وفى سن البلوغ سيتبقى ما بين 300000 – 500000 بويضة. وتكون أفضل حالات الخصوبة خلال 20 –30 سنة من عمر الأنثى، وبعد ذلك ينخفض مستوى الخصوبة حتى سن اليأس، وهو 50 سنة. وبعد الوصول إلى سن اليأس، لا يمكن الحمل بشكل طبيعي كما في الشكل (2).

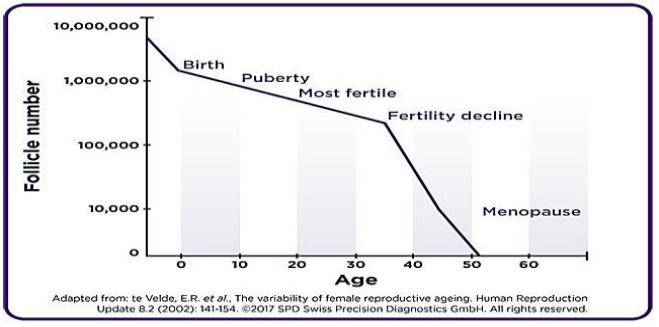

شكل (2): يبين عدد الحويصلات التي تكون البويضات في جسم المرأة، وهي جنين 10000000، وعند ولادتها (birth) 1000000 ثم تندثر عند مرحلة سن اليأس 50 سنة، فلا يحدث تبويض ولا حمل.

إن الانخفاض في عدد بويضات الأنثى يستمر بشكل أسرع وبدءًا من الوقت الذي يبدأ فيه حدوث الدورة الشهرية، حيث تتجه 1000 بويضة تقريبًا للموت كل شهر. وعلى مدار العُمر، يطلق المبيضان حوالي من 400 – 500 بويضة في حالة ناضجة، أى قابلة للتخصيب. وعندما ينفد مخزون البويضات، يتوقف المبيضان ثم تنتقل المرأة إلى مرحلة انقطاع الطمث، ويتعذر عليها أن تصبح حاملاً بصورة طبيعية. وقبل البلوغ يكون سطح المبيض أملسا ناعما. وعند البلوغ فالمبيضان بمثابة غدتان تناسليتان لإنتاج البويضات والهرومونات الجنسية الأنثوية، مثل هرمون الإستروجين والذي يفرز من حويصلة جراف في المبيض، أثناء تكوين واخراج البويضة. بينما هرمون البروجسترون يفرز من الجسم الأصفر، بعد خروج البويضة(شكل 3) لكى تتعلق العلقة بعد تكوينها فى جدار الرحم ، ثم يفرز هذا الهرمون بعد ذلك من المشيمة الأمية لتثبيت الحمل. وهرمون الأستروجين – عند سن البلوغ – هو المسؤول عن ظهور الصفات الجنسية الأنثوية الثانوية مثل نضج غدد الثدي وتعبأته بالدهون. ويتبادلان المبيضان إخراج البويضات مع الدورة شهرية، وبعد سن اليأس ينكمش حجم المبيض ويضمر. وبعد خروج البويضة من المبيض تذهب إلى الرحم عبر قناة فالوب. وإذا لم يتم إخصابها بواسطة حيوان منوي فإنها تخرج من الرحم، بمحاذاة بطانة الرحم،

كجزء من الدورة الشهرية. ولم يعرف حتى الآن لماذا يندثر هذا العدد الهائل من البويضات كل شهر، إلا أن العلماء اعتبروه مخزونا احتياطيا للبويضات ، ولعل العلماء مستقبلا يظهروا لنا سرا آخر من أسرار الخلق.

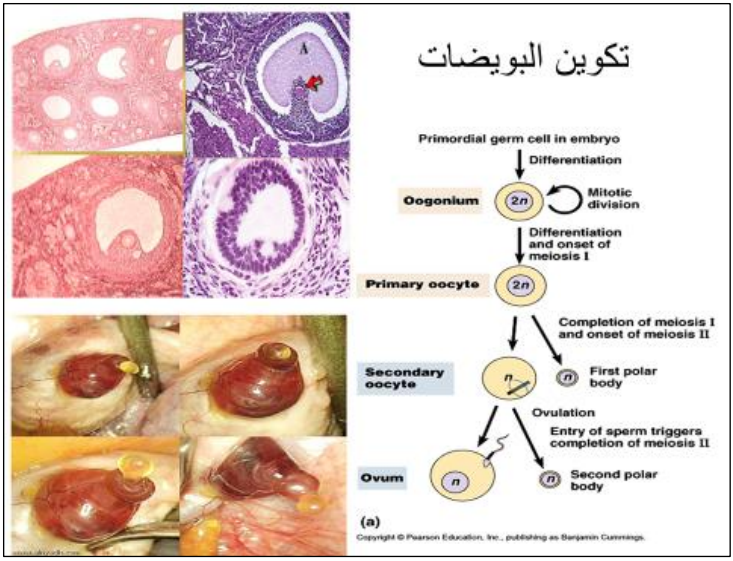

شكل (3) يبين الانقسام الميتوزى للخلايا الجنسية الأولية وبها 46 صبغى (2n) ثم انقسام ميوزى (n) ليعطى خلية البويضة وبها 23 صبغى (يمين) ، وتكوين البويضة فى المبيض وخروجها منه وكأنها مصباح منير (يسار)

الفصل السادس

اصطفاء وانتقاء الجنسين

يتعجب العلماء من مسألة تحديد جنس الجنين ، وبذلوا فى ذلك محاولات علمية لكيفية تحديده إلا أنها جميعها لم تأت بالنتائج المرغوبة. ويبقى قوله تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50) سورة الشورى، شاهدا على قيوميته على خلقه([1]). وتتحدد الذكورة عن الأنوثة من الجين فى منطقة تحديد الجنس التى على كروموسوم Y (Sex Region of Y Chromosome (SRY) ، على طرف الذراع القصير للفتيلة الجنسية المميزة للذكر (Y) ومهمته تحويل الغدة التناسلية في كل جانب إلى خصية تنتج هورمون الذكورة Testosterone وهورمون مثبط لقناة مولر Anti-Mullerian Hormone ومهمة هورمون الذكورة تشكيل الأعضاء التناسلية الذكرية الداخلية بالإضافة إلى منع تطور الأثداء فتبقى ضامرة في الذكور [2]

---

[1]) انظر بحثنا عن "تحديد جنس الجنين". أ.د./ حنفى مدبولى على موقع طريق الإسلام

2) Fechner PY. The role of SRY in mammalian sex determination. Acta Paediatr Jpn. 1996;38(4):380-

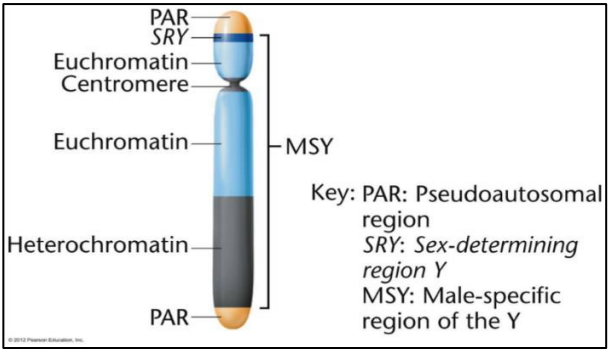

شكل (1): يبين الكروموسوم (Y) في الذكر، ومنطقة تحديد الجنس (SRY)، والمنطقة الخاصة بالذكر(MSY).

ونتيجة لنشاط إنزيم خاص ينشأ هورمون أكثر فعالية، اسمه داي هيدرو تستوستيرون Dihydrotestosterone (DHT) من هورمون الذكورة. مهمته تشكيل الأعضاء التناسلية الخارجية في الذكور. وفي الثدييات إذا لم تنشأ الخصية، يحدث العكس وتتكون الأعضاء التناسلية الأنثوية تلقائيا Default Pathway، وتضمر قناة وولف، وينتج المبيض هورمون الأنوثة Estrogen. ومهمته تكميل تطور قناة مولر والخصائص الأنثوية الثانوية كنضوج الثدي عند البلوغ.

ولكن لا تتميز الأعضاء الجنسية الداخلية إلا في الأسبوع السابع ، ولا تتميز الأعضاء الجنسية الخارجية إلا في التاسع بوضوح. وفي البداية تتماثل أجنة الجنسين وتوجد أعضاء أولية لتكوين أيٍّ من

الأعضاء الجنسية الداخلية للنوعين بهيئة قناتين في كل جانب من تجويف البطن في مقدمة كتلة الظهر. قناة وولف Wolffian duct تتكون منها الأعضاء الجنسية الداخلية في الذكور، وتشمل الحويصلات المنوية Seminal Vesicles، والبربخ Epididymis، والوعاء الناقل Vas Deference. بينما قناة مولر Mullerian Duct تتكون منها الأعضاء الجنسية الداخلية في الإناث وتشمل الرحم وقناتيه وعنقة والمنطقة أعلى المهبل، ويكون الجنين واحد الهيئة في الجنسين، كحالة تشمل كل نفس. ولذا تسمى فترة النفس الواحدة تلك من حياة الجنين بمرحلة عدم الاختلاف Indifferent stage. ورغم أن القرار لإنتاج الحيوانات المنوية أو البويضات يعود إلى الخلايا الجنسية الأولية التي هاجرت إلى الحدبة التناسلية، والتي تكون الخصيتين أو المبيضين على حسب تحديد جنس الجنين، إلا أنه عند تكوين الخصيتين تتحفز خلايا سيرتولى لتحديد نوع الجنس (ذكر). أما في الأنثى فتتحفز خلايا الحويصلات التي تكون حول البويضة لتحديد نوع الجنس أنثى.[1]

1) Kocer A, Reichmann J, Best D, Adams IR. Germ cell sex determination in mammals. Mol Hum Reprod. 2009;15:205-13)

الفصل السابع

اصطفاء وانتقاء شريك الحياة (الزوج أو الزوجة)

عملية اختيار الزوج الشريك في بقاء النسل، عملية ليست بالسهلة ولا الهينة، بل ربما تكون مبنية على أسس علمية لم تحدد بعد. لكن لها إشارات وعلامات بدءً من الميكروبات، مرورا بكل أنواع المخلوقات الأخرى، ووصولا للإنسان([1]). وفي الحيوانات الثدية والطيور والزواحف والبرمائيات، تصدر الأنثى أثناء دورة الشبق (وهى الدورة التي يعقبها التبويض) مجموعة اشارات للتواصل بينها وبين الذكور من جنسها قبل التزاوج، ومن هذا التواصل، إشارات جنسية وبصرية وصوتية. كما تفرز أنثى الحيوان سائل من فتحة المهبل، له رائحة جذابة للذكور، ومع كثرة الذكور حولها إلا أنها تنتقي الذكر الأقوى والأصلح للتزاوج من بنى جنسها وليس من غير جنسها، بعد قتال عنيف بين الذكور الراغبة في هذه العملية. كما يمكن الجذب الكيميائي في اللافقاريات البحرية، حيث تنتقي بشكل تفضيلي الحيوانات المنوية من ذكور محددة رغم أن هذه الحيوانات المنوية تكون معلقة فى المياه التى تعيش فيها هذه الكائنات . ويفترض أنها

[1])Rosenthal GG. 2017Mate choice: the evolution of sexual decision making from microbes to humans. Princeton, NJ: Princeton University Press. Google Scholar

أكثر توافقا عن طريق تغييرات فسيولوجية للذكور، أو تغيرات في سلوك السباحة المنوية عن بعد. وبالتالي زيادة معدلات الانتقاء والإخصاب. وقابلية الجنين للبقاء على قيد الحياة وبقاء النسل ([1]) سبحانك ربى من هداهم إلى ذلك إلا أنت لقوله تعالى (قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (50) سورة طه . وهذه مسألة فى غاية الدقة العلمية والروعة البيانية لقوله عز وجل (رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ) فهلا تأملتم فى البرارى أن حيوانا سبعيا مثل الأسد أو النمر تزاوج مع حيوان مجتر فى حجمه مثل الغزلان أو الأيائل، وهل تم تسجيل تلقيح بويضات أى نوع من الأسماك فى البحار أو المحيطات أو الأنهار بحيوانات منوية تسبح فى المياه لنوع غير بنى جنسها لم يسجل هذا على مدار التاريخ ليبقى قول ربنا عز وجل شاهدا على الخلق المستقل. ويندثر ادعاء داروين للتطور والخلق الغير مستقل. أيها الدارونيون التطويريون هل وجدتم فى الزواحف أو فى الطيور تزاوج طبيعى بين أصناف مختلفة فى النوع كتزاوج السلاحف مع الضب أو الثعابين مع السحالى أين عقولكم؟ هل وجدتم فى الطبيعة تزاوج بين الغراب والهدهد أو بين البط والنسر

[1])Kekäläinen J, Evans JP. 2018Gamete-mediated mate choice: towards a more inclusive view of sexual selection. Proc. R. Soc. B 285, 20180836. (doi:10.1098/rspb.2018.0836) Link, ISI, Google Scholar

أين العقول النيرة المنصفة من أكابر علماء العالم التى تدحض هذا العبث التطويرى والخلق الغير مستقل. لقد بين الله عز وجل فى قرآنه العظيم أنه خلق كل دابة من ماء ومع كثرة أنواعها إلا أنها فى خلق مستقل (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(45) سورة النور، وهذه الآية العظيمة هى تصنيف بيولوجى للكائنات الحية التى تدب على وجه الأرض ، وقال تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا (2) سورة الفرقان ، وبالجملة يقول الفخر الرازى فى تفسيره لهذه الآية: فَقَوْلُهُ: ﴿وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ مَعْناهُ: وقَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا. المَعْنى أنه أحْدَثَ كُلَّ شَيْءٍ إحْداثًا يُراعِي فِيهِ التَّقْدِيرَ والتَّسْوِيَةَ، فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا وهَيَّأهُ لِما يَصْلُحُ لَهُ، مِثالُهُ أنَّهُ خَلَقَ الإنْسانَ عَلى هَذا الشَّكْلِ المُقَدَّرِ المُسْتَوِي الَّذِي تَراهُ، فَقَدَّرَهُ لِلتَّكالِيفِ والمَصالِحِ المَنُوطَةِ بِهِ في بابِ الدِّينِ والدُّنْيا، وكَذَلِكَ كُلُّ حَيَوانٍ وجَمادٍ جاءَ بِهِ عَلى الجِبِلَّةِ المُسْتَوِيَةِ المُقَدَّرَةِ بِأمْثِلَةِ الحِكْمَةِ والتَّدْبِيرِ فَقَدَّرَهُ لِأمْرٍ ما، ومَصْلَحَةٍ ما، مُطابِقًا لِمّا قَدَّرَ غَيْرَ مُتَخَلِّفٍ عَنْهُ. ولكن الجدال بغير علم يورث الضلال وتنفخ فى أثره شياطين الأنس يقول تعالى: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ(3) وقوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (8) من

سورة الحج ، وهكذا تمضى بنا الآيات منيرة الطريق للحيارى والتائهين فى ظلمات المضلين والمشككين ، ومع كثرة كذبهم وبهتانهم فإنهم ليس لهم قدم راسخة وافتضح أمرهم فى أكثر من تزيف للحقائق العلمية([1]) وصدق الله العظيم :(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18) الأنبياء.

بينما في الإنسان يتم انتقاء الزوج الشريك بناء على زواجا شرعيا، وبمعايير محددة مبسوطة في كتب الفقه والأصول ([2] ، [3]). ولهذا لا نعجب أن نجد انتقاء غاية في الدقة، لذرية الأنبياء والمرسلين، بينها ربنا في سورة الأنعام: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (87).

---

[1]) انظر كتابنا : الخلق المستقل وأكذوبة الداروينية أ.د./ حنفى مدبولى تحت الطبع

[2]) إعلام الموقعين، لابن القيم، ج 4 ص 260، 261 . (

[3]) (الكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة لإبن عبدالبر، تحقيق محمود القيسية، مؤسسة النداء بأبو ظبي(الطبعة الأولى 1424هـ/2004م.

ونجد من جهة أخرى، انقطاع النسل من أبناء الأنبياء أو أزواجهم، الذين كفروا برسالات الله كإمرأة نوح، وامرأة لوط ، قال تعالى فى سورة التحريم: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10). فأما إمراة نوح عليه السلام، فإنها كافرة، وماتت غرقا في الطوفان مع ابنها كنعان. لأنه هو الآخر كان كافرًا. ولأنهما رفضا ركوب السفينة، وقوله: (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآَخَرِينَ (72) سورة الصافات، يعني: الكافرين. وكلمة (الأخِرِين) إهمالٌ لهم، واحتقارٌ لشأنهم. وكزوجة لوط كانت خيانتها في الدين، ولم تكن في الفاحشة، حيث كانت تدل قومها على أضياف لوط عليه السلام. قال تعالى في سورة العنكبوت: (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) ، وهذا يدل على أن نسل الأنبياء كان عن طريق الاصطفاء والانتقاء للأتقياء للنسل والسلالة.

الفصل الثامن

اصطفاء وانتقاء الحيوان المنوي والبويضة

سبحان رب العزة والملك والملكوت، من حوالي 300 مليون حيوان منوي في القذفة الواحدة (حوالى 3 سم^3، فى كل سم^3 100 مليون حيوان منوي). يتم انتقاء أقواهم وأفضلهم لتخصيب البويضة. لقد اختاره الله بقدر. قال تعالى في سورة القيامة: (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يمنى (37) أي من منى يقدر بقدر الله تعالى. أما عن البويضة، فمن آلاف البويضات الجاهزة للتخصيب في المبيض، يتم انتقاء واصطفاء بويضة، فتخرج متسللة من المبيض، حتى تقع في قمع قناة فالوب، وهي نطفة مقدرة بقدر الله تعالى. قال تعالى في سورة النجم: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (45) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) . وتسير البويضة في قناة فالوب، حتى تستقر في الثلث الأخير للقناة، في انتظار الحيوان المنوي الذي يسير إليها في عكس الجاذبية الأرضية، وفي ظلام دامس. وسبحان الله لا يخطىء مكانها، بالرغم من أنه يوجد مبيضين وقناتين من قناة فالوب، أحداهما في يمين الرحم، والثانية على يساره. وبويضة واحدة في أحدهما في الأغلب الأعم. ولكن من الذي أمر الحيوان المنوي أن يسير لهذه البويضة، ولا يخطئها؟ واللهِ إنها لرحلة عجيبة! بل أستطيع أن أقول، إنها أعظم

رحلة في الكون، لأن الرحلة بنتائجها، ومنتج هذه الرحلة، هو الإنسان الذي يعمر هذا الكون. فيغزو الفضاء، أو يغوص في أعماق البحار والمحيطات، ويدشن السفن، وباني العمران، ومهندس الصناعة والزراعة، وهو الخليفة الذي يخلف بعضه بعضا إلى يوم الدين. وتأمل معي قوله تعالى في سورة المرسلات: (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (21) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (22). تأمل معنى (فجعلناه) أى صيرناه والضمير عائد على الماء المهين أو النطاف بدلالة قوله تعالى فى سورة المؤمنون: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13). والقرار المكين، هو المبيض لنطاف الأنثى، والخصية لنطاف الذكر، إلى (قدر معلوم) لا يعلمه إلا الله، لأنها أي الخلايا الجنسية الأولية المتميزة – التى تكون النطاف فيما بعد – مع الجنين منذ الأسبوع الثالث، وحتى الوفاة أو العجز في النساء ، أو الشيخوخة والهرم في الرجال، (فقدرنا) أي انتقينا، واصطفينا من قدرنا أن يكون الولد منهما، أي من هذا الماء المهين، الذي إما في المبيض أو الخصية. كما وجد العلماء حديثا إشارات كيميائية لانتقاء الحيوانات المنوية في أي نوع من الحيوانات التي يحدث فيها التخصيب داخليا. بحيث يمكن للإناث ممارسة اختيار خفي، ربما تجاه ذكور محددين من خلال التفاعلات الكيميائية، بين الحيوانات المنوية والجهاز التناسلي

الأنثوي. مما يؤثر على عدد الحيوانات المنوية التي تحتفظ بها الأنثى، أو أداء السباحة للحيوانات المنوية تجاه البويضة ([1]). وبالتالى يؤدي إلى الإخصاب المتحيز، أو عدمه تجاه ذكور محددين ([2]). ومع ذلك، فإن فهم العلماء لإمكانية اختيار حيوان منوي بعينه، لا يزال محدودا في الأنواع المخصبة داخليا، وغير مستكشف تماما في البشر. وأن هذا التجاذب الكيميائى chemoattraction للحيوانات المنوية، وهو شكل من أشكال الاتصال الكيميائي عن بعد بين البيض والحيوانات المنوية التي تحدث قبل اندماج الأمشاج gamete. وفي الحيوانات البحرية اللافقارية يتم الحفاظ على حواجز الأنواع، عن طريق تجنيد الحيوانات المنوية بشكل تفضيلي، والسماح للحيوانات المنوية والبيض، لممارسة اختيار رفيقة الأمشاج، لبقاء النوع في مثل هذه البيئة المائية، والتي تسبح فيها الحيوانات المنوية ، وتتعلق فيها البويضات لأنواع شتى من الكائنات البحرية([3])

[1])Firman RC, Gasparini C, Manier MK, Pizzari T. (2017). Postmating female control: 20 years of cryptic female choice. Trends Ecol. Evol. 32, 368-382. (doi:10.1016/j.tree.2017.02.010) Crossref, PubMed, ISI,

[2])Kekäläinen J, Evans JP. (2018) Gamete-mediated mate choice: towards a more inclusive view of sexual selection. Proc. R. Soc. B 285, 20180836. (doi:10.1098/rspb.2018.0836) Link, ISI,

[3])Evans JP, Garzia-Gonzalez F, Almbro M, Robinson O, Fitzpatrick JL. (2012)Assessing the potential for egg chemoattractants to mediate sexual selection in a broadcast spawning marine invertebrate. Proc. R. Soc. B 279, 2855-2861. (doi:10.1098/rspb.2012.0181) Link, ISI,

فلا يخطىء نوع جنسه أو يتم التلقيح بين أنواع مختلفة فى هذه البيئة المائية فلا يتم تخصيب بويضات الدلافين بحيوانات منوية للقروش أو الحيان والعكس صحيح .

وفي بحث حديث على نطاف البشر من خلال تجارب تخصيب معملي تشير النتائج التي توصل إليها العلماء، أن الجذب الكيميائى chemoattraction يلعب دورا فقط في زيادة التفاعلات بين الحيوانات المنوية والبويضة، وأن الاتصالات الكيميائية بين البيض والحيوانات المنوية قد يكون لها أيضا دورا مختارا في تحديد الشريك، وربما فى تفسير العقم الغير مبرر، بالرغم من توافر عوامل الخصوبة في كلا الشريكين([1]). ولربما حدث انفصال بين الشريكين بسبب عدم الانجاب ثم تزوج كلا منهما بشريك آخر حدث الانجاب وهذا مشهود فى دنيا الناس. وهذا يدل على الانتقاء والاصطفاء لكلا الشريكين ، ولربما يظهر العلم لاحقا حيثيات هذا الانتقاء والاصطفاء لتكوين أجيالا لها القدرة على البقاء وتحقيق معنى الخلافة فى الأرض.

[1])Fitzpatrick JL, Willis C, Devigili A, Young A, Carroll M, Hunter HR, Brison DR. (2020) Chemical signals from eggs facilitate cryptic female choice in humans. Dryad Digital Repository. (doi:10.5061/dryad.wdbrv15kb)

الفصل التاسع

التسلسل الجينى والشفرات الوراثية

الخلية هى وحدة بناء أى كائن حى وتحتوى نواتها على الكروموسومات أو الصبغيات وكل كروموسوم يحمل الحامض النووي (دنا = DNA) الذي يحمل الشفرات الوراثية (شكل 1) لكل صفات الكائنات الحية ومنها الإنسان([1]) .

شكل (1) يبين الصبغيات وعليها الحمض النووى الذى عليه الجينات بتتابعها النيوكليتيدى والجينى

وهذه الصفات منها المرئية وغير المرئية (كاللون والطول والعقل وتراكيب ووظائف الخلايا والأنسجة والأعضاء والأجهزة بجسم الإنسان أو أى كائن حى), ويختلف عدد الكروموسومات من كائن

[1]) Alberts B, Johnson A, Lewis J, Raff M, Roberts K, Wlater P (2002). Molecular Biology of the Cell (4th ed.). New York NY: Garland Science. ISBN 978-0-8153-3218-3.

حـى إلـى آخـر داخـل نـواة الخليـة التـى لا يزيـد حجمهـا عـن 3– 5 ميكـرون (والميكـرون يسـاوى واحـد علـى المليـار مـن المتـر) وكـذلك يختلف عدد الجينات الوراثية بها حيث يبلغ العدد التقديري للجينات فـي الفئـران 60.000 جـين وفـى الإنسـان 100.000 – 130000 أما في الديدان المستديرة فيبلغ العدد 19.000 وفي الخميرة yeast يبلـغ عدد الجينـات 6.000 تقريباً، بينما يبلـغ عدد جينـات الجرثومـة المسببة للتدرن 4.000 جين([1,2,3]). وفـى خلايا الإنسان يوجد 46 كروموسـوم (مرتبـة علـى هيئـة 23 زوج شـكل 2 يمـين) إلا الخلايـا الجنسية التـى تنـتج الحيوانـات المنويـة والبويضـات فإنها تحتوى علـى 23 فرد (شكل 2 يسار) ولكن باندماج نواة الحيوان المنوى مـع نـواة البويضـة تتكون البويضـة الملقحـة والتـى تسمى باللاقحـة أو الزايجوت والتى تحتوى على 46 من الكروموسومات ([4]، [5]).

---

[1]) White, M.J.D. (1973). The chromosomes (6th ed.). London: Chapman & Hall. p. 28.

[2]) Stebbins, G.L. (1950). "Chapter XII: The Karyotype". Variation and evolution in plants. Columbia University Press.

[3]) King, R.C.; Stansfield, W.D.; Mulligan, P.K. (2006). A dictionary of genetics (7th ed.). Oxford University Press.

[4]) "Human Genome Project". National Center for Biotechnology Information. Retrieved 2009-04-29.

[5]) The human genome.Science 16 febriury 2001 vol.291 no. 5507 pages: 1145-1434

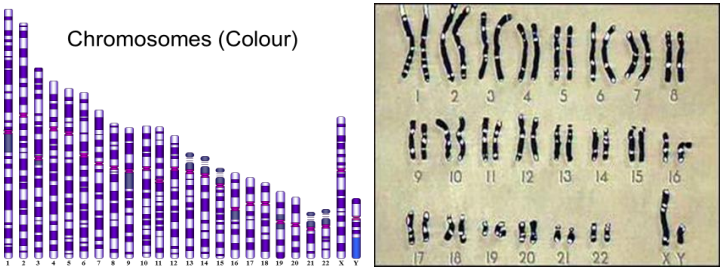

شكل(2) عدد الكروموسومات فى خلايا جسم الإنسان(يمين 23 زوج) ، ويسار (23 فرد) وفى المرأة تحمل الكرموسوم (X) بنسبة 100% بينما فى الرجل فى الحيوانات المنوية التى تحمل الكروموسوم الجنسى منها 50% يحمل صفة الذكورة (Y) ، 50% يحمل صفة الأنوثة (X)

والحامض النووي يتكون من سلسلتين حلزونيتين ملتفتين حول بعضهما وهو بدوره يحمل الجينات المسؤولة عن الصفات الوراثية الخاصة بكل إنسان أو أى كائن حى دق أو عظم فى تكوينه.

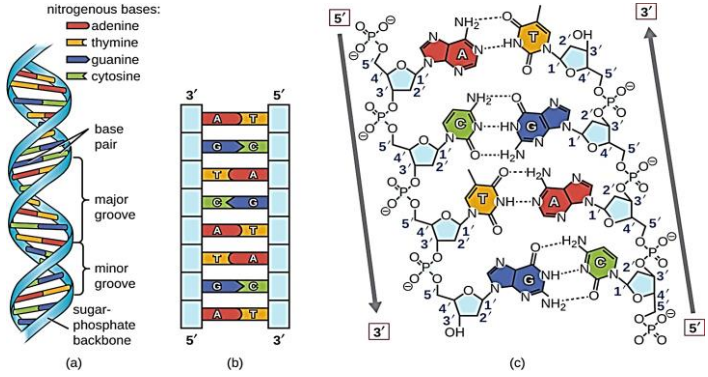

شكل (3) سلسلتى الحمض النووى ال د.ن.أ ، والسكر الريبوزى والفوسفات والقواعد النيتروجينة عليه

وكل جين له صفة وراثية يتركب من تتابع معين من النيوكليتيدات(Nucleotides) ، وتتركب كل نيوكليتيدة من ثلاثة أجزاء: سكر خماسى وهو دى أوكسى ريبوز ، وقاعدة نيتروجينية ومجموعة من الفوسفوريك.

والقواعد النيتروجينية في أي حمض نووي لأي كائن حي على الأرض، تنحصر في أربعة أنواع، وهي Adenine أدينين، ويرمز لها بالرمز (ايه: A)، وجوانين Guanine (جي: G)، وثايمين Thymine(تي:T)، وسيتوزين Cytosine (سي: C). بحيث أن القواعد الموجودة على أحد الحلزونين، تكون مكمله للقواعد الموجودة على الحلزون الأخر، كما لو كان أحد الحلزونين يمثل صورة الحلزون الأخر في المرآة ([1])، بحيث تكون القاعدة (ايه) مكملة للقاعدة (تى)، والقاعدة (جي) مكمله للقاعدة (سي). وترتبط هذه القواعد على السلسلة الحلزونية، بروابط هيدروجينية ثنائية كما في (A..t)، أو بثلاثة روابط هيدروجينية، كما في (C...G)، كما في الشكل (4 ، 5).

[1]) Krieger M, Scott MP, Matsudaira PT, Lodish HF, Darnell JE, Lawrence Z, Kaiser C, Berk A (2004). "Section 4.1: Structure of Nucleic Acids". Molecular cell biology. New York: W.H. Freeman and CO. ISBN 978-0-7167-4366-8.

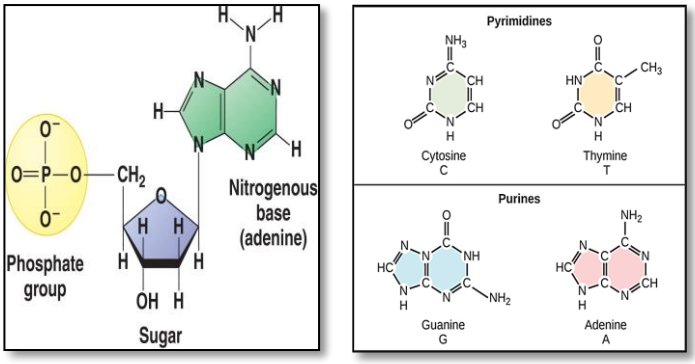

شكل(4) يبين تركيب النيوكليتيدة من سكر وقاعدة نيتروجينية ومجموعة فوسفات ، والقواعد النيتروجينية من الكربون والهيدروجين والأوكسيجين والنيتروجين ومجموعة الفوسفات من أوكسيجين وفوسفور

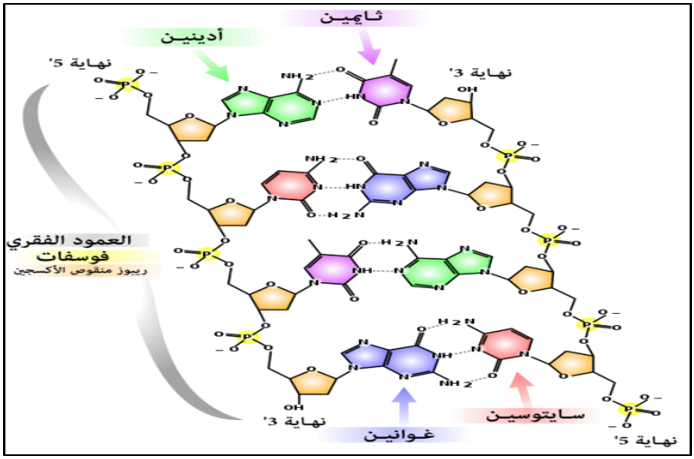

شكل (5) سلسلتي الحمض النووي ال د.ن.أ والسكر الريبوزي والفوسفات والقواعد النيتروجينة. عليه تركيب النيوكليتيدة من سكر، وقاعدة نيتروجينية، ومجموعة فوسفات، والقواعد النيتروجينية. تتكون من الكربون والهيدروجين والأوكسيجين والنيتروجين، ومجموعة الفوسفات من أوكسيجين وفوسفور.

وهنا نجد كل المكونات الكيميائية للحمض النووى الحامل الصفات الوراثية لجسم الإنسان المعاصر([1]) هى من نفس المكونات الرئيسية للأرض (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (8) سورة السجدة.

وتأمل هذا الربط البديع بين (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مّن طِينٍ(12) فى سورة المؤمنون ، وبين (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (7) من سورة السجدة ليدلك المولى عز وجل على أن خلق آدم عليه السلام بدأ من سلالة من طين الأرض والتى مرت بسلسلة من المراحل ليستل منها أفضل عناصرها ، ثم تأمل هذا الربط البديع من قوله تعالى عن نسله (ثُمّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مّكِينٍ(13) أى جعلنا من جنسه وهم ذريته فى نطفة وهى التى تحتوى على الحمض النووى الذى يحمل صفات آدم عليه السلام ، وبين قوله تعالى:(ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (8) من سورة السجدة ، وكذلك التفرقة بين كلمتى (خلق) للإنسان الأول ثم (جعل) للذرية والنسل (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مّن طِينٍ(12) ثُمّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مّكِينٍ(13) أى صيرنا من جنسه ذريته من بعده فى نطفة فى قرار مكين ليدلك على التفرقة الكبيرة بين الخلق

[1]) International Human Genome Sequencing Consortium (2004).. Nature. 431 (7011): 931–45

من العدم على غير مثال سابق ولا احتذاء ، وبين الجعل والذى هو الصيرورة من مخلوق أى صيرنا من آدم نسله فى نطفة فى قرار مكين لكى يستمر بيان الله للملائكة (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)

وبما أن الذرية والتى هى نسل آدم عليه السلام تحمل نفس مكونات الطين فهذا يدل دلالة يقينية على أن آدم عليه السلام مخلوق من الطين كما بين ربنا عز وجل فى هاتين الآيتين من سورة المؤمنون والسجدة. ولا تعجب هنا أن فى هذه السورة آية سجدة للخالق رب العالمين الذى بين هذه المسألة فى غاية الدقة ، وروعة البيان اللغوى ، والإعجاز العلمى الذى تقف أمامه النفس البشرية متأملة لعظمة الخالق جل فى علاه.

وهذه المكونات للحمض النووى للإنسان المعاصر الذى يحمل صفات الجنس البشرى منها الهيدروجين ، والأوكسيجين والكربون ، والنيتروجين والفوسفور وهى من مكونات الطين لشاهدة شهادة حق ويقين بالعلم المكتشف فى القرن العشرين([1]) على أن آدم عليه السلام مخلوق من الطين وسبحان الخالق العظيم رب العزة والجبروت والملك

[1]) Anthony-Cahill SJ, Mathews CK, van Holde KE, Appling DR (2012). Biochemistry (4th Edition). Englewood Cliffs, N.J: Prentice Hall. ISBN 978-0-13-800464-4.

والملكوت فتأمل يرحمك الله من هذا لتتيقن خلقك من طين كما خلق الله أباك آدم عليه السلام أيضا من الطين.

وكل عناصر هذه المكونات هى من أفضل عناصر الأرض والتى استلها رب العزة سبحانه وتعالى منها (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مّن طِينٍ(12) سورة المؤمنون ، وجعلها فى نسله إلى أن تقوم الساعة (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (8) من سورة السجدة ، والماء المهين هو النطاف باجماع المفسرين وهى التى تحمل الصفات الوراثية للجنس البشرى ، والدليل على ذلك قوله عز وجل فى الآية التى بعدها من سورة السجدة (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (9)، وكما قال تعالى فى سورة الملك (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (23) وهذه حواس على الحمض النووى الذى يحمل الجينات والشفرات الوراثية لهذا الإنسان الذى استخلفه الله عز وجل ليعمر الأرض وليفرده وحده بالعبادة.

تركيب مكونات جسم الإنسان

وإذا نظرنا إلى جسم الإنسان من الناحية النسيجية والتشريحية نجد أنه يتكون من الخلايا التي تكون الأنسجة، والتي بدورها تكون الأعضاء والأجهزة. وتتركب الخلايا والأنسجة والأعضاء والأجهزة من الناحية

البيوكيميائيــة مــن المركبــات العضــوية كالبروتينــات والكربوهيــدرات والدهنيات والإنزيمات والهرمونات والأحماض النووية، كما في الشكل (6). وهذه المركبات العضوية والبيولوجية تتكون من عناصر رئيسية وهي الكربون والهيدروجين والأوكسيجن والفوسفور والنيتروجين ([1] ، [2])، كما في الشكل (6 ، 7)

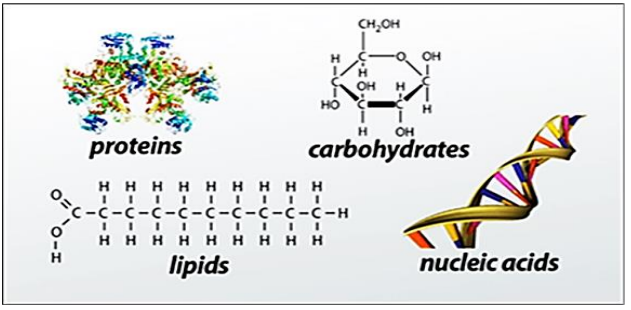

شـكل (6): يبـين التركيـب البيوكيميـائي للمركبـات العضـوية كالكربوهيـدرات والبروتينـات والـدهنيات والأحمـاض النوويـة. وهـي عبـارة عـن مجموعـة مـن السلاسـل، تشـترك يهـا العنـاصـر الرئيسـية، وهـي الكربـون، والأوكسـجين، والهيدروجين، والفوسفور، والنيتروجين ، وهي نفسها العناصر الرئيسية في مكونات الأرض.

[1])Berg, J. M., Tymoczko, J. L., and Stryer, L. (2002). Secondary structure: Polypeptide chains can fold into regular structures such as the alpha helix, the beta sheet, and turns and loops. In Biochemistry (5th ed., section 3.3). New York, NY: W. H. Freeman. Retrieved from http://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK22580/.

[2])Biochemistry, 5th ed. Full text of Berg, Tymoczko, and Stryer, courtesy of NCBI

وهكذا الأمر فى الوحدات التي تتكون منها الجزيئات البيولوجية فى الكائنات الحية فنجد تركيب اللحوم من الليفات العضلية والتى تحتوى على عدد كبير من الأحماض الأمينية عديدة الببتيدات والأنسجة الدهنية التى تتكون من خلايا دهنية والتى بدورها تتكون من أحماض دهنية والتى يتغذى عليها الإنسان . وكذلك النباتات تتكون من البلاستيدات الخضراء التى تقوم بتصنيع النشا المتكون من سكريات أحادية وثنائية ومركبة ، كما بها أيضا أنسجة بروتينية ودهنية والتى يتغذى عليها الإنسان (شكل 2)

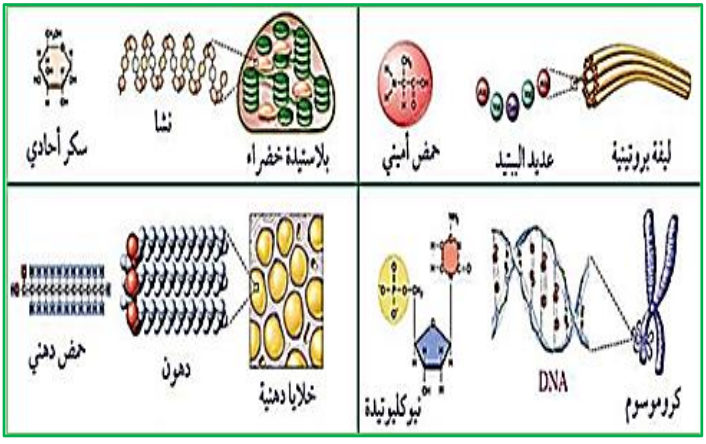

شكل (7) يبين الوحدات التي تتكون منها المركبات البيولوجية فى الكائنات الحية

ولنتأمل هنا أن جميع المكونات الغذائية التى فى النبات أو الحيوان والتى تتغذى عليها الكائنات الحية ومنها الإنسان لها نفس التكوين الأساسى للبروتينات والكروهيدرات والدهنيات والإنزيمات والهرمونات ، مما يدل على أن الخالق واحد ، والمقدر الذى قدر أساس تركيب هذه المكونات البيولوجية واحد ، وأن اصطفاء هذه العناصر من جملة عناصر الأرض لوجدنا بالفعل انتقاء أفضل عناصر الأرض (27) عنصرا من 118 عنصر ليدلك على معنى قوله (مِن سُلاَلَةٍ مّن طِينٍ) ليدلك على المعنى الدقيق لكلمة (سلالة) وأن هذا التركيب فى كل الذرية من الجنس البشرى ليدلك أن الله بالفعل خلق آدم عليه السلام (مِن سُلاَلَةٍ مّن طِينٍ). وأن العناصر الأساسية فى تركيب الحمض النووى من القواعد النيتروجينية والسكر الخماسى وجزيء الفوسفور واحد فى جميع الكائنات الحية بما فيها الميكروبات مع اختلاف التتابع النيوكليتيدى والجينى لهذ الكائنات ، ليعطى اختلاف فى الصفات الوراثية مما يدلك على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وعز وجل.

ولنتأمل تركيب الحمض النووى فى الحيوان المنوى وفى البويضة وكلاهما ماء مهين أى ضعيف فحجم الحيوان المنوى 5 ميكرون وحجم البويضة 300 ميكرون مما يدل على تمكن الضعف منهما إلا

أنهما يحملان صفات الجنس البشرى بكل كيانه وهذا يدلك على أن النسل يتكون من ماء مهين (سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ). وكذلك الحال فى خلايا جسم الإنسان نجد الكروموسومات فى كل من الحيوان المنوى والبويضة 23 كروموسوما بينما فى بقية خلايا جسم الإنسان 46 كروموسوما جاءوا من النطفة الأمشاج (البويضة المخصبة بالحيوان المنوى) وانقسامها إلى خلايا لتكوين الأنسجة والأعضاء والأجهزة بجسم الإنسان لكى نفهم معنى قوله تعالى (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) سورة الإنسان.

أهم الاستنتاجات العلمية:

أولا: بالنظر إلى نشأة الخلايا التناسلية الأولية، نجد أنها تنشأ من بين خلايا الإيبيبلاست، من طبقة الميزودرم وهي التي تكون العظام، وفقرات العمود الفقري والأعصاب وباقى أجهزة الجسم. وبهذا تكون نشأة هذه الخلايا التناسلية الأولية، كما ذكر ربنا عز وجل من بين الخلايا التي تنشأ الصلب، وما يحتويه من العمود الفقري والحبل الشوكي وعظام الترائب.

ثانيا: هجرة الخلايا التناسلية الأولية من بين خلايا الإيبيبلاست، ووصولها إلى الحدبة التناسلية، والتي تكون بين نهايات الضلوع

والعمود الفقري، قال تعالى: (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) [سورة الطارق] ، وتمركزها فيها لحين هجرة الخصيتين إلى كيس الصفن في حالة كون الجنين ذكراً أو إلى المبيضين في حالة كونه أنثى.

ثالثا: تغذية كل من المبيضين أو الخصيتين في مرحلة الحمل، وفيما بعد الولادة وحتى نهاية العمر على الدم الوارد من الشريان الأورطي والذي يغذي القلب. وكذلك على العصب الحائر الذي يغذي القلب أيضا، وهما يقعان بين الصلب والترائب.

رابعا: يحدث انتقاء واصطفاء للحدبة التناسلية ومكانها، وكلا من المبيض والخصية لما لهما من خصائص فريدة ومتميزة لتكوين هذه النطاف والاحتفاظ بها. وتمركز الخلايا الجنسية الأولية فيهما لحين مرحلة البلوغ. فيتم حينئذ تكوين النطاف القابلة للتخصيب لدليل علمي قوي على معنى (سلالة من ماء مهين) ، (ونطفة فى قرار مكين) .

خامسا: انتقاء واصطفاء للحيوانات المنوية والبويضات من الخصيتين ومن المبيضين. وذهاب كلٌ من الحيوانات المنوية لتخصيب البويضة من خلال تجاذب بيو كيميائي في الجهاز التناسلي الداخلي وبالأخص في قناة فالوب، والتي تقع في نهايات الأضلع وبين

الصلب، لتكوين جنين جديد في هذا المكان، لإعجاز علمي رائع يبين معنى قوله تعالى: (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) [سورة الطارق].

سادسا: الربط التكويني والبيوكيميائي للمكونات الرئيسية لجسم الكائن الحي، مثل الأحماض النووية والبروتينات والسكريات والدهنيات والانزيمات والهرمونات والماء، والتي يدخل في تركيبها الكربون والأوكسيجين والهيدروجين والنيتروجين والفوسفور، وتطابقها مع العناصر الرئيسية التى يتكون منها الطين، لبرهان علمي دقيق على الربط بين قوله تعالى "سلالة من طين" و "سلالة من ماء مهين".

سابعا: من أجل بقاء النوع والحواجز بين أنواع الكائنات، يتم اختيار دقيق وبمعايير محددة لشريك الحياة، سواء في الحيوانات التي يحدث فيها اخصاب داخلي أو الكائنات البحرية التي يكون فيها الإخصاب خارجيا في الماء.

أوجه الإعجاز العلمي:

تشير الآية الكريمة: (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (8) من سورة السجدة، إلى المعنى العلمي الدقيق، لنسل الصفات الوراثية من أدم وحواء فى نطافهما للذرية من بعدهما. ثم في المرحلة الجنينية

للنسل الأول من آدم وحواء، تتسلل هذه النطاف على هيئة خلايا جنسية أولية من بين الخلايا التى تكون العظام والعمود الفقري، وهجرتها بصورة متدفقة إلى الحدبة التناسلية، ثم نزول الحدبة التناسلية الموجودة بين العمود الفقري والأضلع (الصلب والترائب) إلى المبيضين أو الخصيتين لتكوين النطاف عند البلوغ، وكذلك اصطفاء وانتقاء الحيوان المنوي والبويضة لتكوين الجنين، وانتقاء الصفات الوراثية من كلا الأبوين على الحمض النووي للذرية. كما تشير إلى اصطفاء وانتقاء أفضل العناصر في الجسم، وهي كذلك أفضل العناصر في الأرض مثل الكربون والهيدروجين والأوكسجين والنيتروجين والفوسفور، لتكوين الماء وسلاسل المركبات العضوية في الجسم، مثل الأحماض النووية والبروتينات والكربوهيدرات والدهنيات والانزيمات والهرمونات. ونجد الربط اللصيق بين سلالة من طين وسلالة من ماء مهين من خلال تواجد هذه العناصر في الطين وفي جسم الإنسان. ويبين العلم الحديث إلى أن جميع الذكور على مدى تتابع الأجيال ينتسبون إلى رجل واحد من خلال فحص الكروموسوم الجنسي (Y) لهم. وكذلك جميع الإناث على مدى تتابع الأجيال، ينتسبون إلى إمرأة واحد بعد دراسة الحمض النووي لميتوكوندريا البويضات لهن، مما يؤكد معنى "نسل". كما تبين هذه الآية الكريمة دقة المصطلحات العلمية التي وردت بها. وهذا يدل على أن القرآن

الكريم هو وحي من العليم الخبير، وعلى صدق الرسالة وصدق الرسول. كما أن أنه يحتوي على علوم الدنيا والدين. فسبحان من هذا كلامه وبيانه.

ملخص الكتاب

تكلم رب العزة سبحانه وتعالى عن آدم عليه السلام بمفهوم "الخلق"، كما في قوله تعالى في سورة الحجر: (وَإِذْ قَالَ رَبّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنّي خَالِقٌ بَشَراً مّن صَلْصَالٍ مّنْ حَمَإٍ مّسْنُونٍ(28) ، وفي سورة السجدة: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7). بينما عندما تكلم عن نسله إلى بنيه، ونسل الأجيال المتعاقبة من بنيه من بعده، تكلم عنهم بمفهوم "الجعل"، كما في قوله تعالى في سورة المؤمنون: (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مّكِينٍ(13) ، وفي سورة السجدة: (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8). والضمير في (جَعَلْنَاهُ ، نَسْلَهُ) عائد على بقية الناس سوى آدم وحواء. لأنهما (أي آدم وحواء) لم يُخلقا من نطفة. وحتى في مسألة الخلافة في الأرض تكلم عنها ربنا عز وجل بمفهوم الجعل، كما في سورة البقرة: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ..(30). وهذا مَعنيٌ به ذرية آدم وليس آدم نفسه، لأن آدم عليه السلام لم يكن خَلَفاً لِسَلف سبقه، بل هو أصل البشرية جمعاء بنصوص القرآن الكريم، وبنصوص السنة المتواترة الصحيحة، وبنصوص التوراة والإنجيل الغير محرفة. بينما ذريته تخلفه هو، ويخلف بعضهم بعضاً، جيلاً بعد جيل، إلى أن تقوم الساعة بإذن ربها. وهذا يستقيم أيضا مع الأدلة العلمية الحديثة

من الدراسات في القرن الحادي والعشرين باستخدام تقنية الساعة البيولوجية، لبيان أصول الإنسان بعد دراسة كل من الحمض النووي للكروموسوم (Y) في الذكور، والحمض النووي للميتوكوندريا في الإناث – وكلا منهما ينتقلان كما هما دون تغيير للأجيال المتعاقبة جيلا بعد جيل. وتمت الدراسات على عينات بشرية من جنسيات مختلفة، ومن أجيال مختلفة، ومن أماكن مختلفة من العالم. وأشارت هذه الدراسات إلى أن جميع الذكور يعود نسبهم إلى رجل واحد، ولهم أصل واحد، وهو آدم عليه السلام. كما أن جميع الإناث يعود نسبهن إلى امرأة واحدة، ولهن أصل واحد، وهي حواء عليها السلام. كما دلت البراهين العلمية على أن نشأة واصطفاء وانتقاء وتسلل وتمايز أصول الخلايا التى تكون النطاف الذكرية أو الأنثوية في المرحلة الجنينية من بين الخلايا التي تكون العمود الفقرى والأعصاب. ثم هجرتها بصورة متدفقة إلى الحدبة التناسلية الموجودة خلف العمود الفقري وأسفل الضلوع، أي من بين الصلب والترائب (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) [سورة الطارق] . ثم تهاجر الحدبة التناسلية، إما إلى الخصيتين إن كان الجنين ذكراً، وإما إلى المبيضين، إن كان الجنين أنثى بقدر الله تعالى. وتستقر في الخصيتين أو المبيضين حتى مرحلة البلوغ. ثم تبدأ بتكوين المنويات أو البويضات. ويحدث انتقاء واصطفاء وتمايز

لكل من الخلايا الجنسية الأولية من طبقة خلايا الإيبيبلاست، والتي بدورها تمايزت من الخلايا التي تُكَون الجنين. وكذلك انتقاء واصطفاء للحدبة التناسلية ومكانها. وللمبيضين أو الخصيتين ومكانهما طبقا لخصائصها المتميزة والفريدة عن باقي جميع خلايا الجسم. ثم يحدث اصطفاء وانتقاء للحيوان المنوي (من بين 300 مليون حيوان منوي في القذفة الواحدة) الذي يقوم بتخصيب البويضة المنتقاة من بين آلآلاف البويضات في المبيض، ليتم بعد ذلك تخليق النسل. وكيفية انتقاء واصطفاء جنس الجنين (ذكراً أو أنثى)، وانتقاء الصفات الوراثية له من جينات الأبوين. وتمضي بنا الدراسات حتى إلى كيفية انتقاء واصطفاء الشريكين لبناء الحياة الزوجية، ليتم تحقيق قول الله عز وجل: (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ (62) سورة النمل، (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ(165) سورة الأنعام، لنجد كل هذه البراهين العلمية تُحدد وبدقة متناهية مفهوم قوله تعالى في سورة السجدة (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) سورة السجدة، لتشير إلى أن هذا القرآن العظيم هو وحي العليم الحكيم الخبير، وإلى صدق الرسالة والرسول، وأن القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية الصحيحة فيهما من البراهين العلمية لأصول العلوم الدنيوية، كما هنا في مجال الطب والأجنة: (لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا(62) سورة الفرقان، فسبحان من هذا كلامه وبيانه والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

الفهارس

مقدمة 6
الباب الأول : سلالة من طين 12

الفصل الأول: طلاقة القدرة فى خلق الإنسان 13

الفصل الثانى: حوار بين الله عز وجل ملائكته فى خلق آدم 19
- خلق الملائكة كان قبل خلق السماوات والأرض 28
- الأدلة على أن الإنسان هو أكرم مخلوق خلقه الله عز وجل 35
- آيات وعبر وعظات من قصة خلق آدم عليه السلام 49
- لماذا الحوار بين الله وملائكته فى خلق آدم عليه السلام؟ 58
الفصل الثالث: الأدلة الشرعية على خلق الإنسان من الطين 61
- بيان كيفية خلق الإنسان 65
- خلق آدم من قبضة من جميع الأرض وتنوع بشرته 71
الفصل الرابع: مراحل خلق آدم عليه السلام 74
الفصل الخامس: الطين أصل الحياة 93
الفصل السادس: التوجيه العلمي عن أصل الحياة من الطين 96
- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ 139
- الرد على التطوريين فى تخطئة الحكمة في الخلق 141
- منهجية علماء التفسير لعدم الوقوع فى الخطأ 150
- نظريات علمية عن كيفية بدء الحياة على الأرض والرد عليها 151

الفصل السابع: الأدلة العلمية على خلق الإنسان من الطين 160

- التحليل المعملى لعناصر جسم الانسان والتربة 160
- تطابق صفات الطين وصفات جسم الإنسان 164
- تكوين جسم الإنسان 169
- تغذية الإنسان من النطفة إلى اللحد من التراب والماء 174
- الموت خير شاهد على الخلق من التراب والطين 178
- دفن الإنسان وتحلل جثته إلى تراب 179

الباب الثانى: سلالة من ماء مهين 187

الفصل الأول: المعاني اللغوية وأقوال المفسرين 191

الفصل الثانى: الصفات البشرية فى خلايا آدم عليه السلام 195

الفصل الثالث: النسل الأول من آدم وحواء 202

الفصل الرابع: اصطفاء الخلايا الجنسية والحدبة التناسلية في الجنين 213

- هجرة الخلايا الجنسية الأولية إلى الحدبة التناسلية 220
- اصطفاء وانتقاء الحدبة التناسلية 224

الفصل الخامس: اصطفاء وانتقاء المناسل 227

أولا: اصطفاء وانتقاء الخصيتين ونسل الحيوانات المنوية 227
ثانيا: اصطفاء وانتقاء المبيضين ونسل البويضات 229
الفصل السادس: اصطفاء وانتقاء الجنسين 232

الفصل السابع: اصطفاء وانتقاء شريك الحياة (الزوج أو الزوجة) 235

الفصل الثامن: اصطفاء وانتقاء الحيوان المنوي والبويضة 240

الفصل التاسع: التسلسل الجينى والشفرات الوراثية 244

أهم الاستنتاجات العلمية 255

ملخص الكتاب 262

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية للسيد الأستاذ
الدكتور/ حنفي محمود مد بولي - الأستاذ بقسم الفيروسات بكلية الطب البيطرى – جامعة بنى سويف

المؤهلات العلمية:

دكتوراة الفلسفة في العلوم الطبية البيطرية (ميكروبيولوجيا أمراض الحيوان) في 1987/6/25

* الحصول على ليسانس أصول الدين قسم التفسير من جامعة الأزهر عام 1999.

الحالة الوظيفية :

* قائم بأعمال رئيس قسم الفيروسات بالكلية منذ 1993 حتى 1998/9/13 ثم رئيسا للقسم حتى 2016/1/9.

* عضو بمجلس الكلية واللجان العلمية المنبثقة منه (لجنة شئون التعليم والطلاب ، لجنة الدراسات العليا ، لجنة خدمة المجتمع وتنمية البيئة) منذ 1994 وحتى الآن ، مدير وحدة ضمان الجودة بالكلية منذ 2007 حتى 2012

مناصب إدارية بجامعة بنى سويف

* المشرف على إدارة البحوث فى 2009 ، مدير مركز نظم المعلومات الإدارية فى 28 أكتوبر 2009 – 2010/9/30 ، ومدير وحدة إدارة مشروعات التطوير ، والمدير التنفيذي للمعلومات ، عضو اللجنة القومية لمشروعات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات IC صدر القرار للعمل TP ، ومنسق مشروعات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بالجامعة ICTP صدر القرار للعمل من أول أكتوبر 2010 حتى ديسمبر 2012، عضو اللجنة العليا لإدارة البحوث بالجامعة بقرار رئيس الجامعة رقم 226 بتاريخ 2009/6/21 ، وعضو مجلس إدارة مركز ضمان الجودة بجامعة بنى سويف 2009 ، عضو اللجنة التنفيذية لإعداد وكتابة الخطة الإستراتيجية لجامعة بنى سويف **2014/2009**

مهمات علمية للخارج:-

مهمة علمية لدولة اليابان لمدة ثلاثة أشهر فى الفترة من 2007/7/13 حتى 2007/10/12

عدد الرسائل العلمية التى أشرف عليها سيادته: 80 رسالة ماجستير، ودكتوراة، أو التى قام بتحكيمها : (50 رسالة ماجستير ودكتوراة بكليات الطب البيطرى بالجامعات المصرية

براءة الإختراع :

الحصول على براءة اختراع رقم 24131 فى 2008/7/30 بعنوان " طريقة جديدة لتحضير لقاح مثبط ضد فيروس غدة فابريشيوس فى الدجاج من عترة مصرية ومستحلب فى زيت حبة البركة"

الجوائز العلمية :

جائزة الدولة التشجيعية في العلوم البيولوجية لعام 2002 ، وجائزة أحسن بحث في المؤتمر العلمي السابع بكلية الطب البيطري جامعة القاهرة 2002.، وجائزة أحسن بحث في المؤتمر العلمي الثالث بكلية الطب البيطري ببني سويف-جامعة القاهرة 2003.

الدروع العلمية والتكريم :

1- دروع من كل من: جامعة القاهرة 2002 ، فرع الجامعة ببنى سويف 2002 كلية الطب البيطرى عن المؤتمرات العلمية لعام 2003 ، 2005 ، 2007 ، المؤتمر العلمى السابع للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بدبى مارس 2004 ، و النقابة العامة للأطباء البيطريين 2007 ، جامعة بنى سويف 2009 ، مؤسسة خميس للتنمة ، والكلية الحربية السودانية 2010 ، وجامعة جنوب الوادى 2010 ،وجامعة الأزهر 2010 ، وقصر العلوم بالمنستير بتونس مارس 2012 ، وكلية الهندسة بجامعة كررى بالسودان لجهوده فى الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة ، أكثر من 30 شهادة تقدير من الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة للمشاركة بأبحاث علمية فى مؤتمراتها العالمية والدولية والمحلية، ومن مديريات التربية والتعليم بمحافظات مصر ،

عدد الأبحاث المنشورة باللغة الإنجليزية فى مجال التخصص (الفيرولوجيا والبيولوجيا الجزيئية) : 90 بحثا ، فى مجلات دولية ومحلية متخصصة وفى مجال الإعجاز العلمى: 12 بحثا والعديد من الكتب والكتيبات والمقالات بموقع طريق الإسلام(http://ar.islamway.net/scholar/4209/D8) وتسجيلات القنوات الفضائية ومحاضرات عن الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة وبقناة أ.د./ حنفى مدبولى على التليجرام(https://t.me/joinchat/AAAAAE) وعلى قناة اليوتيوب